



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمر
عليه السلام

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

مكتبة ربيع النشر المطبوعة



كتاب الاستبصار في عجائب الأوهام

نشر وتعليق

المكتوب سعد زغلول عبد الحميد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاستبصار فى عجائب الامصار

كاتب:

مجهول

نشرت فى الطباعة:

آفاق عربيه

رقمى الناشر:

مركز القائميہ باصفهان للتحريرات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٩	الإستبصار فى عجائب الأمصار
٩	إشارة
٩	مقدمة
٩	إشارة
١٠	المؤلف:
١١	الكتاب:
١١	المصادر:
١٣	أهمية الكتاب:
١٤	تحقيق النص:
١٥	تقديم الطبعة المغربية
١٦	[خطبة الكتاب]
١٧	ذكر حدود حرم مكة شرفها الله
١٧	إشارة
١٧	وصف مكة شرفها الله و أرباضها و أسماء الجبال المحيطة بها
١٨	عدد أرباض مكة شرفها الله
١٨	ذرع الكعبة كرمها الله من خارج
١٩	صفة البيت من داخله و فضله و فضل الصلاة فيه
٢٠	صفة سقف البيت و عمدته
٢٠	صفة باب الكعبة و ذرعه و عتبته
٢١	صفة الحجر الأسود و ارتفاعه فى الركن و فضله
٢١	صفة الحجر و ذرعه
٢١	صفة المقام

- ٢٢ صفه بئر زمزم و ذرعها و ذرع قبتها و ما فيها من الماء و فضلها
- ٢٢ صفه قبة الشراب
- ٢٣ صفه بيت اليهودية
- ٢٣ صفه المسجد الحرام و ذرعه و ما فيه من الصنع
- ٢٣ عدد أبواب المسجد الحرام شرفها الله
- ٢٤ عدد سوارى المسجد الحرام و ذكر معجزة النبي صلعم فى ابتياعه السارية الحمراء
- ٢٤ عدد قناديل المسجد الحرام و ما فيه من الحطيم و الثريا
- ٢٥ صفه الصفا و المروة
- ٢٥ صفه منى و الجمره و رميها
- ٢٦ صفه مسجد الخيف و ذرعه و ذكر الغار الذى بقربه
- ٢٦ صفه مسجد المزدلفة
- ٢٦ صفه المشعر الحرام
- ٢٧ صفه عرفات و جبل الرحمة
- ٢٧ صفه شريعة ابراهيم عم
- ٢٧ صفه بطن محشر و فى أى موضع هو من المزدلفة
- ٢٧ صفه المأزمين
- ٢٧ صفه مسجده صلعم
- ٢٧ اشارة
- ٢٨ صفه الروضة التى بين القبر و المنبر
- ٢٨ صفه الروضة التى فيها قبر النبي صلعم
- ٢٨ صفه المنبر
- ٢٩ صفه المحراب
- ٢٩ عدد أبواب مسجد النبي صلعم
- ٢٩ عدد ما فى المسجد من العمد

- ٢٩ عدد ما فيه من القناديل
- ٢٩ صفة بقيع المدينة
- ٣٠ صفة مسجد قبا
- ٣٠ صفة قبور الشهداء بأحد رحمة الله عليهم
- ٣١ ذكر بلاد مصر و ما فيها من العجائب
- ٣١ اشارة
- ٣٢ نبذ من أخبار ملوك مصر من لدن عمارتها
- ٣٩ ثم نرجع إلى ذكر الملك شوندين
- ٣٩ ذكر أول من نزل مصر بعد الطوفان
- ٤٤ ذكر ما نقله القبط من خبر يوسف عم
- ٤٥ ذكر فتح مصر
- ٤٨ ذكر المشهور من مدن أرض مصر
- ٥٧ و عدد البلاد التي فتح الله تعالى و أسماؤها هي هذه:
- ٥٨ ذكر المشهور من المدن و العمائر من بلاد مصر إلى آخر بلاد المغرب حسب المعرفة إن شاء الله تعالى
- ٥٨ ذكر بلاد إفريقية و ما فيها من العجائب و ذكر البلاد الساحلية منها و الصحراوية و ذكر ما فيها من الآثار مدينة أطرابلس
- ٥٩ ذكر مدينة القيروان و كيفية وضعها سنة ٤٧ من الهجرة
- ٧١ ذكر البلاد الصحراوية و التي تقرب من الصحراء بمرحلة أو أكثر من الإسكندرية إلى آخر بلاد المغرب
- ٧٤ ذكر بلاد الجريد من إفريقية
- ٧٤ اشارة
- ٧٦ ذكر كورة قسطلية من بلاد الجريد
- ٨٧ ذكر بلاد المغرب
- ٨٧ اشارة
- ٩٣ دخول العلويين بلاد الغرب
- ٩٥ ذكر ارتداد برغواطى و من دخل معهم من قبائل البربر فى الإسلام، و السبب فى ذلك

- ١٠٠ مدينة مزاكش - كلاًها الله
- ١٠١ ذكر بلاد السوس الأقصى
- ١٠٤ ذكر بلاد السودان و مدنها المشهورة و عجائبها و نبذ من سير ملوكها
- ١٠٥ ذكر بلاد غانة و ما جاورها من البلاد
- ١٠٨ فهرس محتويات الكتاب
- ١١٤ فهرس أسماء الاشخاص و الأماكن و غيرها
- ١٤٨ تعريف مركز القائمة باصفهان للتمريرات الكمبيوترية

الإستبصار فى عجائب الأمصار

إشارة

عنوان و نام پديد آور : ... الاستبصار فى عجائب الامصار: وصف مكة و المدينة، و مصر، و بلاد المغرب/ نشر و تعليق سعد زغلول
عبدالحميد

مشخصات نشر : بغداددار الشؤون الثقافيه العامه (آفاق عربيه): دار النشر المغرييه، ١٩٨٦م. = ١٣٦٥.

مشخصات ظاهري : س، ص ٣٥٤

فروست : (مشروع النشر المشترك)

وضعت فهرست نويسى : فهرست نويسى قبلى

يادداشت : عربى

يادداشت : ص.ع. لاتينى شده: Abdel -Hamid, Saad Zaqloul. Kitab Al-Istibsar Fi A'Ja'ib al-Amsar.

يادداشت : كتابنامه

عنوان ديگر : وصف مكة و المدينة، و مصر، و بلاد المغرب لكتاب مراكشى من كتاب القرن السادس الهجرى (١٢م)

موضوع : شهرها و شهرستانها -- كسورهاي اسلامى

موضوع : كسورهاي اسلامى -- اوضاع اجتماعى

موضوع : شهرها و شهرستانهاي اسلامى -- كسورهاي عربى

شناسه افزوده : عبدالحميد، سعد زغول، مصحح، Abd al-Hamid, Sad Zaqlul

رده بندي كنگره : ٣٨٤/HT ك ٥الف ٥

رده بندي ديويى : ٣٠٧/٧٦٠٩١٧٦٧١

شماره كتابشناسى ملي : م ٨٠-١٣٨٥٣ نام كتاب: الإستبصار فى عجائب الأمصار

نويسنده: مولف ناشناخته (مولف الاستبصار فى عجائب الامصار)

محقق / مصحح: عبدالحميد، سعد زغلول

موضوع: جغرافياى شهرها

زبان: عربى

تعداد جلد: ١

ناشر: دار الشؤون الثقافيه

مكان چاپ: بغداد

سال چاپ: ١٩٨٦ م

نوبت چاپ: اول

مقدمه

إشارة

لسنا أول من يعنى بكتاب الاستبصار. فمنذ حوالى قرن نشر ألفرد فون كرمم الجزء الخاص منه بالمغرب نقلا عن مخطوط كان فى حوزته. و لكن هذه النشرة غير كاملة: إذ تنقصها الفصول الخاصة ببلاد غمارة، و استقرار الأدارسة بالمغرب، و زندقة برغواطة، و مدينة ببلاد غمارة. و استقرار الأدارسة بالمغرب، و زندقة برغواطة، و مدينة سجلماسة، و بداية العبيدين الفواطم، و مدن درعة و أغمات و نفيس و تملل و مراكش، و كذلك الفصول الخاصة ببلاد السوس المتاخمة للسودان (دون ذكر بلاد السودان نفسها). و إلى جانب ذلك فإن نشرة فون كرمم تحتوى هنا و هناك على بعض النقص مما كبر حجمه أو صغر.

و بعد ذلك بحوالى خمسين عاما نشرا. فانيان ترجمة فرنسية كاملة لهذا الجزء نفسه مصحوبة بهوامش و تعليقات، و استخدم طبعه فون كرمم، و مخطوطى الجزائر، و مخطوط باريز. و مع أن فانيان عمل فى ترجمته على تكمله نشرة فون كرمم و سد الثغرات التى كانت بها إلا أن ما قام به لا يعنى عن النص العربى، و لا يرضى حاجة المشتغلين بالدراسات العربية.

هذا إلى جانب أن الجزء الذى بقى من الكتاب دون نشر كبير و مهم، يبلغ حوالى نصف النص العربى الكامل. و هو ينقسم على قسمين: الأول و يبلغ الثلث خاص بالأماكن المقدسة فى مكة و المدينة؛ و الثانى خاص بمصر و عجائبها. و هكذا تحدد عملنا- الذى يهدف إلى إكمال ما قام به كرمم و فانيان- فى نشر النص الكامل لكتاب الاستبصار، ثم ترجمة الجزء الخاص بالأماكن المقدسة و مصر إلى الفرنسية. الإستبصار فى عجائب الأمصار، المقدمة، ص: ٢

المؤلف:

و مما يدعو إلى الأسف أننا نجهل مؤلف كتاب الاستبصار.

فباستثناء ابن أبى زرع، صاحب كتاب روض القرطاس، الذى يذكر عنوان الكتاب لم يشر أى كاتب آخر إلى الكتاب أو إلى مؤلفه. هذا كما أن المؤلف لا يمدنا خلال كتابته بأية معلومات تكشف لنا عن شخصيته. و هنا نجد ثلاث كلمات تعبر عنه و هى: «المؤلف» أى صاحب الكتاب، «و الناظر» ثم «الواضع» و لها معنى كلمة المؤلف. و على ذلك فسكتفى بالعناية بكلمتى «المؤلف» و «الناظر». هل تعنى الكلمتان شخصية واحدة أو شخصيتين مختلفتين؟ يمكن أن تكون كلمة الناظر لقباً كان يحمله المؤلف و بهذا تدل «المؤلف» و «الناظر» على شخص واحد. و لكن هذا الافتراض غير محتمل إذ لا نعرف «الناظر» لقباً فى تلك الفترة.

و قد يكون معنى كلمة «الناظر» قريبا من معنى كلمة «المراجع» أى الذى أعاد النظر فى الكتاب و نظمه و أعطاه شكله الأخير. و هنا تعنى كلمة الناظر شخصا آخر غير المؤلف. و هذا ما تؤيده الفقرة التالية التى تختم الكتاب (ص ٢٢٦): «قال الناظر: هنا انتهى ما وجدته من هذا الموضوع، و لقد أحسن واضعه و رتب ما حقق، و هذا لعمرى أقرب و أخضر من غيره، ففيه ما فى غيره و ليس فى غيره ما فيه. و حققت و طرزت كتاب الواضع بما قيدت فى هذه المواضع، و أنا مؤمل أن أتفرغ لوضع كتاب كامل يحتوى على ذكر بلاد المغرب و ممالكها إلى هذه الايام السعيدة الإمامية، و أضيف إليها ما رفعته للحضرة العلية من مفاخر هذا الأمر العالى- أيد الله دوامه- سنة ٨٠ [٥] [١١٨٤-١١٨٥]، و هو ما يزيد عندي من فتوحاته المستأصلة لشأفة الأعداء...».

الإستبصار فى عجائب الأمصار، المقدمة، ص: ٣

و أيا ما كان فإننا نعتبر «الناظر» هو المؤلف الحقيقى للكتاب بصورته التى وصلتنا؛ فهو قد لجأ إلى كتاب قديم نجهل صاحبه، فوضع له المقدمة، و رتب فيها منهجه (من وصف الأماكن المقدسة و مصر و بلاد المغرب)، و هو قد نقح الأصل و حققه و أضاف إليه، ثم ختمه. و هو يعد بإخراج كتاب خاص بتاريخ المغرب إلى أيامه. و فى الكتاب فقرات تبين أن الناظر عاش على عهد يعقوب المنصور الموحدى، و أنه كان ينظر بعين الولاء لأحد كبار رجال الدولة حينئذ و هو الشيخ أبو عمران بن أبى يحيى بن وقتين الذى يهدى إليه الكتاب و يطلب منه حسن الرعاية (ص ١، ٢). و يظهر أنه كان يصنف الكتاب فى سنة ٥٨٧ (١١٩١) كما يفهم من بعض إشارات (ص ١٣٨)، و خاصة بمناسبة سفارة ابن منقذ رسول صلاح الدين إلى الخليفة المغربى (ص ١٠٧)؛ و بمناسبة العمليات الحربية ضد بنى

غانية بإفريقية (ص ١١١). ولكنه يتضح أيضا أن الكتاب كان موضع تنقيحات تالية بالنسبة لهذا التاريخ؛ والمثل لذلك زيارة ابن منقذ. فهذه المناسبة يعود صاحب الكتاب، بعد أن يذكر أنه كتب ذلك فى رمضان سنة ٥٨٧ (سبتمبر- أكتوبر ١١٩١)، فيقول إن رسول صلاح الدين ترك العاصمة المغربية فى ١١ من المحرم سنة ٥٨٨ (٢٨ من يناير ١١٩٢).

هذا و تدل التفصيلات التى يمدنا بها عن مكناسة و فاس و مراکش على معلوماته الغزيرة عن هذه المدن. فلا شك أنه عاش فيها إن لم يكن أصله منها؛ فهو لا يكتفى بالوصف الدقيق للعواصم المغربية بأمبراطورية الموحدين على عهده، و لا بالأعمال الإنشائية التى تمت على عهد يعقوب و سلفيه، بل يقترح خططا عمرانية أخرى تهدف إلى نشر الرخاء فى هذه المناطق.

و زيادة على ذلك فإن المعلومات التى يعطيها عن الحملة العسكرية ضد بنى غانية فى إفريقية تتفق بشكل غريب مع إحدى الرسائل الرسمية الصادرة من ديوان يعقوب المنصور، و التى يقتطف منها بعض الفقرات (ص ١٥٩ و هامش ١). و هو عندما يتكلم عن بلاد السودان يقول إنه اطلع على الرسائل

الإستبصار فى عجائب الأمصار، المقدمة، ص: ٤

الرسمية الصادرة باسم غانة ملك أحد هذه البلاد إلى يوسف بن ناشفين (ص ٢١٩)؛ و معنى هذا أن سجلات المرابطين القديمة كانت فى متناول يده؛ أو وصلت إليه صور منها هى الأقل.

من كل ذلك يمكننا أن نفترض أن المؤلف «الناظر» كان يشغل وظيفة لدى يعقوب المنصور كانت تمكنه من الاطلاع على مجرى الأمور فى ديوان الخليفة أو فى بلاطه. و هنا يمكننا أن نذهب إلى أبعد من ذلك فنظن أنه ربما كان صاحب الرسالة الرسمية نفسه أى ابن محشرة. يؤيد ذلك ما يظهره المؤلف من آيات الولاء و الخضوع للخليفة و سلفيه، ذلك الولاء الذى لا يصدر إلا من خادم مخلص للموحدين.

الكتاب:

إن النظرة السريعة إلى كتاب الاستبصار تبين أن موضعه بين كتب المكتبة الجغرافية العربية. و رغم ذلك فإنه من الصعب وضعه فى موضعه الصحيح بين أصناف الكتب الجغرافية المعروفة: من كتب الأطوال و العروض، و كتب تقويم البلدان، و كتب المسالك و الممالك، أو كتب العجائب .

و الحقيقة أننا لو أخذنا بعنوان الكتاب، و هو «كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار» لوجب وضعه بين كتب المجموعة الأخيرة. و لكن الأمر ليس كذلك؛ إذ هو ليس كتاب جغرافيه خالصه. فرغم تاريخ تأليفه المتأخر نسبيا نلاحظ أنه يحتوى على خليط من التاريخ و الجغرافيه من كل لون، مما يجعله أشبه ما يكون بكتب الجغرافيه من النوع البدائى الأول.

فمن وجهة النظر الجغرافية- و لهذا السبب وحده- يمكن أن يقال بشكل عام إن الكتاب ليس من كتب الجغرافيه العلميه المبتكرة، فهو غير مخصص

الإستبصار فى عجائب الأمصار، المقدمة، ص: ٥

لعجائب البلدان، كما يمكن أن نتوقع، و إنما هو مصنف يحوى معلومات دقيقة و أخبار أعامه و أساطير طريفه، جمعت بعضها إلى جانب بعض بغرض تقديم وصف سهل لطيف مستساغ للقارئ لا تثقله الدقة العلميه المتعبه و التى لاتهم سوى الإخصائين.

المصادر:

إن مما يعين على معرفة المصادر المختلفه التى أخذ عنها المؤلف معلوماته أن نأخذ بعين الاعتبار أن الكتاب ينقسم إلى ثلاثة أقسام مختلفه هى: الأماكن المقدسه و مصر و بلاد المغرب.

و الجزء الأول عبارة عن وصف مكة و المدينة، و الهدف منه هو تصوير شعائر الحج. و المؤلف يعنى فيه بوصف مكة عناية بالغه، فهو يعدد ضواحيها و تلالها، و الجبال المحيطة بها. ثم هو يصف بكل دقة الكعبة و مقاييسها و بابها و الحجر الأسود بها. ثم هو يستطرد فى وصف المسجد الحرام، و يصف بئر زمزم؛ و هو خلال ذلك يشرح مناسك الحج. و إلى جانب هذا يصف المساجد الأخرى مثل مسجد الخيف و مسجد و فيما يتعلق بالمدينة يستطرد المؤلف بنفس الشكل عند الكلام عن مسجد النبى و قبره المبجل، و مسجد قبا؛ و ينهى وصفه بالكلام عن قبور الشهداء فى سفح جبل أحد.

و هذا الجزء عظيم الأهمية نظرا لمعلوماته الدقيقة و طريقتة العلمية؛ و لكننا لا نعرف من أى المصادر استقيت مادته. فالمعلومات التى يمدنا بها عن مكة مختلفة عن معلومات الأزرقى (القرن الثالث الهجرى ٩ م) التى ينقلها ابن رسته (نهاية القرن الثالث ٩ م)، و هى تختلف كذلك عن معلومات ابن جبير المعاصر لمؤلف الاستبصار؛ و المعروف أن ما كتبه الأزرقى و ابن جبير يعتبر أهم ما كتب عن مكة و الكعبة و أكثره أصالة. و هنا نجد أن المؤلف لا يدين بشيء لهذين الكاتبين. و يمكن بعد هذا أن نفترض أنه نقل عن البكرى الذى كتب فى سنة ١٠٦٧/٤٦٠ كتابه المعروف بالمسالك و الممالك. و الحقيقة أن كتاب البكرى هو المصدر الرئيسى لصاحب الاستبصار

الإستبصار فى عجائب الأمصار، المقدمة، ص: ٦

بالنسبة للجزء الخاص بمصر و المغرب، و لكن ضاعت من كتاب البكرى الفصول الخاصة بالأماكن المقدسة؛ و هكذا فلا سبيل إلى القول بأن صاحب الاستبصار نقل هذا الجزء أو شيئا منه عن البكرى أو لم يفعل. و فيما يتعلق بوصف المدينة و مسجد النبى لا نعرف أيضا المصدر الذى أخذ عنه الاستبصار، و معلوماته تختلف عما كتبه ابن رسته و ابن جبير. و هنا نجد أن المؤلف يقول إنه فى سنة ١١٣٣/٥٢٨ - ١١٣٤ كان يوجد فى رواق المسجد و طاء طبرى (ص ٤١). و هذا يحملنا على الظن أن الجزء الأول من الاستبصار نقله مؤلفه سنة ١١٩١/٥٨٧ عن مصدر لم يصل إلينا كتب سنة ٥٢٨ أو بعد ذلك.

أما الجزء الثانى من كتاب الاستبصار فيوضع بصفه عامه ضمن ما كتب عن عجائب العالم: فكل ما يحويه عبارة عن غرائب و أشياء مدهشه فريدة فى نوعها. و زيادة على ذلك نلاحظ أن خطة الفصول الخاصة بمصر تنقسم على فترتين: فترة مصر القديمة، التى تنقسم بدورها على فترتين يفصل بينهما الطوفان؛ ثم فترة مصر الحديثة أى العربية. و تبدأ الفترة الأولى بوصف عام للبلاد، و تنتهى بظهور الإسلام و فتح مصر على أيدي العرب. و الفترة الثانية خاصة بوصف المدن المصرية، و تبدأ بقصة الفتح منقولاً عن ابن عبد الحكم. و الحقيقة أن هذه التقسيمات ليست مقبولة إلا بصفه عامه، و ذلك أن المعلومات الجغرافية و التاريخية، القديمة منها و الحديثة، تختلط و تتداخل خلال التقسيمات الصغيرة بعد ذلك بشكل لا يدع مجالاً للفرقة بينها.

و المؤلف يستخدم فى تصنيفه لهذه الفصول خمسة مصادر مختلفة يذكرها فى بعض الأحيان، و هى: المسعودى (توفى ٣٤٥/٩٥٦)؛ و ابن وصيف - شاه الذى يظن أنه فارسى الأصل و أنه كان يسكن بلدة اخميم، الذى يكتب حوالى سنة ١٠٠٠ للميلاد (أواخر القرن الرابع الهجرى) (ص ٦٠ هامش ٢)، و كان عالما بتاريخ مصر القديمة - حسب مفهوم ذلك التاريخ فى العصور الوسطى بطبيعة الحال؛ و ابن عبد الحكم؛ ثم البكرى. و أخيرا هناك معلومات الناظر الشخصية و هى تتعلق فى معظم الأحيان بالأحداث التى عاصرها، و هو فى كل مرة يسبقها بكلمتى: «قال الناظر». و السؤال الذى يتبادر إلى الذهن هو:

الإستبصار فى عجائب الأمصار، المقدمة، ص: ٧

هل أخذ المؤلف معلوماته مباشرة عن المصادر التى يذكرها؟ هنا نلاحظ أن القطع الباقية من كتاب البكرى و الخاصة بمصر (مخطوط المكتبة الوطنية بباريز، القسم العربى، رقم ٢٢١٨) تشبه بشكل واضح، من حيث الخطأ و من حيث التفصيلات، الفصول المماثلة من الاستبصار. و هذا يجعلنا نعتقد أن صاحب الاستبصار نقل عن كتاب البكرى معلوماته التى أخذها عن المسعودى و ابن وصيف - شاه و ابن عبد الحكم. و هذه الملاحظة لا تمنع من أن يكون المؤلف قد قرأ هذه الكتب التى كانت شائعة فى عصره، و أن يكون قد أخذ

منها معلومات أضافها إلى ما كتبه البكرى. ورغم أنه لا- يذكر كتاب الإدريسي فالظاهر أنه تأثر به فى أكثر من موضع. و المؤلف عندما يعالج قصة الفتح العربى لمصر ينقل عن ابن عبد الحكم كما سبق أن نقل البكرى؛ و فيما يختص بمصر القديمة يذكر ابن وصيف- شاه و ينقل عنه. و فى مجال التاريخ القديم هذا لا ننتظر من المؤلف شيئا جديدا، و ذلك على عكس ما كنا ننتظره منه من المعلومات الجديدة عندما يعالج موضوع المدن المصرى، كما فعل بالنسبة لمدينة المغرب، و هذا ما لم يفعله. فالصليبية فى الشام كانت على أشدها و المدن المصرى كانت مسرحا لعدد من المآسى التى كان لها صداها فى المغرب.

و لكن المؤلف الذى خصص صفحات- فى آخر هذه الفصول- للصليبية و انتصار صلاح الدين اكتفى بنقل الوصف التقليدى للمدن المصرى كما فعل المسعودى و ابن عبد الحكم و البكرى. و أكثر من هذا فإنه يؤخذ عليه أنه كاد يوقع القارئ فى الخطأ عندما أهمل ذكر المصدر الذى نقل عنه، و غير شكله إلى حد ما ذاكرا تاريخ الوقت الذى كان يكتب فيه هو نفسه. و المثال لذلك هو معلومات المسعودى عن مدينتى تيس و دمياط التى يذكرها صاحب الاستبصار و يختتمها بالشكل التالى:

«و يسكن بجزيرة تيس و دمياط نصارى هم الآن تحت الذمة بحمد الله، و نحن فى سنة ٨٦ [٥] [١١٩٠]» (ص ٨٨)؛ كما لو أن هذه الحقيقة كانت واقعة على أيامه أو كما لو أنه حققها بنفسه. و هو فى الحقيقة لم يعرف

الإستبصار فى عجائب الأمصار، المقدمة، ص: ٨

أن تيس كانت هدفا لعدد من غارات الصقليين و الصليبيين، و أن أهلها جلوا عنها فى سنة ٥٨٨ [١١٩٢] عندما كان يعيد النظر فى تأليفه (هامش ١ ص ٨٨).

و ما أن يترك المؤلف مصر ليعالج بلاد المغرب و السودان حتى يتخلص من آثار الماضى التى تسلطت على نفسه و قلمه، فهو يسجل ما يشاهده و يعطى و صفا أكثر دقة. و إذا ما راعينا أنه كان مغربيا و بالتالى عارفا بالبلاد التى هى موطنه، فهمنا بسهولة أن هذا القسم من الكتاب يفوق فى أهميته ما سبقه من الأقسام.

هنا نجد أن المصادر التى يأخذ عنها الكاتب معلوماته و التى يذكرها هى، المسعودى و البكرى- و هذا الأخير يعتبر المصدر الأول للقسم الثالث من الكتاب خاصة. هذا إلا أن مجهود المؤلف لا ينكر، فهو ينتهج منهجا خاصا به، و يعطى معلومات شخصية فى غاية الأهمية، لاسيما عن إفريقية و المغرب الأقصى.

أهمية الكتاب:

يعتبر الكتاب مصدرا لمعلومات متنوعة الألوان من جغرافية و تاريخية و أثرية. و هو يسهب فى وصف رخاء مصر الزراعى، الذى يرجع إلى النيل، و يؤكد بصفة خاصة خصوبة منطقة الفيوم. و الفيوم تجذب انتباهه بفضل عمليات المياه فيها، و هذه تزيد من مزارعها و فواكهها. و فيما يتعلق بمنطقة الفرما يذكر أن تمرها يعد من عجائب الدنيا. أما عن معادن الزمرد الواقعة بين مدينة قوص و مدينة أسوان فهى موضوع خصب لاسترسال قلمه و إسهابه. و هو بعد ذلك يعتنى بصناعة النسيج فى دمياط و تيس، حيث كانت تصنع أردية لا- تدخل فى نسجها خيوط الذهب، و يساوى الرداء منها مع ذلك مائة دينار. و كانت حرفه صيد السمان مريحة لأهالى المدينتين.

و فى هذا العصر كانت مدينة عيذاب ميناء مهما منه تتجه المراكب نحو الحجاز و اليمن و الهند و غيرها من البلاد.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، المقدمة، ص: ٩

و فيما يختص ببلاد المغرب يبين الكتاب الثروة الزراعية و المعدنية لكل مدينة مثل: حرير قابس، و زيت سفاقص الذى يصدر إلى صقلية و إيطاليا و فرنسا (الأرض الكبيرة)، و منسوجات سوسة، و أسماك بنزرت، و مرجان طبرقة، و تمر الواحات و بلاد الجريد، و ذهب البلاد الواقعة بين الواحات و مصر، و فستق قفصة، و قمح باجة، و صوف وجة، و نحاس فاس، و زيت مكناسة و ضواحيها، و

جلد اللط و الملح ثم السكر، بصفة خاصة، التى اشتهرت بها بلاد السوس، و التى كانت تصدرها إلى كل بلاد المغرب و الأندلس و إفريقيا، و كذلك النحاس المصنوع و العسل و النيذ و الدقيق و العنبر الممتاز. و عندما يتكلم عن بلاد السودان يستطرد فى ذكر الشب الأبيض و حجر المغناطيس.

و من الناحية التاريخية يحتوى الكتاب على معلومات مختلفة فى طبيعتها، و فى قيمتها: كالقصاص التاريخية القديمة المنقولة عن كتب معروفة أو مفقودة و هى من طبقة الأساطير ذات القيمة الأدبية فقط؛ و مثل الوثائق التاريخية المعاصرة ذات الأهمية البالغة. و القسم الأول الذى يصف الأماكن المقدسة بشكل مطول مهم بالنسبة لتاريخ الفن، و لا-سيما إذا نظرنا بعين الاعتبار إلى ندرة المصادر الخاصة بالآثار، مما يجعل مهمة مؤرخ الفن من الصعوبة بمكان.

و القسم الخاص بمصر يعطينا فكرة عن الروح التى كانت تسيطر على مفهوم تاريخ مصر القديمة: فكل ما هو قديم ينبغى أن يكون عجيبا دون اعتبار للوثائق الأكيدة الموجودة فى متناول الأيدي. و هكذا قيل إن الرصاص استعمل بدل الملاط فى بناء الأهرام؛ و كان يكفى النظر فى هذه الآثار للتأكد من أن الأمر ليس كذلك. و ترتب على هذه الفكرة أن أصبح الجزء الثانى من الكتاب- على عكس الجزء الأول الجاف- ذا صبغة أدبية بصفة خاصة.

و الفصل الخاص بمدينة الإسكندرية مهم جدا؛ ففيه يصف المؤلف المنار المشهور بإسهاب، و يبين موقع المدينة من الناحية العسكرية، و كيف أنها كانت هدفا لتهديدات الأعداء التقليديين النصارى، و خاصة الصقليين الإستبصار فى عجائب الأمصار، المقدمة، ص: ١٠

منهم. أما عن جهاد صلاح الدين و انتصاره على الصليبيين، و سفار ابن منقذ إلى المنصور الموحدى، فقد شغلت عدة صفحات مهمة ك نأمل لو أنها زادت إلى أكثر من ذلك.

و القسم الأخير الخاص بالمغرب مهم جدا بالنسبة لتاريخ الموحدين.

فصاحب الكتاب يندد بمرارة بثورة على بن غانية فى إفريقيا، و يدافع عن موقف سيده الأمير. أما المعلومات المتعلقة بالمغرب الأقصى فهى أصيلة و مهمة للغاية: مثل المجهودات المعمارية التى قام بها أمراء الموحدين الثلاثة الأول، و خاصة يعقوب منهم: كعمليات المياه، و بناء المساجد و القصور، ثم إنشاء الحصون فى مدن مراكش و فاس و مكناسة. من كل ما تقدم يتبين أن كتاب الاستبصار يعتبر حقيقة موسوعة تاريخية جغرافية مختصرة.

تحقيق النص:

و قد رجعنا فى تحقيق النص إلى مخطوطات ثلاث: واحدة بالمكتبة الوطنية بباريز (القسم العربى رقم ٢٢٢٥)، و هى بخط مغربى مقروء، و لكن تنقصها الورقات الأولى و الأخيرة، هذا بالإضافة إلى بعض النقص الذى يوجد فيها من حين لآخر، و اثنتان بالمكتبة الوطنية بمدينة الجزائر: أولاهما (رقم ١٥٦٠) فى حالة جيدة و هى كاملة؛ و الثانية (رقم ٣٢١٦) رغم أنها كاملة، إلا أنها فى حالة رديئة و ذات خط غير مقروء فى بعض الأحوال.

و إلى جانب ذلك رجعنا أخيرا إلى طبعة فون كرم (von kremer) الخاصة بالمغرب و التى نشرها عن مخطوط لا نعرف مصيره، و هى تحتوى على كثير من النقص.

و لقد رمزنا لمخطوط باريز بالحرف «ب» و لمخطوطى الجزائر- حسب ترتيبهما المذكور- بالحرفين «ج»، «م»، و لطبعة كرم بالحرف «ك».

الإستبصار فى عجائب الأمصار، المقدمة، ص: ١١

و أول ما نلاحظه هو أن الأخطاء الإملائية الكثيرة و النحوية فى بعض الأحيان، و كذلك اختلاف أسماء الأعلام، تبين أن هذه

المخطوطات نقلت فى عصر متأخر بالنسبة للمخطوط الأصلية بمعرفة نساخ لم ينالوا حظا كبيرا من الثقافة. و ترتب على ذلك أن اضطررنا إلى الرجوع- فى كثير من الأحيان- إلى المؤلفات القديمة، و من ذلك أن جامع «الخيف» كتب فى جميع ما بين أيدينا من نسخ جامع «الحنيفية» (ص ٣٣ و هامش أ). و رغم اتساع دائرة عملنا نتيجة لذلك فإننا لا ندعى أن النص الذى حققناه قد استقام بشكل كامل لا غبار عليه. فما زالت بعض الكلمات بل و بعض الجمل غير دقيقة أو قليلة الوضوح. و قد صادفتنا عبارات يبدو أنها من مصطلحات العمارة الإسلامية و هى غير محددة المعنى عندنا، و ذلك مثل «بحر مرخم» (ص ١٤-١٥) أو «حجارة مطرورة» (ص ٣٣، ٣٤). و قد فهمنا هذه العبارات حسب المعنى العام للجمله. و هكذا أخذنا «بحر مرخم» بمعنى فراغ مكسو بالرخام (الترجمة ص ٩)، و «حجارة مطرورة» بمعنى حجارة مصقولة محددة أو حجارة مطينة مزينة (الترجمة ص ٢٠). و نذكر كذلك كلمات «ثوران من نحاس» (ص ٢٠) و لقد فهمناها على أنها مسرجتان (شمعدانان) من نحاس (الترجمة ص ١٢)، و جملة «فنازعى فى القرب و الشولى فغلبته» (ص ١٨٥) التى فهمناها على أنها: فتناقشنا فى أمر سمك التن و الزجر و لكننى فزت عليه. و نذكر أخيرا كلمة «ثليث» (ص ٢٠٠) و هى اسم علم لمدينة فى جنوب مراكش قرب سجلماسة و لا نعرف عنها شيئا.

و فيما يختص بالترجمة فقد اجتهدنا فى نقل النص العربى إلى الفرنسى دون تصرف. و لم نخرج عن هذه القاعدة إلا فى الحالات التى يصعب فيها الترجمة الحرفية، ففى هذه الحالات حاولنا نقل المعنى مع الحرص على عدم الابتعاد عن النص على قدر الإمكان. و لقد لاقينا فى هذا صعوبات كثيرة: كالتباين الخفيف بين مفهوم الكلمات ذات المعنى الواحد، و الصور التى يصعب نقلها كما هى، و الأساليب الخاصة بكل لغة. و على الجملة فقد كانت روح كلا اللغتين هى المهددة فى كل هذه الحالات. و يمكن إعطاء أمثلة كثيرة الإستبصار فى عجائب الأمصار، المقدمة، ص: ١٢

لتوضيح هذه العقبات؛ و دون البحث بعيدا فى أعماق النص يكفى النظر فى الصفحات الأولى من الكتاب، حيث تكثر أمثلة هذه الصعوبات.

و لقد حرصنا على أن نزود النص بالهوامش المناسبة. و الغرض من هذه الهوامش إما تحديد المؤلفات السابقة التى تعتبر من المصادر الرئيسة للنص، و إما مقارنته بها. و لهذا السبب أيضا ذكرنا فى الهوامش بعض المصنفات المهمة من عصور متأخرة.

تقديم الطبعة المغربية

لما كانت طبعة جامعة الاسكندرية (١٩٥٨) لكتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار، و هو الكتاب الذى كان أصلا رسالة ثانوية للدكتوراة التى تقدمنا بها إلى جامعة باريس فى يونيو ١٩٥١، قد نفذت منذ مدة طويلة. و لما كان الدارسون لتاريخ مكة و المدينة و مصر و بلاد السودان الغربى فى العصور الإسلامية حتى القرن السادس الهجرى / ١٢ م فى حاجة الى النظر فى هذا الكتاب، فضلا عن حاجة دارسى تاريخ أقطار الشمال الافريقى الإسلامية و جغرافيتها، و هو الأمر الذى تنبه اليه منذ مدة طويلة بعض الزملاء الأفاضل و الناشرين فى تونس و فى مصر، فإنه يسرنى أن تقوم الآن دار النشر المغربية بمدينة الدار البيضاء، مشكورة، بمعرفة مديرها السيد البورى محمد سعيد بإعادة نشر الكتاب فى طبعة مغربية جديدة، أرجو أن تكون مفيدة للمشتغلين بالتاريخ الإسلامى و تاريخ الشمال الافريقى - إن شاء الله.

هذا، و لقد قمنا بتصحيح الأخطاء القليلة بطبعة الاسكندرية الأولى، و على الله التوفيق.

سعد زغلول عبد الحميد الكويتى فى ١٦ / ١ / ١٩٨٥

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١

بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على سيدنا و مولانا محمد كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار

[خطبة الكتاب]

الحمد لله عالم الأسرار، غافر الإضرار، الواحد القهار، العزيز الجبار، المنزه الذى لا يقبض يديه سهاد الليل والنهار؛ نحمده حمد معترف بوحدانيته، ونشكره شكر مغترف من بحر نعمته، متقلب فى ظل رحمته.

و نصلى على نبيه سيدنا محمد المبعوث بالآيات الباهرة، والبيئات القاهرة، الآخذ عن النار بالحجرات، الداعى إلى سبيل ربه بالآيات البيئات، وعلى آله الأخيار، وأصحابه الأبرار، صلاة باقية إلى يوم الدين.

و نرضى عن نجله الأطهر، و سليله الأبر، الإمام المهدي، الذى جدد رسم الدين بعد البلى، و جاهد فى سبيل الله حق جهاده و أبلى، و إلى طريق الحق [دعا] النفرى و الجفلى؛ و عن الخلفاء الراشدين، أئمة الهدى، و مصاييح من رشد و اهتدى. و نوالى الدعاء لخليفتهم المبارك الأسعد، سيدنا أمير المؤمنين يعقوب بنصر تتصل أسبابه بسعادته، و فتح يسوقه القدر وفق إرادته.

و بعد، لما كان العلم أنفس ما يقتنى، و أشرف ما به يعتنى، لم يزل ينقله خلف عن سلف و يحمله ذو شرف عن ذى شرف، و جب أن يكون أفضل ما يهديه مهد أو يستهديه مهدي، رغبة فى الاتسام برسمه، و الارتسام و الدخول

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢

فى رعيته، و الاستثثار بحيازة مآثر من تواريخ الأمم، و سير العرب و العجم، إذ كان المرء يقف منها على أخبار من غبر، و آثار من ذهب و دثر، و يشاهد ممالك ذهب و بادت، كأنها عادت إلى الحياة أو كادت:

لم يبق شىء من الدنيا أسرّ به إلا الدفاتر فيها الشعر و الخبر

مات الذين لهم فضل و مكرمة و فى الدفاتر من أخبارهم آثر

و قديما وضع الناس التواريخ و رتبوها، و دونوا الأخبار و كونوها، حرصا منهم على نظم فرائدها و تقييد شواردها، و ما زال واضعوها يتقلبون بين إكثار و إقلال، و إسهاب و اختصار، و كلهم يجرى على طريقة إلى غاية يضيفها و يسطرها. و كثيرا ما خلد خدم العقلاء ملوك أزممتهم بالتواريخ المؤلفه و التواليف المزخرفة، تفننا لمسراتهم و ترضيا لمبراتهم، و لولا ذلك لم يحصل الآخر على علم الأول، و لا عرفت أخبار الملل و الدول.

و لذلك رأيت الشيخ الأجل المعظم، الأغر الأسنى، الأمجد المكرم، أبا عمران بن الشيخ الأرفع، المرحوم أبى يحيى بن وقتين أدام الله علاهم، و وصل مجدهم و سراهم، قد أبرز على الفضلاء فضلا، و أربى على النبلاء نبلا، و زاد على أهل زمانه فى العلم و الحلم، و غبطة بالعلم و وصل العلماء و مرضاة الفقهاء. و كانت همته السامية إلى طراف الأخبار، و إثارة أهل الآثار، إلى أن شادت بذلك الرفاق، و امتلأت بحديثه الآفاق، و نازعتنى الرغبة و التصدى لشكر النعمة، إلى أن أطرز باسمه كتابا يجمع بين الأخبار و الصحائف، و يأخذ بطرفى شرائد الطرائف، متضمنا بذلك إحسانه، راجيا بذلك فضله و امتنانه بمنه حسبا أردته. و [لما] اتسق و صفه على ما اخترت، سميته بكتاب الإستبصار فى عجائب الأمصار، بعد أن قصدت فى أكثره التحقيق و اطرحت فى مستودعه التلفيق.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٣

و ابتدأت بمكة شرفها الله تعالى، و ما يجب ذكره من وصف حرمةها، و أسماء الجبال المحيطة بها، و ذكر أرباضها، و وصف المسجد الحرام بحسب الوسع، و ذرع الكعبة من خارج، و وصفها من داخل. و وصفت الصفا و المروة، و عرفه و مزدلفه، و منى و جبل الرحمة، مع شريعة إبراهيم عليه السلام و وصفه بطن محسّر إلى غير ذلك من المناسك، و وصفه مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم بالمدينة. و وصفت منبره عليه السلام، و وصفت عدد أبواب المسجد، و جميع ما فيه من العمد و عدد ما فيه من القناديل، و وصف روضته عليه السلام. ثم وصفت بقية المدينة، و روضة عثمان رضى الله عنه و وصفت مسجد قبا، و قبور الشهداء بأحد رحمة الله عليهم تبركا بذلك و تيمنا بالاستفتاح به.

ثم عدت إلى بلاد مصر و ما فيها من العجائب، و وصفت نيل مصر و عدد أمياله، من وسطه إلى موقعه، و ذكرت بناء الأهرامات و

البرابى و من بناها، و صورتها و طولها و عرضها و ما صنع فيها من العجائب؛ و ذكرت من عمرها من الملوك قبل الطوفان و ما نزل بها بهذا الطوفان؛ و ذكرت فتحها فى أيام سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه. ثم عدت إلى مدينة الإسكندرية، و وصفت بناءها و صفة منارها و صفة المرأة التى كانت بها و بناءها و تداول الملوك عليها.

ثم ذكرت بلاد إفريقية و ما فيها من العجائب، و وصفت مدينة قرطاجنة و آثارها و عجائبها، و وصفت البلاد الى آخر بلاد المغرب. و قسمت أقطارها قسمين، و رتبها صنفين: فمنها الصحراوية أو ما قاربها، و الساحلية و ما يليها.

و لم أذكر شيئاً مما سقته إلا ما كاد ينعقد على أكثره الإجماع، و يتفق عليه العيان و السماع، و للمولى أدام الله تأييده و وصل سعوده، أن يقدر عبده فيما أورده، و يحقق فيما رجاه أمله و معتمده، فإنه و إن كان قد أنفذ وسعه فى الاختيار، و توسط بين الإقلال و الإكثار، حرى بالاحسان

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٤

ظنا، و يرى التغميض عن هناته سنا، إذ هو فيما ذكر كمن حمل التمر إلى هجر .

و منك استعدنا كل غريبه، فأت غريبه فى عيون الغرائب. و هذا حين أبتدىء بذكر ما أردته فيما أوردته، مستعينا بالله سبحانه، راجيا صفحه و غفرانه، و الله سبحانه يمتع الأدب ببقاء المولى، و يشكره ما منح الخلق من يده و أولى:

الناس يهدون على قدرهم و إننى أهدى على قدركا

يهدون ما يفنى و أهدى الذى يبقى على الأزمان من فخركا

ذكر حدود حرم مكة شرفها الله

إشارة

حدّ الحرم من ناحية المدينة من ذى طوى على ثلاثة أميال من مكة، و حده من طريق جدّه على عشرة أميال، و حده من طريق اليمن على سبعة أميال، و حده من طريق العراق على ستة أميال، و حده من طريق الطائف على أحد عشر ميلا فعدد أميال الحرم ٣٧ ميلا ، و دور الحرم حول مكة ٧٣٣ ميلا ؛ و كان النبى صلعم بنى بالحرمين ١٥ مسجدا .

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٥

وصف مكة شرفها الله و أرباضها و أسماء الجبال المحيطة بها

٣

جبل أبى قبيس و هو جبل أدكن (أميل إلى البياض)، فى رأسه منار يذكر أنه منار إبراهيم عليه السلام. و فى أصله الصفا و من عليه يرقى إليه، ليس له مرقى إلا على أربعة مواضع: على الصفا، و على شعب عمر، و على شعب على رضى الله عنهما، و على شعب أجياد الصغير ، ليس لأبى قبيس طريق يرقى إليه إلا من هذه الأربعة مواضع. و هو أحد الأخشين فيما يقال، و يقال إنه أول جبل خلقه الله تعالى و وضعه فى الأرض. و إنما سمى بأبى قبيس لأن رجلا كان يسكنه على قديم الدهر يكنى بأبى قبيس فنسب إليه ذلك الجبل. و هو أقرب الجبال إلى المسجد الحرام، يقابل من مكة و يقابل من الكعبة الركن الأسود.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٦

ثم جبل الخندمة و هو الجبل العالى المستعلى على أبى قبيس من ناحية الشرق، و هو جبل أحمر محجر فيه صخرة كبيرة بيضاء كأنها معلقة تشبه الإنسان إذا نظرت إليها من البعد، تراها من المسجد الحرام من باب السهميين الصغير. و فى ذلك الجبل تحصن أهل مكة

يوم القرمطى .

و أسفل من ذلك الجبل، بينه و بين الجبل غار، شعب على رضى الله عنه.

ثم الجبل الأبيض الذى على الأبطح إلى باب منى ، و من ذلك الجبل إلى الجبل الأحمر السور، و جعل هنالك بايين من خشب مصفحين بالحديد، و هما على المعلى و هما المعروفان بباب منى.

و عند هذا الباب آبار بعيدة الرشا يستقى الناس منها، و ماؤها ليس بعذب

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٧

جدا. و هذا الجبل الأحمر متصل من مسجد الخيف إلى الحجون و فيه الثنية العليا، و عند أصل الثنية ببيع مكة . و فى شعب منه المحصّب فى حوز الشعب الذى يقابل الخيف الذى كان ينزل فيه من سلف من الصدر الأول عندهم من منى إلى آخر أيام التشريق ، فيصلون الظهر و العصر و المغرب و العشاء الآخرة، و كذلك يدخلون مكة.

و قد صح عن النبى صلعم أنه فعل ذلك .

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٨

ثم الجبل الذى بظهر دار الندوة يسمى قعيقعان ، و هو الذى يقابل أبا قبيس، و هو جبل أخضر. و إنما يسمى قعيقعان لأن مضاض بن جرهم نزل به، و نزل السميدع بن جرهم بجبل أجياد، فدارت بينهما حرب عظيمة فى تلك الأيام، فكانت أجياد- أعنى من سكن بها و هو السميدع و آله- أول من جاد بالدم فى الحرم و دعا إلى القتل، و قالت العرب فيها أجياد لأنها أول من جادت بالدم.

ثم جبل أجياد ، و هو الجبل العالى الأخضر الذى بغربى المسجد الحرام فى رأسه منار يذكر أن أبا بكر رضه أمر ببنائه ، ينادى عليه المؤذن فى رمضان، و يقابل من الكعبة اليماني؛ و يخرج إليه من باب إبراهيم عليه السلام . و هو يقابل قعيقعان من ناحية الغرب.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٩

ثم جبل ابن عمران ، و هو الجبل الأسود الذى بين أبى قبيس و أجياد، و هو خلفهما. و يظهر من البعد كأنه بينهما، يقابل من الكعبة الجدار اليماني؛ و هو أميل إلى الركن اليماني قليلا.

ثم جبل البكا ، و هو خارج على الجبال المحيطة بمكة، و هو فى العطف الذى فى آخر ذى طوى، عن يمينك و أنت خارج تريد التنعيم .

و هناك عن يسارك المتكا ، و هو الحجر الذى قعد عليه النبى صلعم و استراح عند إقباله عليه فيما يذكر أهل مكة، روه عن مشيختهم.

عدد أرباض مكة شرفها الله

و لمكة أربعة أرباض منها الحجون و ما حوله إلى المروة ، و ربض قعيقعان و ما حوله إلى باب ذى طوى ، و ربض أجياد الكبير

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٠

مع شعب أبى بكر رضه إلى المسفلة إلى باب اليمانيين، ثم إلى الأبطح و ما حوله من باب منى إلى شعب على مع شعب عثمان .

ذرع الكعبة كرمها الله من خارج

طول وجه الكعبة و هو الشق الذى فيه الباب، من الركن الأسود إلى الركن الشامى ٢٧ ذراعا . و عند الثلث الباقي من هذا الجدار من ناحية الركن الشامى، يوقف منبر الخطيب يوم الجمعة و يرفع فى سائر الأيام، و هو منبر كبير مفصل على ثلاثة قطع . و طول مؤخرها و هو الشق الغربى، من الركن اليماني إلى الركن الغربى، ٢٧ ذراعا- طول الذراع الذى به هذا الذرع ٢٠ أصبعا . و عرضها من ناحية

اليمنى إلى الركن الأسود ٢١ ذراعا

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١١

و نصف ذراع ، و عرضها من ناحية الشام و هو الشق الشامى و هو الذى عليه الميزاب ، من الركن الغربى إلى الركن الشامى، ٢٤ ذراعا

هذا ذرع البيت من خارج. و ذرعه من داخل: طول الجدار الذى يقابلك إذا دخلت البيت الذى فيه محاريب الفضه ، و هو الذى صلى عليه النبى صلعم، من الركن الغربى إلى الركن اليمانى، ٢٢ ذراعا .

و طول الجدار الذى فيه الباب، من الركن الأسود إلى الركن الشامى، ٢٩ ذراعا ؛ بسبب الركن الذى بناه الحجاج بن يوسف فى داخل البيت فى الركن الشامى، و جعل فيه سلما من داخل الركن يرقى منه إلى ظهر الكعبة لتعليق الكسوة . و عرض الجدار الشامى، الذى بين الركن الغربى و الركن الشامى، ١٥ ذراعا و نصف ذراع ، نقص ذرع الجدار

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٢

من أجل ذلك الركن المذكور. و عرض الجدار اليمانى، من الركن الأسود إلى الركن اليمانى، ١٧ ذراعا و نصف ذراع . و ذرع قاع البيت مكسرا ٣٥٢ ذراعا و نصف ذراع .

هذا ذرعه من داخل و تكسير قاعه. و غلظ جدار الكعبة ٥ أشبار . و ارتفاع البيت من خارج، من الأرض إلى أعلى البيت ٣٠ ذراعا: طول جدار البيت منها ٢٧ ذراعا، و عليه طرابزين و ارتفاعه ذراع، تعلق منه الكسوة و قد استعلت عليه ذراعا، و كمل بذلك ارتفاع البيت ٣٠ ذراعا . هذا ارتفاعه من خارجه.

و ارتفاعه من داخله: جدره كلها من قاع البيت إلى السماء الأولى ٣٠ ذراعا، و من السماء الأولى إلى السقف الأعلى ذراعا .

هذا ارتفاعه من داخله. و ذكر أن إبراهيم الخليل عليه السلام إنما بنى البيت الحرام يوم بناه فى ارتفاع ٩ أذرع غير مسقف ، فلما بنته قريش و اقتصرت عن طوله ٦ أذرع تركت ذلك فى الحجر، و زادت فى ارتفاع البيت ٩ أذرع، فكان البيت يومئذ من ١٨ ذراعا الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٣

فى الارتفاع . فلما احترق فى زمان عبد الله بن الزبير رضه و أمر ببناؤه و زاد فيه ما كان أنقصته قريش، ظهر له عند ذلك قصير الارتفاع، فزاد فى ارتفاعه ٩ أذرع. و قال إن قريشا زادت فيه ٩ أذرع و أنا أزيد فيه ٩، فصار البيت من يومئذ من ٢٧ ذراعا فى ارتفاعه، لم يزد فيه أحد من يومئذ.

صفة البيت من داخله و فضله و فضل الصلاة فيه

ينبغى لمن يحج أن يرغب فى داخل البيت و فى الصلاة فيه، فإن فى ذلك فضيلة كثيرة . فإذا دخل فيه أحد فليتركع و ليلح بالدعاء و الرغبة إلى الله، فإنه مشهد كريم. و ليخلع نعليه و لا يبصق و لا يمتخط و لينزه ما استطاع فإنها بقعة مكرمة مقدسة مطهرة، كرمها الله عز و جل و شرفها على بقاع الأرض كلها. و هو قبال البيت المعمور الذى يحجه الملائكة فى السماء كما يحج هذا بنو آدم فى الارض

و صفة قاع البيت هو مبسوط بالرخام الأبيض، و فى رخامه منها عند دخولك من باب الكعبة مسمار فضه، و كذلك جميع جدره مرخمة بالرخام الأبيض قدر ٩ أذرع ، و ما فوق ذلك منقوش مذهب بفراسة الذهب ليس بصفائح إلى سماء البيت. و فى ترخيم جدر البيت ألواح حمر و خضر، يقال إن الوليد ابن عبد الملك بعث تلك الألواح من الشام مع الرخام الذى رخم به البيت، و مع ذلك ٣٠ الف دينار، و أمر أن يرخم البيت و يذهب، و هو أول من كساه بالرخام و ذهبه.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٤

فمن تلك الألواح فى الجدار الغربى مقابل من داخل البيت ٥ ألواح:

٣ حمر و ٢ أخضران . و بين هذه الألواح الخمسة فى ذلك الجدار ٣ محاريب فضة، طول كل محراب منها ٥ أشبار و عرضه ٣ أشبار؛ بين كل محراب منها منقوش: «أقبل على صلاتك و لا تكن من الغافلين». و فى جهة كل محراب منها منقوش: «لا إله إلا الله محمد رسول الله». و فى ذلك الجدار أيضا مما يجاور الركن اليمانى، فى أعلى الترخيم على رأس اللوح الأحمر، محراب ذهب طوله شبران و عرضه شبر و نصف . و على رأس تلك الألواح و المحاريب بحر مرخم فيه مكتوب بالمسك المحلول: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» مكرر فى سطرين.

و بعد ذلك: «الإمام المطيع لله أمير المؤمنين». و فى سطر تحته: «الإمام المقتدر بالله أمير المؤمنين».

و فى الجدار اليمانى من تلك الألواح ٤: أخضران و أحمران، فوقهما بحر مرخم فيه مكتوب: «إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً و هدى للعالمين، فيه آيات بينات مقام إبراهيم، و من دخله كان آمناً» .

و فى الجدار الذى كان فيه الباب من تلك الألواح ٣: أخضر بين أحمرين، و فوقهم بحر مرخم مكتوب من طرف عتبة الباب: «و لله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً- و من كفر فإن الله غنى عن العالمين» ؛ «بسم الله الرحمن الرحيم. إن الله و ملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليماً» .

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٥

و فى الجدار الشامى من تلك الألواح ٣ أيضا: أخضر بين أحمرين، و فوقهما بحر مرخم فيه مكتوب: «و إذ جعلنا البيت مثابة للناس و أمنا و اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى و عهدنا إلى إبراهيم و إسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين و العاكفين و الركع السجود» . هذه صفة البيت من داخله و خارجه .

صفة سقف البيت و عمدته

و سقف البيت على ثلاثة عتب أطرافها من الجدار الشرقى إلى الجدار الغربى . و العتب على ثلاثة أعمدة من خشب مخروطة على قواعد من خشب فيها مسامير فضة. و هى مصطفة من الجدار الشامى إلى الجدار اليمانى، بين العامود الأول و الجدار الشامى ٤ أذرع، و بين ذلك العامود و العامود الأوسط ٧ أذرع، و بين الأوسط و الثالث الذى يليه الجدار اليمانى ٧ أذرع، و بين العامود الثالث و الجدار اليمانى ٦ أذرع .

و سماء البيت مذهب فى خضرة ليس بمنقوش إنما هو دائر فى خضرة مذهبة.

و فى سماء البيت أربعة روازن، للضوء، جميعها مغطاة بحجر أبيض يسمى الطلق، يذكر أن عبد الله بن الزبير بعث به من اليمن فغطى منه الروازن ليدخل منها الضوء و لا- يدخل منها الماء. واحدة من الروازن على الحجر الأسود، و الثانية على وسط البيت بإزاء رأس العامود الأوسط، و الثالثة

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٦

على الركن الشامى، و رابعة على الركن اليمانى . و فى الركن عمود به قصبه فضة، و هى التى كانت بها قرط مارية و التميمية و قرن الكبش . و ليس بها اليوم إلا قنديلان من فضة كبيران منقوشان، و معلق فضة بقنديلين آخرين لا غير .

صفة باب الكعبة و ذرعه و عتبه

عتبه الباب من ساج أسود مكتوبة من داخل البيت مذهبة من خارجه.

و طول باب البيت ٧ أذرع و نصف ذراع، و عرضه ٤ أذرع الأربعة أصابع . و هو مكسو بصفائح الفضة المذهبة، و له حلقتان من فضة

بيضاء غير مذهبتين. و كان قفل البيت من نحاس أحمر مذهب، بعضه قد انكشف وبقى بعضه مذهبا، و هو اليوم حديد مكسو بالفضة

٤

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٧

طول القفل شبر. و الباب فى الجدار الشرقى، بينه و بين الركن الأسود ٥ أذرع، و يسمى هذا الموضع الملتزم، بينه و بين الركن الشامى ١٨ ذراعا، و ارتفاع الباب من الأرض ٥ أذرع.

صفة الحجر الأسود و ارتفاعه فى الركن و فضله

الحجر الأسود على ثلاثة أذرع من الأرض، و طول ما يظهر منه فى الركن شبر غير أصله فى الجدار شبر. و هو مصدوع مكسور على ثلاثة قطع: اثنتان كبيرتان و واحدة صغيرة، ذكر أن عبد الله ابن الزبير كان ألصقه و شده بالفضة و أدخله فى الركن. و كان قد بقيت القطعة الصغيرة منه عند بنى شيبه، فلما رده القرمطى بعد أخذه، ألصق بالأك و أضاف إليه بنو شيبه القطعة الثالثة، و أفرغ حوله الفضة و دارت الفضة بينها حتى صار كشبه العين.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٨

و فيه أيضا طرق كثيرة غير الصدع؛ فأكثر من استلامه و من الركن اليمانى، فإن ذلك يحط الخطايا. و تقول عند استلامه: بسم الله، و الله أكبر، اللهم إيمانك و تصديقا لما جاء به نبيك عليه السلام.

صفة الحجر و ذرعه

الحجر مكعب يشبه الصهريج ليس بالمربع، مرخم قاعه و حوائطه بالرخام الأبيض، طرفاه ليسا بملصوقين بركن البيت، يقابلان من الأركان الشامى و الغربى. بين طرفى الحائط الواحد و الركن الشامى ٨ أذرع، و بين الطرف الثانى و الركن الغربى ٦ أذرع، و هما بابا الحجر من حيث يدخل إليه. و دور الحجر ٤٥ ذراعا و نصف ذراع،

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٩

و طوله من جدار البيت إلى آخر جوف الحجر ٢٠ ذراعا، و عرض ما بين طرفيه ٢٥ ذراعا لأن طرفه الواحد يخرج عن ركن البيت الشامى قدر ذراع و كذلك مقابله. و الميزاب فى وسط ذلك الجدار الذى على الحجر فى وسط ما بين طرفى الحجر، لاصق بجدار الكعبة رخامتان خضراوان تجر إلى صفرة، ملصوقتان بالرصاص يقع عليهما ماء الميزاب. و ارتفاع حائطه ٥ أشبار، و عرض غلظه أربعة أشبار، مسطح أعلاه بالرخام الأبيض. و على ظهر الحائط فى وسطه مما يقابل الميزاب رخامة خضراء، تجعل صدرك عليها للدعاء فى تمام كل أسبوع؛ هذه صفة الحجر.

صفة المقام

حجر لونه بين الدكنة و الحمرة، منقط بنقط سوداء، له رأسان مختصر الوسط مخروط جدا، و عمق الأقدام فى الحجر أكثر من ثلثى الشبر يزيد نصف أصبع.

صفة القدمين فى الحجر: و صفة القدمين فى الحجر إبهام الواحد إلى كعب الثانى. و أصابع القدم اليمنى مما يلي مستقبل المقام، و كعب ذلك القدم إلى البيت الحرام، و أصابع القدم الشمال إلى البيت الحرام، و كعبه مما يلي مستقبل

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٠

المقام، و بين القدمين غلظ مما يلي البيت الحرام ثلاثة أصابع، ثم يضيق فيرجع فى وسط المقام إلى أصبعين مغلقين، ثم يضيق حتى

يرجع فى آخر الجبهه مما يلى مستقبه إلى أقل من غلظ أصبع .

ذكر صفة المقام: و المقام مكسو بغاشية فضة، فى الرأس الأعلى منقوش فى الغاشية مقابل مستقبه «سبحان الله»، و فى الجبهه التى تلى زمزم «و الحمد لله»، و فى الجبهه التى تلى البيت الحرام «لا إله إلا الله»، و فى الجبهه التى تقابل دار الندوة «و الله أكبر». و فى المقام، فى رأسه الأسفل، مقابض فضة ملصقة فى الغاشية يرفع بها المقام عند تحريكه و غسله. و هو قاعد فى وسط حويض من رخام أبيض مربع مكسو بغاشية فضة، عمق الحويض ٤ أصابع مغلقة فيه حلقتان. تنزل على المقام مكبة من خشب ارتفاعها ٤ أشبار، و تدخل تلك الحلقتان فى فتح فى المكبة و يضرب عليهما قفلان الواحد من جانب زمزم و الآخر من جانب دار الندوة. و لها مكبة أخرى من حديد فإذا قرب الحج و كثر الناس و أتى المرور، رفعت مكبة الخشب و أنزلت مكبة الحديد، و يوضع عن يمين المكبة و عن يسارها كرسيان من خشب يجعل عليهما ثوران من نحاس عليهما شمع من قير. و بين المقام و الكعبة ٣٠ ذراعا، و بينه و بين حد الطواف ١٢ ذراعا. فعرض الطواف هنالك ٤٢ ذراعا، و ليس يقابل باب الكعبة إنما يقابل وسط جدارها.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢١

صفة بئر زمزم و ذرعها و ذرع قبتها و ما فيها من الماء و فضلها

يستحب لمن حج أن يستكثر من ماء بئر زمزم، و يكون منه شرابه و وضوؤه ما أقام بمكة، و يكثر من الدعاء عند شربه و ليقل إذا شربه: «اللهم إنى أسألك علما نافعا و شفاء من كل داء»، فإنه لما شرب. و يستحب لمن حج أن يتزود منه لبلده فإنه شفاء لمن استسقى موقنا ببركته . قال ابن عباس:

«اشربوا من شراب الأبرار و صلوا فى مصلى الأخيار»؛ قال و شراب الأبرار ماء زمزم و مصلى الأخيار تحت الميزاب . و غور بئر زمزم من أعلاها إلى قاعها ٧٢ ذراعا، و من وجه الماء إلى أعلى البئر ٣٤ ذراعا، و من وجه الماء إلى قعر البئر ٣٨ ذراعا؛ و يذكر أنها تقرب ليلة النصف من شعبان فى وسط الليل . و ذكر أيضا أنه ليس يبقى أحد بمكة إلا يطهر منها تلك الليلة، فيخرج منها من الماء ما لا يعلمه إلا الله تبارك و تعالى، فما زادت و لا نقصت و لا تغير الماء عن حاله. و كذلك فى المواسم ما نقصت شيئا إلا

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٢

أن الماء يتمكن قليلا- فى المواسم. و قيل إنها غارت فى سنة ٣٢٤ و عطلت أياما، و كانت تجم ليجمع فيها الماء. و ذكر أيضا أنها جفت فى بعض تلك السنين حتى أن رجلا دخل فيها فصلى فى قاعها ركعتين .

و دور سعة البئر ١٨ ذراعا، و ذرع سورها ٦ أذرع، و عليها قبة مربعة على ١٦ سارية منقوشة كلها، و ٤ أركان معلقة بشرايب الحديد ترجع إلى باب لطيف من ناحية قبة الشراب، و يعرفها أهل مكة بساقية زبيدة . قاعها مبسوط بالرغام، و سقفها ملبس منقوش من داخله بخشب الساج، معمول من خارجه بالفسيفساء، مصنوع من زاج قد جعل فيه فرش الذهب. و فى أعلى القبة قبيبة فيها سلسلة من نحاس، يوقد على جميعها الشموع ليلة الختمه فى رمضان. و عليها يرتفع الداعى لأمر المؤمنين بالدعاء، و له مرتب على ذلك.

و قبة زمزم هذه تقابل من الكعبة الملتزم و هو ما بين الركن الأسود و باب الكعبة، و ركن القبة خارج عن ركن الكعبة؛ و دور القبة من داخل: صهاريج يصب فيها الماء، يتوضأ الناس منها للصلاة.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٣

صفة قبة الشراب

و بإزاء بئر زمزم

قبة الشراب، و هى مقبوه على أرجل من خشب، مغلوف بينها بالشرجب، ترجع إلى باب صغير من جانب دار الندوة. و ذرع القبة ٨٠

ذراعا، و قاعها معمول بالجيار فيه خواب مملوءة بالماء يسقى الناس منها من المغرب إلى العتمة؛ سقفا معمول بالفسيفساء، فى أعلاها زج يشبه صورة طائر من نحاس تديره الرياح؛ بينها وبين قبة زمزم ٣٥ ذراعا.

صفة بيت اليهودية

هو داخل المسجد الحرام، و هو بيت مربع أعلاه مشرف، جدره ملبسة بالجيار. و ليس فى المسجد الحرام بناء غير ما وصفت.

صفة المسجد الحرام و ذرعه و ما فيه من الصنع

و فى المسجد الحرام أربع أئمة: فالإمام الشافعى إلى المقام، و الإمام المالكى إلى الركن الغربى، و الإمام الحنفى إلى الميزاب، و الإمام الحنبلى يصلى إلى الركن اليمانى . و طول المسجد الحرام من ركن بنى شيبه، و هو الباب الذى يدخل الناس منه أول ما يدخلون المسجد الحرام، إلى ركن بنى جمح الذى عند باب السهمين الكبير ٤٠٧ أذرع . و عرضه من باب السهمين، و هو ركن الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٤

بنى جمح، إلى ركن منى و أجياد الكبير الذى على باب اليمانيين ٢٨٠ ذراعا .

هذا ذرع المسجد الحرام فى الطول و فى العرض.

و للمسجد الحرام خمس منائر: منارة فى ركن أجياد، و منارة على ركن أبى قيس- و فى ركن ذلك المنار مما يلي دار إبراهيم الخليل عليه السلام الميل الأخضر الذى منه ابتداء الهرولة- و منار ثالث على ركن بنى شيبه، و منار رابع على باب دار الندوة، و منار خامس على باب جمح، و يعرف بباب السدة.

عدد أبواب المسجد الحرام شرفها الله

له من الأبواب ١٧ بابا منها فى الشق الغربى و هو الذى يلي باب جمح و بنى سهم ٣ أبواب : باب السهمين الكبير و هو باب العمرة و منه يخرج الناس إلى التنعيم لعمل العمرة، و هو حنية كبيرة بلا سارية. ثم باب

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٥

ابراهيم عليه السلام و هو ٧ أقواس على ٨ أعمدة من آجر ملبسة بالجيار، تدخل منه قبل و صولك إلى المسجد، إلى دار كانت دار الحنطة زادتها زبيدة . و هى دار مربعة طولها ٥٦ ذراعا و عرضها كذلك ؛ و هى سقائف محمولة على أعمدة من آجر ملبسة بالجيار تشتمل على ٥٢ عمودا.

ثم تمضى منها إلى صحن المسجد؛ و خارج هذا الباب على ضفة الوادى بئر غدورة و بئر ابراهيم ، و هما بعيدا الرشا ملحان لا يشرب منهما. ثم باب جعفر ، و هو المعروف بباب اليمانيين، و هو قوسان على سارية.

و فى الشق الذى إلى جانب الوادى و أبى قيس ٦ أبواب : باب البقالين و هو باب أجياد الكبير، و يقابل هذا الباب دار أبى جهل، و هو قوسان على سارية، ثم باب الغزالين و هو قوسان على سارية؛ ثم باب الصفا و هو باب بنى مخزوم، و منه يخرج إلى الصفا و هو ٥ أقواس على ٤ سوار؛ ثم باب الخياطين و هو باب بنى طلحة، و هو قوسان على سارية و فى هذا الباب يبيع البدو أطعمتهم إذ يأتون إلى مكة.

و فى الشق الذى إلى جانب المسعى ٤ أبواب : باب على ابن أبى طالب رضه، و هو ٣ أقواس على ساريتين- و فى مقابل السارية الواحدة التى إلى جانب باب النبى صلعم الميل الأخضر الذى فى ركن دار جعفر لصق دار العباس؛ و هو رجل ملبس بالجيار، قد صبغ بالخرصة، بناه المهدي، جعله علما حيث تنقطع الهرولة. ثم باب النبى صلعم و هو قوس

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٦

صغير بلاسارية، ومنه يخرج إلى الحدائق وإلى الصيادلة؛ وعند طبل عظيم عرضه ٥ أشبار و هو من خشب تنم عليه رائحة الزنجبيل و هو مجلد من ناحية، يضرب من أول ١٠ ذى الحجة عند كل صلاة. ثم باب بنى شيبه و هو ٣ أقواس على ساريتين، ومنه دخل النبى صلعم، ومنه يدخل كل من دخل مكة حاجا أو معتمرا. و عتبه من القوس الأول إلى القوس الثالث هبل الصنم الأعظم الذى كان فى الكعبة، و كانت قريش تعبد من دون الله غيره الإسلام عن حاله و جعله عتبه لهذا الباب تطأه الأقدام؛ و إنما قصد به هذا الباب لأن الناس يدخلون عليه من جميع الآفاق، و الحمد لله على نعمه الإسلام. و فى هذا الشق المسعى و هو ما بين الصفا و المروة، و هو بطن المسيل، و فيه سوق مكة يجتمع فيه الباعة للمطاعم و الصنائع.

و فى الشق الذى يلي دار الندوة ٤ أبواب: باب السوارى و هو قوس صغير بلا سارية؛ ثم باب الندوة و هو قوسان على سارية، يدخل منه إلى دار الندوة التى زيدت فى المسجد. و هى دار مربعة يدخلها تبنيق من جانب دار العجلة، و هى سقائف من كل جانب على أعمدة آجر ملبسة بالجيار.

طول الدار ٣٢ ذراعا، و عرضها مثل ذلك، و جميع ما فيها من العمدة ٧٧ عمودا؛ و لها باب آخر يدخل منها إلى المسجد أيضا يعرف أيضا بباب الندوة،

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٧

و هو قوسان على سارية مما يلي دار العجلة. ثم باب الطبرى و هو قوس صغير بلا سارية، يقال له باب الشيد، و منه يخرج إلى دار جعفر الصادق. و فى هذا الشق أيضا ستة أبواب إلى الدور التى تجاور المسجد الحرام ليست من المسجد فى شىء.

عدد سوارى المسجد الحرام و ذكر معجزة النبى صلعم فى ابتياعه السارية الحمراء

و جميع ما فى المسجد الحرام من السوارى ٤٧٠ سارية؛ هذا فى السقائف خاصة، و فى أبواب المسجد ٢٦ سارية ليست من العدد الأول. و فى الدارين المزيدين فى المسجد: دار الندوة و دار الحنطة ١٢٧ عمودا فكملة بذلك عدد السوارى و الأعمدة ٦٢١ عمودا. و المسجد الحرام من كل جانب ٣ بلاطات فى كل شق من تربيعة. و فى طول المسجد من ناحية الصحن ٤٦ قوسا، و فى عرض المسجد من جهة الصحن أيضا ٣١ قوسا، و فى الوجه الذى يلي دار الندوة- فى وسط المسافة- سارية حمراء كانت ليهودية، و طلبها النبى صلعم لبيتاعها منها فأبت أن تبيعها منه إلا بوزنها من ذهب، فابتاعها منها صلعم فأخذها عليه السلام بهذا الشرط. فوضعت السارية فى كفة الميزان و وضع

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٨

النبى صلعم فى الكفة الثانية مثقالا فرجح المثقال ببركته صلعم، فأخذها عليه السلام و وزنها مثقالا واحدا فهذا من براهينه صلعم. و وجه كل بلاط من ناحية الصحن منزول بالفسيفساء.

عدد قناديل المسجد الحرام و ما فيه من الحطيم و الثريا

داخله ١٠ أرجل من خشب مصفحة بالنحاس تسمى كل واحد منها بالحطيم، تجعل عليه القناديل و تعلق منه بأقواس من زجاج فى رمضان. فمنه حطيم صاحب بغداد و حطيم شاه ملك العجم و حطيم سنجان ملك الفرس و حطيم السيدة؛ و هذه من ناحية المقام موقفة. و حطيم الحنيفة من ناحية الشام ينظر إلى الركن الغربى. فحطيم بغداد يتعلق منه ٢٠ قنديلا، و حطيم شاه يتعلق منه ١٠ قناديل، و حطيم سنجان يتعلق منه ١٠ قناديل أيضا، و حطيم الحنيفة يتعلق منه ٦ قناديل. و يتعلق من الذى على زمزم ١٠ قناديل، و يتعلق من الأربعة الباقية ١٨ قنديلا، فعدد ما يتعلق منها ٧٢ قنديلا. و يتعلق من سقائف المسجد الحرام

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٩

١٥٠ قنديلا و ٥ ثريات: واحدة على باب إبراهيم الخليل عليه السلام، و الثانية على باب الصفا، و ثالثة على باب شيبه، و رابعة على باب السورى، و الخامسة على باب بنى جمح .
و أرض المسجد الحرام رملة فى قوام السميد ؛ و قد رتب فيه نفسان بأيديهما و ضفان يرقعانها عند كل صلاة .

صفة الصفا و المروة

و الصفا حجر أزرق عظيم قد بنى عليه درج ، و من عليه يصعد إلى أبى قبيس، و عدد درجاته ٣٠ درجة و إلى آخر موضع الوقوف منها ١٨ درجة. و المروة أيضا حجر عظيم كأنه قد انقسم فصار بعضه كذا و بعضه كذا و صار ما بينهما فرجة نحو ١٢ ذراعا، بنى فى تلك الفرجة درج نحو العشرة إلى موضع الوقوف عليها، و بنى فى أسفلها من ناحية الشرق محراب .
و ليس يرى من البيت من أعلى المروة إلا قدر ذراعين .

ذرع المسعى: و ذلك من الصفا إلى الميل الأخضر الأول، الذى فى ركن المنار الذى على باب الوادى، و هو ١٨٠ ذراعا. و من ذلك الميل إلى الميل

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٣٠

الأخضر الثانى، الذى فى ركن دارى جعفر و العباس ١٢٥ ذراعا، و يقابل كل واحد من الميلين الأخضرين مثلهما على شكلهما. و من ذلك الميل إلى المروة ٤٧٥ ذراعا؛ فجميع ما بين الصفا و المروة ٧٨٠ ذراعا .

صفة منى و الجمره و رميها

إذا دخلت منى فقل اللهم هذه منى و هى مما دلتنا عليه من المناسك ، فأسألك أن تمن علينا فيها مما مننت به على أوليائك و أهل طاعتك و عبادك الصالحين. و منى شبه القرية التى بنيت على ضفتى الوادى النازل من عرفات . و فى وسط ذلك الوادى الجمرتان :
و الجمره الأولى

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٣١

هى جمره العقبة أول ما تلقى منى فى رأس العقبة على يسار الداخل فى منى من ناحية مكة، فارمها من أسفلها من بطن الوادى بسبع حصيات. و تقول مع كل حصاة: «لا-إله إلا الله و الله أكبر على رغم الشياطين أو الشيطان و خزبه». فإن رماها قبل الفجر لم تجز و أعاد رميها بعد الفجر و لا ذم عليه.

و الحصاة قربان فما تقبل منه رفع، و ما لم يتقبل منه بقى . و ليس على الخارج بمنى صلاة العيد و إنما صلاتهم فى ذلك اليوم وقوفهم بالمشعر الحرام .

و أيام منى أيام ذكر الله، قال الله تعالى: «و أذكروا الله فى أيام معدودات» فالمعدودات أيام منى الثلاثة، ترمى فيها الجمار و هى أيام التشريق و ليس يوم النحر منها لقوله تعالى: «فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه» فلو كان منها لقال فمن تعجل فى ثلاثة. فالنفر هو فى اليوم الثانى من الثلاثة التى بعد يوم النحر، و الأيام المعلومات يوم النحر و اليومان بعده، و اليوم الرابع للمعدودات خاصة. فإذا رميت جمره العقبة نحرت هديك و استقبلت به إلى القبلة، و قلت: «باسم الله اللهم منك و لك فأسألك أن تتقبل منى كما تقبلت من إبراهيم خليلك عليه السلام». و فى سفح الجبل على جمره العقبة مسجد و فى حائطه من ناحية الجوف حجر مبسوط أدكن فيه أثر قدم إسماعيل عليه السلام ولد إبراهيم الخليل حين أضجعه للذبح فركض برجله فلان له الحجر

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٣٢

فغرق رجله فيه صلعم . و فى هذا الموضع أثر الكبش و أسفل من ذلك فى جوف الشعب عند طلوعك إلى العقبة عن يسار الطريق مسجد بيعة الأنصار التى كانت فى الإسلام، بقى أثره إلى اليوم . ثم تدخل منى فتلقى الجمره الثانیه عن يسارك على باب مضرب السيل و مضرب المعتر، بينهما و بين جمره العقبة ٤٠٠ ذراع ؛ ثم الجمره الثالثه و هى وسط المحجبه بينها و بين الجمره الوسطى ٣٥٠ ذراعا . و ترمى الجمرات الثلاث بسبع حصيات، و تقول إذا رميتها مثل ما تقدم من القول. و يعلن الحاج بالتكبير أيام منى، و يذكر الله و يكبر فى أى ساعات النهار شاء، و لا- يقطع التكبير حتى يصلى الظهر و العصر بالمحصب . فإذا دخلت مكه و طفت طواف الإفاضة فقل: «اللهم لك الحمد على تسليمك إياى حتى قضيت حاجتى مفلحا، قد غفرت لى ذنبى و قضيت لى حوائجى، إنك على كل شئ قدير» .

فإذا ودعت البيت و صدرت عنه، فلا- ترد له ظهرك حتى تغيبه؛ و تقول عند ذلك: «اللهم اجعله حجا مبرورا و ذنبا مغفورا و عملا مقبولا و سعيا مشكورا يا أرحم الراحمين. اللهم لا تجعله آخر العهد من بيتك المعظم و من زيارة قبر نبيك المكرم و اقلبنى سالما إلى أهلى إنك على كل شئ قدير».

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٣٣

صفة مسجد الخيف و ذرعه و ذكر الغار الذى بقربه

المسجد فى أصل الجبل يمين الطريق إذا سرت إلى المزدلفة من منى . و هو مبنى من حجارة مطرورة أكثرها آجر ملبسه بالجيار؛ البيت منه على ثلاث بلاطات، و حول الحصن من جانب سقيفه على أقواس معقودة على أرجل من آجر ملبسه بالجيار؛ جميع ما فى المسجد كله ١٨٥ رجلا . و طول المسجد ١٧٥ ذراعا و له ٧ أبواب و باب ثامن صغير فى قبله المسجد قريب من المحراب إلى دار الإمام . و فى وسط صحنه منار قد تتلم أعلاه . و بالقرب من المسجد فى أصل الجبل غار دخله النبى صلعم منحيا فلم يتمكن له فيه جلوس حتى لان له فيه الحجر فغرق فيه مرفقه و رأسه صلعم ؛ فكل من دخله لا يتمكن له فيه جلوس حتى يضع مرفقه و رأسه فى الموضع الذى وضعه فيه النبى صلعم . و فى هذا الغار أنزلت عليه سورة «المرسلات» فيعرف بغار المرسلات.

صفة مسجد المزدلفة

و مسجد المزدلفة أسفل من المسجد الحرام على يسارك إذا مضيت إلى عرفات؛ و فيه يجمع ما بين المغرب و العشاء إذا نفرت من عرفات، لقول النبى صلعم:

«الصلاة أمامك» . و هو مبنى بحجارة مطرورة دون سقف؛ إنما هو حائط

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٣٤

من جميع جهاته الثلاثه، و الوجه الرابع غير قائم و ليس له محراب. و فى القبلة منه حجر منقوش. و طول المسجد ٦٣ ذراعا، و عرضه ٥٠ ذراعا، و ارتفاع حائطه ١٠ أذرع. و المزدلفة كلها مشعر الابطن محسّر . و لا تدع التكبير و التهليل فى نزولك بالمزدلفة، و فى دفعك منها إلى منى و قل:

«اللهم إنى أسألك جوامع الخير كله»، و أسأله ما شئت فإنه موقف عظيم؛ و خذ حصيات الجمرات من المزدلفة فإنه أحسن .

صفة المشعر الحرام

و هو موضع مرتفع، عن يمين الطريق إذا مضيت إلى عرفات، من أصل جبل بنى قرح فى ذلك إلى الارتفاع. و هو منار من حجارة

مطرورة بالجيار؛ ارتفاع ذلك المنار ١٢ ذراعاً، و دور غلظه ١٢ ذراعاً و نصف ذراع. و يرقى إليه من داخله على ١٥ درجة؛ و له باب صغير نحو الكعبة. و حيثما وقفت من المشعر الحرام فكله موقف؛ و ارتفع عن بطن محسّر فتحرك فيه بكل حال إن كنت ماشياً أو كنت راكباً، فهورول حتى تخرج منه فإنها السنة. الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٣٥

صفة عرفات و جبل الرحمة

و عرفات قرية صغيرة فى جانب بنى ضبّة، غربيها تحت الموقف، عن يمينك إذا استقبلت الموقف. و جبل الرحمة الذى يطلع الناس إليه للدعاء هو أقرب الجبال إلى الموقف؛ و هو جبل صغير ليس بالعالى جدا ينقطع من كل جانب. و هو على الموقف، و قد بنى حوله شبه الساقية، يرتقى منه إلى الجبل من ثلاثة مواضع من ناحية الموقف، فى الواحد منها ١٧ درجة، و فى الاثني عشر. و فى أسفل الجبل منها ٣ صهاريج للماء؛ و فى أعلى المبنى مسجد لأم سلمة زوج النبي صلعم .

صفة شريعة ابراهيم عم

الإستبصار فى عجائب الأمصار؛ النص؛ ص ٣٥ هو حائط مبنى من كل جهاتها غير مسقف، و قد انهدم أكثرها فما بقى منها إلا جدار القبلة و فيه المحراب؛ و عن يمينك إذا استقبلت المحراب ٣ أقواس معقودة يدخل منها الناس. و موضع المنبر هناك عن يمين مستقبل المحراب، طول الشريعة ١٧٠ ذراعاً و عرضها ١٥٠ ذراعاً. و قبلى الشريعة بركة للماء، و خلف تلك البركة منبت الأراك؛ و هو بطن عرنة، قريبة إلى العلمين اللذين هما حد الحرم. و هناك يجب الارتفاع للماشى و الراكب؛ و من وقف عليه عشية الوقوف فقد فسدت حجته لقوله عليه السلام: «عرفة كلها موقف و ارتفعوا عن بطن عرنة». و قيل إنه من الحرم؛ و عرض ذلك الوادى قدر ٨٠٠ ذراع إلى العلمين . الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٣٦

صفة بطن محسّر و فى أى موضع هو من المزدلفة

بطن محسّر فى أول دخولك إلى المزدلفة من ناحية الغرب إلى الشرق يشقه الطريق؛ و هو بطن مسيل عرضه ١٠٠ ذراع، ثم تفصل عنه إلى موضع مرتفع و أنت خارج إلى المزدلفة؛ و سقايه عباس هناك عن يمينك، و هى بركة عظيمة ليس بها ماء عظيم اليوم.

صفة المأزمين

هما جبلان فى فم المضيق إذا خرجت عن المشعر الحرام تريد إلى عرفات، و توقد هناك فى ليلة النحر مشاعل كثيرة عن يمين الطريق و عن يساره.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: تم جمع ما شرطنا من وصف مكة - شرفها الله تعالى - فلندكر الآن صفة مسجد النبي صلعم بالمدينة و صفة روضته و صفة قبور الشهداء رضى الله عنهم. الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٣٧

صفة مسجده صلعم

إشارة

و مسجد النبى صلعم مستطيل غير مربع، يزيد طوله على عرضه ١٠٠ ذراع . و سماء المسجد منقوشة مدهونة محفورة مذهبة، كلها على عتب منقوشة على أعمدة خرز أسود بعضه على بعض ملبسة بالجيار .

و هو ليس على أقواس إلا ما كان إلى الصحن، فإنه أقواس معقودة وجوها منزولة بالفسيفساء على أعمدة من خرز ملبسة بالجيار. و الأعمدة التى إلى صحن المسجد هى أقصر من التى عليها سماء المسجد، و تلك الأقواس التى إلى صحن المسجد مغلقة بشر اجيب الساج؛ مقدم المسجد خمس بلاطات معترضة، و مؤخره مثل ذلك، و مجنبه المسجد الشرقية فيها ٣ بلاطات معترضة، و مجنبته الغربية ٤ بلاطات ؛ و من مقدم المسجد إلى الصحن ١١ قوسا، و كذلك من مجنبته الأخرى. و طول المسجد من ركن منار بلال رضه و هو الذى يازاء قبر النبى صلعم إلى ركن مؤخره، و عرضه من باب جبريل عليه السلام و هو الذى يازاء قبر النبى صلعم إلى باب الرحمة التى بجانب دار السيدة ١٧٠ ذراعا.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٣٨

صفة الروضة التى بين القبر و المنبر

طول الروضة التى بين قبره صلعم و المنبر ٥٦ ذراعا . و ذرع الموضع المرخم الذى فى وسطه الروضة، و هو الموضع الذى كان يقعد فيه النبى صلعم، و يستند إلى تابوت من خشب كان يرفع فيه حوائجه صلعم، فذلك الموضع اليوم شبه الحوض، مرخم عمقه قدر شبر و طوله ٣ أذرع. و التابوت فيه باق إلى اليوم، و عليه قفل من حديد ما فتحه أحد و لا يعلم ما فى داخله؛ و التابوت فى قبلة الحوض منزل منه إلى الأرض بمقدار ما يتحرك .

صفة الروضة التى فيها قبر النبى صلعم

قبره صلعم فى ثلث البلاط الأوسط من ناحية الشرق، و هو فى روضة مخلقة و لها ٥ أركان: فى الحائط الذى ينظر إلى القبلة منها، فى الركن منه من ناحية المنبر، وجه النبى صلعم إلى القبلة؛ و عند قدر وسطه عليه السلام وجه أبى بكر رضه، و قبالة ذلك مسمار فضة علامة لموضع وجهه رضه؛ و عند قدر وسط أبى بكر وجه عمر رضه و من ذلك الحائط إلى حائط القبلة ٢٠ ذراعا، و طول هذا الحائط ١٩ ذراعا، و طول الحائط الذى يلي باب جبريل عليه السلام ١٥ ذراعا،

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٣٩

و بين هذا الحائط و حائط المسجد الشرقى ٩ أذرع. و طول الثلاثة أوجه سوى هذه ١٥ ذراعا، و ارتفاعها من الأرض نحو من ١٢ ذراعا، و هى مرخمة كلها، و عليها مما يلي سقف المسجد شباك الحديد، و هى مكشوفة ليس لها سقف، و لها سماء إلى سقف المسجد . و قد أسدلت عليها أستار من الديباج الملون إلى قدر ثلثي الحيطان، و الثلث الباقي من ناحية القبلة و الغرب ملطخ بالعنبر و المسك و الزعفران.

و فى الركن الذى عند رأس النبى صلعم رخامة خضراء ما رأى أحد أجمل منها، جعلت علامة لموضع رأسه صلعم.

صفة المنبر

هو من ٨ درجات يقعد الخطيب منها فى الدرجة السابعة، و الثامنة عليها مكبة من خشب لثلا يرقى عليها أحد لأنها الدرجة التى كان يقف عليها النبى عم. و بين المنبر و حائط القبلة ٢٠ ذراعا، و بينه و بين المقصورة ١٢ ذراعا، و بين وجه المقصورة و حائط القبلة ٨ أذرع .

وفى جانب المنبر من ناحية الروضة حلقة فضة على كوكب فضة تدور لها صوت الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٤٠
إذا حركت، كان النبى صلعم يشغل بها الحسن والحسين رضه عنهما.
وفى قبلة المنبر، مائلا إلى الشرق قليلا، عمود من أعمدة المسجد قد قطع فيه قدر شبر، و دخل فى جوف العمود الجذع الذى حن
لرسول الله صلعم.

صفة المحراب

المحراب ليس فى وسط حائط القبلة، إنما هو أميل إلى الشرق ب ٢٠ ذراعا . و القبلة مرخمة و على الترخيم مكتوب، من باب الرحمة
إلى باب السلام، من أول سورة «و الشمس و ضحها» إلى آخر سورة «قل أعوذ برب الناس» الخ. و على جانب المحراب كوكب كبير،
وفى وسطه حجر من ياقوت أزرق يذكر أنه وسط عقد فاطمة الزهراء رضه. و فى قبلة المسجد عن يمين المحراب باب صغير، تحت
المقصورة فى وسط البلاط، يهبط منه على درج إلى باب كان يسكن فيه آل عمر رضه.

عدد أبواب مسجد النبى صلعم

و للمسجد ٢٠ بابا: منها فى الجانب الشرقى ٧ أبواب مربعة بمصاريح مشرجه؛ و فى الجانب الغربى كذلك منها باب صغير بدفة، و هو
قوس

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٤١

ليس للمسجد باب بقوس غيره . و فى الجانب الحوفى ٤ أبواب أيضا كبار؛ و باب فى القبلة، و باب تحت المقصورة التى تقدم ذكرها
.

عدد ما فى المسجد من العمد

و جميع ما فى المسجد من العمد ٢٧٦ عمودا . و للمسجد ٣ منائر على ٣ أركان : منها على ركن القبلة الشرقى منار، و على الغربى
منار، و على ركن مؤخر المسجد منار. و المسجد مبسوط مقدمه و مؤخره و مجتبه بالحصى الأدكن. و كان فى البلاط الأوسط عام
٥٢٨ [١١٣٤] و طاء طبرى مبطن. و جميع جدره مرخمة قدر قامتين أو أزيد قليلا، و صحنه مبسوط بالحصى، و هو مغروس بالنخيل. فى
البلاط الشرقى بناء قائم يشبه المحراب، ذكر أنه كان موضع صلاة فاطمة رضه. و فى الجوف ، فى وجه البلاط فى الصحن، بناء قائم
كأنه بيت، ذكر أنه مخزن المسجد.

عدد ما فيه من القناديل

وفى المسجد من القناديل ٢٨٤ قنديلا ؛ و كان يحرق كل ليلة ١٠ أرتال من الزيت.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٤٢

صفة بقیع المدينة

بقيع المدينة من ناحية الشرق؛ فأول ما تلقى إذا خرجت إلى البقيع قبر مالك رضه، و هو قبر مهمل مبنى بالحجر و الطين مرتفع من
الأرض نحو ٤ أشبار، و عند رأسه حجر أدكن منقوش تاريخه من يوم مات. ثم تسير منه قليلا و قد بصقت القبور موتاها و رفضت
الأرض جميع ما دفن فيها من صغير و كبير، و لم يبق فى بطنها منهم شئ إلا رفضته على وجهها. فلم يبق عضو من أعضائها و لا عظم

من عظامها، و لو كان مقدار خردل إلا و خرج على الأرض من ناس أهل المدينة خاصة. و ترى البقيع شبه المقتلة من دفن قديم و حديث و جماجم الموتى بالية قديمة و أخرى حديثة، فهذا عبرة لمن اعتبر. ثم تسير قليلا فتلقى روضة العباس بن عبد المطلب رضه، ثم روضة إبراهيم ولد النبي عم، ثم روضة عثمان بن عفان رضه، و روضات كثيرة .

صفة مسجد قبا

و هو مسجد على ثلاثة أميال من المدينة، تصلى فيه إذا مررت به.

و هو مسجد مربع طوله ٧٠ ذراعا و عرضه كذلك، مقدمه ٣ بلاطات، و مؤخره مع مجنبتة سقيفة واحدة على أعمدة من خرز ملبسة بالجيار عددها

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٤٣

٤٣ عمودا ، و له ٣ أبواب بلا مصارع . و على ركن مؤخر المسجد مكتوب عن يسار من استقبال المحراب: «إن النبي صلعم دخل على أم أيمن و هى حزينة فقالت له ليس عندى ما أحج به فقال لها صومي أيام العشر ثم ايت مسجد قبا يوم عرفة فصلى فيه ركعتين تنقلبى بثواب حجة» . و مكتوب أيضا أن سعد بن أبي وقاص رضه قال: «لئن آت مسجد قبا فأصلى فيه ركعتين أحب إلى من أن أزور بيت المقدس مرتين. و لو علم الناس ما فى مسجد قبا لضربوا إليه آباط الإبل» .

و بئر قبا التى مضمض النبي صلعم و مسح فيها و كانت ملحة فعذبت ببركته صلعم، و هو بغربى المسجد. و بيت سعد بن خيثمة الأنصارى الذى كان يقيم فيه النبي صلعم بين المسلمين، هو قريب من ركن المسجد الغربى .
و من مقدم المسجد و الشجرة التى كانت تحتها البيعة سقف، و ذلك السقف جزع و هو مغطى بالألواح .

صفة قبور الشهداء بأحد رحمة الله عليهم

و قبور الشهداء فى أصل جبل أحد ، أقرب ما يكون منها بأحد حظير مبنى من حجارة ارتفاعه إلى المحزم ، فيه من القبور ٣٧ قبرا

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٤٤

مغطاة بالجندل. و قبر العروسين معاذ بن عمرو بن الجموح و صاحبه معاذ بن عمر اللذين أمر النبي صلعم أن يدفنا فى قبر واحد ، و هما بغربى ذلك الحظير، بينهما قدر رميتين بحجر؛ و عليه لوحان مكتوبان الواحد من مسن المدينة و الآخر من خشب. و قبرا هما مقبو عليهما، ارتفاعه قدر القامة عنده ١٢ قبرا. و أسفل من الحظير قبر حمزة بن عبد المطلب ، و قد بنى حوله حظير، و قطع منه مسجد و قبر. و القبر فى الحظير أمام المسجد غير ممهد، عند رأسه لوح من مسن المدينة فيه مكتوب: «هذا قبر حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلعم، أسد الله و أسد رسوله، سيد الشهداء و قائدهم إلى الجنة؛ شهد بدرا و قتل يوم أحد رضه». و عند ظهره لوح مكتوب فيه: «إن الله أشتري من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون و يقتلون» إلى آخر الآية . و عند رجله لوح مكتوب فيه: «إن الله و ملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليما» . «هذا قبر حمزة بن عبد المطلب، أسد الله و أسد رسوله، شهد بدرا و قتل يوم أحد شهيدا».

و من ذلك الحظير على يساره إذا مضيت إلى أحد، عن يمينك قبل أن تبلغ قبر حمزة، مبنى ارتفاعه إلى المحزم، عليه لوح مكتوب من خشب: «هذا قبر سهل بن قيس بن سعد، صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه و سلم، شهد بدرا و قتل يوم أحد شهيدا .

قال المؤلف رحمه الله تعالى: انتهى ما قصدته من ذكر مكة شرفها الله، و ما سقته معها من ذكر المناسك، و وصف مسجد النبي عم بالمدينة. و الآن أشرع فيما أشرطه من ذكر البلاد بمبلغ الوسع و الاجتهاد، و الله الموفق للصواب.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٤٥

ذكر بلاد مصر و ما فيها من العجائب

إشارة

بلاد مصر فى أول الإقليم الرابع، لها من البروج الجوزاء، و من النجوم عطارد . و هى من أسوان إلى الإسكندرية، و خصبها و زرعها و فواكهها كثير جدا، يسقى جميعا بالنيل . و النيل من عجائب العالم لا يعرف له منبع من تحت جبل القمر، وراء خط الاستواء بتسع درجات و نصف درجة، يخرج من ١٢ عينا هنالك، يجتمع فى بحيرتين هناك كالبطائح ، ثم ينبعث من كل بطحة ٣ أنهار، منها نيل مصر و غيره من الأنهار الكبار التى يأتى ذكرها إن شاء الله تعالى. و ذلك فى البلاد المحترقة الجنوبية التى لا يكون فيها نبات و لا حيوان، لقرب الشمس من ذلك الموضع .

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٤٦

قيل ينبعث نيل مصر فى رمال و جبال، ثم يخترق أرض السودان مما يلي بلاد الزنج، ثم ينبعث منه خليج يشق بلاد الزنج يصب فى بحر الزنج . و تظهر فى هذا الخليج الزيادة التى تظهر فى نيل مصر؛ و فيه التماسح الكائن فى نيل مصر، و يسمى الورل الذى يكون فى الصحراء و البرارى إنما أصله من التماسح.

و ذلك أن التماسح يخرج من النيل فيسرح على السواحل، فربما قبض عنه الماء فيبقى فى البر، فيتناسل فيكون منه الورل المشهور. و التماسح لا يوجد إلا فى نيل مصر، أو فى نهر أصله من ماء واحد مع نيل مصر .

و فى نيل مصر السمك الرعاد ؛ من صاده لم تزل يده ترتعد ما دام فى شبكته أو فى صنارته. و على النيل جبل هامد، يراه أهل تلك الجهة، من انتضى سيفه ثم أولجه فيه، و قبض على مقبضه بيديه جميعا، اضطرب السيف فى يده

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٤٧

فارتعد، و لا يقدر على إمساكه و لو كان أشد الناس. و إذا أحدّ بحجارة هذا الجبل سكين أو سيف لا يؤثر فيه حديد أبدا، و جذب الإبر و المسال أشد جذبا من المغنطيس، و لا يبطل الثوم عمله كما يبطل المغنطيس. و حجر الجبل نفسه لا يجذب الحديد، فإن حدّ عليه الحديد، جذب ذلك الحديد ؛ و هذا من العجائب.

و يقال إن نيل مصر يجرى على وجه الأرض ٧٠٠ فرسخ، و يجرى فى غير عمران مسيرة ٤ أشهر، و فى بلاد السودان مسيرة شهرين، و فى بلاد مصر مسيرة شهر، من أسوان إلى أن يصب فى البحر بخلق رشيد بشرقى الإسكندرية . و ذكر هورشيش الرومى فى تاريخه أن منبعه إلى موقعه ٩٩٠٨٣٠ ميلا . و النيل مخالف لكل نهر من أنهار الأرض: لأن كل نهر يستقبل الجنوب، و النيل يستقبل الشمال، فهو مخالف لجميع أنهار الدنيا؛ و علة ذلك أن منبعه من الجنوب؛ قال الشاعر:

بلاد مصر شأنها عجيب و نيلها تجرى به الجنوب

قيل و ليس فى الدنيا نهر يسمى بحرا و يمّا غير النيل؛ قال الله تعالى: «فإذا خفت

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٤٨

عليه فألقيه فى اليم» ؛ و العرب تسميه بحرا. و ليس فى الدنيا نهر يفيض على الأرض و يزرع عليه و يغنى عن المطر غير النيل. و قيل إن بلاد مصر ٣ أشهر درة بيضاء، و ٣ أشهر مسكة سوداء، و ٣ أشهر زمردة خضراء، و ٣ أشهر سبيكة حمراء. و تفسير ذلك أن النيل إذا استوى، طما جميع أرض مصر فتبقى قراها و ضياعها فى رواب و تلالل كأنها الكواكب، و يتصرف الناس بينها فى الزوارق فتكون الأرض كدرة بيضاء. و يمكث عليها الماء ٣ أشهر، فإذا قبض عنها الماء أخذ الحراثون فى بذر الزرع، فتمكث الأرض سوداء إلى أن ينبت الزرع و تظهر خضرته ٣ أشهر، فكان الأرض مسكة سوداء، و أيضا فإنها تفوح منها رائحة طيبة عطرة. فإذا كبر الزرع و ظهرت خضرته، كانت الأرض كأنها زبرجدة خضراء. و بقيت كذلك ٣ أشهر، إلى أن يصفر الزرع و يبسى و يتناهى، كانت الأرض عند

ذلك كأنها سبيكة ذهب حمراء، و بقيت كذلك ٣ أشهر حتى يتم الحصاد .

و ذكر أن مصر فى كتب الأوائل مصورة و سائر البلاد مادة اليها أيديها تستطعمها ، و معنى ذلك أنها أكثر بلاد الله زروعا. و ذكر أن هارون الرشيد صورت له مدائن مصر و مدائن الدنيا فما استحسنت منها غير عمل مدينة أسيوط؛ و هى بسيط واحد لو قطرت فيه قطرة فاضت على جميع نواحيه، يبذر فيها جميع الحبوب، فإذا اخضر فلا يكون على الأرض بساط أعجب الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٤٩

منه . و الجانب الغربى من هذه المدينة جبل أبيض كأنه طيلسان ، و يحيط بها من الجانب الشرقى النيل كأنه جدول فضة، قد تشبكت عليه فى الأرض الأشجار و الكروم، فلا تسمع فيه الكلام من شدة أصوات الطيور .

و لنيل مصر فى زيادته و نقصانه عجائب كثيرة، عرضنا عن ذكرها لكثرة معرفة الناس بها. و ليلة الغطاس بمصر من أعجب شىء؛ و تسمى فى هذا الزمان كسر الخليج، و هى لعشر تمضى من كانون الآخر و هو بلغة الروم يئير؛ و ذلك الوقت يستوى مد النيل و يأخذ فى الانحطاط. و أصفى ما يكون ما النيل فى ذلك الوقت. و لهذه الليلة بمصر شأن عظيم، و ذلك أنه يخرج تلك الليلة جميع البشر ممن يقدر على الخروج تلك الليلة و قد أعدوا ما أمكنهم من الأطعمة و الأشربة، و لبسوا أحسن ما عندهم من الملابس، و أظهروا ما أمكنهم من الجواهر و أوانى الذهب و الفضة، و أحضروا جميع الملاهى. و يدخل الناس فى الزوارق، و منهم من يدخل فى الدور المشرفة على النيل، و يشعلون المشاعل و الشمع الكثير. و يشعل صاحب مصر الشمع على جانب النيل ، فيحرق فى تلك الليلة بمصر من الشمع ما لا يحصى عدده؛ فترى الناس على شطوط النيل فى الزوارق، و منهم فى الدور المشرفة على النيل بالطبول و الأبواق و جميع الملاهى.

و هى أحسن ليلة تكون بمصر و أكملها سرورا؛ و يغتسل أكثر الناس فى النيل، و من لم يغتسل يرش عليه من الماء، و يزعمون أن ذلك أمان من المرض .

قال عمرو بن العاص: «ولاية مصر تعدل الخلافة»، لأنها جعلها الله متوسطة بين الإقليم الثالث و الرابع؛ سلمت من حر الإقليم الأول و الثانى، و من برد الإقليم الخامس و السادس. و قال الجاحظ: «أهل مصر أعقل الناس صغارا الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٥٠

و أحققهم كبارا». و قيل إن مصر لم يجعل الله فى أرزاق أهلها و لا فى أقواتهم نصيبا مما قسم على عباده: من الرحمة بالغيث الذى جعله الله عمارة البلاد.

نبذ من أخبار ملوك مصر من لدن عمارتها

يقال و الله أعلم إن أول من ملك مصر عند قسمة الأرض بين ولد آدم، زمن أنوش، بوصية آدم عليه السلام، ملك يقال له نقرأوش بن أضرم. و هو أول من اتخذ المصانع، و عمل الطلسمات و أقام الأساطين، و زبر عليها التواريخ، و بنى المدن . و هو الذى حفر النيل و عمقه و وسعه؛ و كان قبل ذلك ينقطع و يستنقع.

و عمل للتماسيح على شاطئ النيل فى آخر بلاد النوبة مبنيين، و زبر عليهما أحرفا منعت التماسيح أن تنحدر فى النيل. و كانت كتابتهم بالقلم الخلقطير و هو قلم آدم عليه السلام. و كان عالما كاهنا و كان له رأى من الجن؛ و يقال وقع إليه بعض العلوم التى كان رزآبيل الملك علمها آدم عم، فعمل بها عجائب: منها صورة طائر على اسطوانة عالية يصفر فى كل يوم مرتين، عند طلوع الشمس، و عند غروبها، تصفيرا مختلفا يستدل به على ما يكون من الحوادث. و عمل فى مدينة برسان، و هى التى بناها لابنه مصرام، قبة ذهب على منار عال، لا تزال على تلك القبة سحب تمنعها من الشمس. و عمل على باب المدينة أصناما موجهة إلى نواح مختلفه، إذا قصد أرضهم قاصد بسوء أرسلت عليه نارا فأحرقته. فكان ملكه ٢٣٠ سنة.

فلما مات جزع عليه قومه أشد جزع، فقاموا يطوفون به على أعناقهم ٣٠ سنة .

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٥١

ثم ملكهم من بعده ابنه مصرام، و كان يعبد زحلا، و حارب أمه من الجن حتى أدخلهم فى طاعته بالعزائم الشداد. و بنى فى صحراء المغرب مدائن معلقة على أساطين رخام، تحيط بها شباك من ذهب، و جعل فيها خزائن الحكمة.

و جعل لها أبوابا تحت الأرض لا يدخل إليها إلا منها؛ و جعل لها أفقلا و مفاتيح مدبرات. و كانت ٣ مدن فى كل مدينة ٣ خزائن، فيها عجائب العلم و طرائف الحكمة و رموز الصنعة، و أجرام من الماء المعقود لا يتحلل، و من الهواء المجد لا يضمحل. و فيها مطهرة من ماء الحياة الإلهى الصنع، و فيها صورة الكواكب فى بيوت شرفها، و على رؤوسها أكاليل الغلبة، و يازائها صور الحكماء المقيمين لأموها بأيديهم مصاحف الصنعة، و جميع الطلسمات و العلوم، و من دروب الأحجار الرقيقة و الجواهر النفيسة و الأجرام العجيبة: من الدر الخطير، و سبائك الذهب و الفضة، و الحجارة الرقيقة، و العقاقير المكونة و الأدوية المؤلفة. و صور هذه الخزائن فى كل برى من برابى مصر، قد زبروا عليها بخطوطهم، و خبرها مشهور فى جميع مصاحفهم القديمة و هياكلهم المرسومة.

و بنى هذا الملك مدينة بالقرب من هذه المدن الثلاث على هيئة الجنة بزعمه، و جعل لها أسرابا تحت الأرض، يوصل منها إلى هذه المدائن الثلاث، و توصل من بعضها إلى بعض .

أخبرنى رجل دخل بلادا كثيرة، أن الغاوى الذى بجبل ألموت إمام الحشيشية، يرى اغتيال الملوك عند مدينة تحت الأرض على هذه الصورة.

يدخل فيها المستجيب له، فإذا عين ما أعد له فيها، يقال له: هذا لك إذا قتلت فلانا فى الموضع الفلانى. و يكون إدخاله فى تلك المدينة و هو قد سقى المرقد، فينتبه فيها.

فإذا أريد إخراجها، سقى المرقد أيضا، و يخرج فينتبه فى منزله، و يتذكر ما رأى،

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٥٢

فيقصه على من أمامه. فيقول له: إنك رأيت هذا فى منامك و هو بشرى لك، فلا تنشى عما أمرت به و يبشره بالمشوبة عليه، و يرفع له خنجرا مسموما معدا عنده من حينه .

قال المؤلف فلما هلك الملك نقرأوش المتقدم الذكر، ملك بعده ابنه سورت. و كان موحدًا مؤمنا. فغلق هياكل الكواكب فقل النيل فى أيامه، فرفضه بنو أبيه و خلعه و ملكوا أخاه الأصغر مصرام المتقدم الذكر. و كان جبارا فزاد فى هياكل الكواكب، و احتفل فى شكرها و بر سديتها و زاد فى دخلها و قرايينها. و كان له ربى فأمره أن يحتج عن الناس، و ألقى على وجهه نورا حتى لم يتمكن أحد من النظر إليه؛ و ذلل له الأسد فركبها، و ادعى الإلهية و دعا الناس إلى عبادته، و غاب عن الناس نحو ٣٠ سنة. و ركب فى غيبته أنواعا من الدواب العظام من الوحوش و السباع لها منظر يهول. و مضى به ذلك الربى حتى أوقفه على البحر الأسود، فبنى فى وسطه صنما من حجر أسود أبيض، و زبر عليه اسمه و جعله قربانا للشمس، و عمل قلعة الفضة التى فى البحر الأسود و خبرها مشهور.

ذكر ذلك الموس الكاهن فى سير الملوك القدماء. و زبر على ذلك الصنم:

«أنا مصرام الحبار جامع الأخبار و كاشف الأسرار و العالم القهار؛ و أظهرت الحكمة العجيبة و كشفت الأمور الغريبة؛ و نصبت الأعلام الهائلة على البحار السائلة ليعلم من بعدى أنه لا ملك مثل ملكى». و قيل إنه ركب فى مدينة برسان شجرة تؤكل منها كل فاكهة، و عمل عجائب و غرائب يطول و صفها .

فلما هلك مصرام ملك بعده من بنيه عدة ملوك، كل واحد منهم يعمل فى وقته عجائب و غرائب فى البناء، و غير ذلك من الطلسمات و الصور و الأصنام المركبة من الجواهر الغالية؛ إلى أن ملك من بنيه شوندين بن سلمون صاحب الأهرام.

و كان ملكا عاقلا عالما محبا للعلماء، و كان أوتى من العلم و الحكمة ما لم يسبقه إلى ذلك ملك و لا غيره، و كان يتعهد من مصالح

الرعية ما لم يتعهده سواه من الملوك، و كان ينفق على الزمنا و الضعفاء من ماله. و اتخذ مرآة من أخلاط

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٥٣

و أقامها على منار فى وسط قصره، فكان ينظر فيها جميع الأمم و الأقاليم و غير ذلك، و يقابل ذلك بما يصلحه. و كان قد عهد إلى رئيس كهنته ان يأمرهم بالنظر فى كل يوم ما يحدث فى العالم، و يخلد ذلك فى كتاب؛ فجمع إليه العلماء و الكهنة و المنجمون من جميع أقطار الأرض، و حققوا له ما أراد و تم له ذلك. و عملت له الغرائب و العجائب فى البناء و الطلسمات، و غير ذلك، و فى أيامه بنيت الأهرام التى بأرض مصر. فيقال إنه ليس على وجه الأرض حجر موضوع على حجر أغرب من بناء أهرام مصر. و كان سبب بناء هذ الأهرام أن الملك شوندين رأى رؤيا هائلة، و ذلك أنه رأى الكوكب المعروف بالبانية فى صورة طير أبيض و كأنه يختطف العالم و يلقيهم بين جبلين، و كأن الجبلين انطبقا عليهم، و أن الكواكب المنيرة مظلمة كاسفة كلها. فأخبر بذلك رؤساء الكهان و العلماء و أمرهم أن ينظروا ما تدل عليه الكواكب مما يحدث فى العالم، فأقاموا الكواكب فى مراكزها فى وقت مسألة فدلّت على آفة نازلة من السماء و خارجة من الأرض. فلما بان لهم ذلك أخبروه به، فقال ما هو ذلك فنظروا فى خفى أمورها و دقائق علمها، فوجدوها مفسدة للأرض و أهلها و حيوانها و جميع ما فيها، و قالوا إن هذه الآفة محيطه بجميع أقطار الأرض إلا اليسير، و ذلك إذا نزل قلب الأسد بأول دقيقه من السرطان، و تكون الشمس و القمر فى أول دقيقه من الحمل. فلما تيقن الملك شوندين من ذلك، و علم أن تلك الآفة تكون ماء يغرق الأرض و من عليها. مر ببناء الأهرام - و هى البرابى لتخليد علومهم و صناعاتهم و سير ملوكهم و سنتهم فى رعيتهم و أهل مملكتهم - و بنى اعلام عظام تكون خزائن لأموالهم و كنوزهم و ذخائرهم، و تكون أيضا قبورا لهم و لأهل بيتهم، تحفظ أجسادهم من الفساد و تبقى علمهم صحيحا، و أمر بأن يبنى ذلك كله من حجر صلد لا يغيره الدهر و لا يفسده الطوفان.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٥٤

و يقال إنه أمر أن تبنى هذه الأهرام و البرابى من حجارة و من طين. فإذا كان الحادث ماء ذهبى التى من طين و بقيت التى هى من حجارة، و إن كانت ناراً ذهبى التى هى من حجارة و بقيت التى هى من طين. فكان ذلك الحادث ماء فذهب الطين و بقيت الحجارة. ثم أمر الملك وزراءه فمشوا مع المنجمين و الكهان فاختاروا موضعا لبناء تلك الأعلام، و هى الأهرام و البرابى، فاختاروا موضعا بقرب النيل فى الجانب الغربى فبنى فيه مدينة مرقه، معناه بلسانهم «مطلب الحكمة». ثم أمر الملك بجمع الناس و الفعله فجمع ٧٠٠٠ لقطع الحجارة و نحتها، و مثلهم لهندستها، و أضعافهم للبناء. و عمل قضبان الحديد و استخراج الرصاص، فكانوا ينصبون البلاطة و يجعلون فى وسطها عامود حديد قد نفذها، و العامود قائم قد ضبط بالرصاص المسبوك، و تركيب عليها بلاطة أخرى فى قدرها و هندستها، مثقوبه بقدر دخول القضيب فيها، ثم يسكب الرصاص حول العامود و على البلاطين معا، حتى أتى بناينا ما بنى فى العالم قط مثله. و طول حائط الهرم ١٥٠ ذراعا بأذرعهم، و فى عرضه مثل ذلك و ارتفاعه فى الفضاء ٤٠٠ ذراع. و يقال إن عمقها تحت الأرض مثل ارتفاعها فوق الأرض؛ و عرض الحائط من حيطانها ٢٠ ذراعا بأذرعهم.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٥٥

فلما تم بنىان هذه الأهرام و البرابى، أمر الملك أن يكتب على حيطان البرابى و سقوفها جميع الأشياء و غوامض الأمور: من دلائل النجوم و عللها و سائر الصنائع و الطباع و مكنونها، و النواميس العظام و عمل الأدوية و تأليفها، و معرفة العقاقير و أسمائها و صورها، و علم صنعة الكيمياء و غير ذلك مما ينفع و يضر.

كل ذلك ملخص مفسر لمن عرف كتابتهم و فهمها. و نقش فى حيطانها و سقوفها جميع الطلسمات و كتب على كل طلسم خاصيته و نفعه و ضرره، و كما وضع فى تلك الأهرام فنونا من الذهب و الفضة و الكيمياء و حجارة الزبرجد الرفيعة و الجواهر النفيسة ما لا يحصّله وصف و اصف. و كذلك فعل بنوه من بعده.

فلما تمت هذه الأهرام و البرابى على ما أراد الملك قال لهم أنظروا هل تفسد هذه الأعلام، فنظروا فوجدوها باقية لا تزول. فقال لهم هل يفتح منها موضع، أو هل يدخل إليها، فنظروا فقالوا له يفتح فى الهرم الفلانى فى الجانب الشمالى منه، فقال لهم حققوا النظر فى معرفة الموضع بعينه، فنظروا و عرفوه بالموضع.

فقال لهم عرفونى متى يكون ذلك، فنظروا فعرفوه أنه يكون ذلك لمدة ٤٠٠٠ دورة للشمس و الدورة سنة. فقال لهم أنظروا مقدار ما ينفق فى فتح هذا الموضع؛ فنظروا فعرفوه بالقدر، فقال لهم اجعلوا فى الموضع الذى يوصل منه إلى داخل الهرم ذهابا بمقدار ما ينفق على فتحه. ثم حثهم على الفراغ من بناء الأهرام و البرابى، ففرغوا منها فى ٦٠ سنة. و أمر أن يكتب عليها: «بنينا هذه الأهرام فى ٦٠ سنة فليهدمها من يهدمها فى ٦٠ سنة، على أن الهدم أهون من البناء». ثم قال لهم أنظروا هل يكون بعد هذه الآفة كون مضر غيرها، فنظروا فإذا الكواكب تدل فى وقتهم و تظهرهم على آفة أخرى نازلة من السماء، و تكون فى آخر الزمان و هى ضد الأولى، و هى نار محرقة لأقطار العالم، فأخبروه بذلك. فقال لهم فهل من خبر آخر توقعونا عليه بعد هذه الأمور، فقالوا له نظر فى ذلك؛ فنظروا على آلاف السنين، و قالوا له إذا قطع قلب الأسد ثلثى دورة، و هى آخر دقيقة من برج العقرب، لم يبق من حيوان الأرض متحرك إلا تلف، فإذا استتم دورة تحللت عقد الفلك. فقال لهم فى أى يوم تتحلل عقد الفلك، فقالوا له اليوم الثانى من وجود الفلك. قال فتعجب الملك من ذلك، و أمر بكل ما قاله العلماء من هذه الحكم أن تخلد فى الكتب، و تستودع فى تلك الأهرام؛ فيقال إن فيها علم الأولين و الآخرين.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٥٦

نرجع الآن إلى حديث التلمة: قيل فلما كان فى زمان المأمون بن هارون الرشيد، و فرغ من حرب التيماء و أقام بمصر، أراد هدم الأهرام، فعرفه بعض شيوخ المصريين أن ذلك غير متمكن، و قال له و لا يحسن بأمر المؤمنين أن يطلب شيئا و لا يبلغه؛ فقال له لا بد أن أعلم ما فيها. ثم أمر بفتح هرم من أعظم الأهرام، ففتح فيه ثلم من جانبه الشمالى، لقله دوام الشمس على من يعمل فيه؛ فلما ابتداء عمله وجدوا حجرا صلدا يكل فيه الحديد. فكانوا يوقدون النار عند الحجر، فإذا حمى رش بالخل ورمى بالمنجنق فزير الحديد؛ و أقاموا على ذلك أياما حتى فتحوا التلمة التى فيه الآن، فمنها يدخل إلى ذلك الهرم. و وجدوا بنيانه بالحديد و الرصاص و وجدوا عرض الحائط ٢٠ ذراعا؛ و بالقرب من الموضع الذى فتحوا مطهرة من حجر أخضر فيها مال على حول الدنانير العريضة، وزن كل دينار منها ٢٧ مثقالا- و ثلثى مثقال. فقال المأمون زنوه فوزنوا الجملة فوجدوا فيها مالا معلوما، و كان المأمون رحمه الله فطنا، فقال رحمه الله ارفعوا ما أنفقتم على فتح هذه التلمة، ففعلوا فوجدوه موازنا لما وجدوا من المال. فعجب أمير المؤمنين من ذلك، و من معرفتهم بالموضع الذى يفتح منه ذلك الهرم على طول الزمان، و ازداد فى علم النجوم يقينا. قال فمشى المأمون حتى دخل الهرم، و مشى فيه فوجد صنما أخضرا مادا يده و هو قائم فلم يعلم خبره. و نظر إلى الزلافة و البئر الذى فى الهرم، و أمر بالدخول و النزول فيه. قال فنزل فيه قوم من رجاله من درجة إلى درجة حتى أفضوا إلى صنم أحمر، عيناه مجزعتان سواد فى بياض كأنهما حدقتا إنسان ينظر إليهم، فهالهم أمره و قدروا أن له حركة، فجزعوا منه فخرجوا و عرفوا أمير المؤمنين الحال.

قال فجرأه ذلك على طلب مخابىء كثيرة. و يقال إنه وجد فيه مالا كثيرا.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٥٧

قيل فسأل المأمون عمن وجد بمصر من العلماء بتاريخ العالم: هل لهذه الأهرام أبواب يدخل إليها منها؟ فقيل له إن لها أبوابا تحت الأرض، فى آراج مبنية بالحجارة، طول كل زج منها ٢٠ ذراعا، له باب من حجر واحد يدور بكوكب، إذا أطبق لم يعرف أنه باب، و صار كالبنيان لا يدخل الذر فى خصاسته، و لا- يوصل إليه إلا بكلام و قرابين و بخورات معروفة. و إن فى هذه الأهرام قبورا من الذهب و الفضة و الكيمياء و حجارة الزبرجد الرفيعة النفيسة ما لا يسعه وصف و اصف.

و فيها من الكتب المستودعة فيها طرائف الحكمة و كمال الصنعة، و من التماثيل الهائلة من الذهب الملون على رؤسها التيجان الفاخرة

مكلمة بالجواهر النفيسة، ما يستدل به على عظيم ملكهم؛ وجعلوا على ذلك من الطلسمات ما يمنع منه، و يدفع عنه إلى أوقات معلومة و أمد لا بد منه. و إنما قصدوا بذلك أن تكون تلك الأشياء ذخيرة لأعقابهم، و لمن يكون من بعدهم، علما على عظيم ملكهم. قال و وضعوا أساس تلك الأعلام فى وقت السعادة، و جعلوا فى أساس كل علم منها صنما، و زبروا فى صدورهم دفع المضار و الآفات عنها. و فى كل صنم منها آله كالقوق، و هو واضعه على فيه. و فى وسط كل هرم منها شرفات موجهة إلى آراج ضيقة المنافذ واسعة المدخل، تجتذب الرياح إليها على طول الزمان، و تخرج من وجه الداخل إليها، و لها صفير فمن لم يحس دفعها أهلكته. قال فعجب المأمون من ذلك و لم يتعرض إلى شىء من تلك الأعلام.

وقيل إنه عمل تحت تلك الأهرام أسرابا تخرج إلى نواح مختلفة: منها ما يخرج إلى الفيوم و هى على نحو يوم و نصف من مصر، و إلى ناحية المغرب على مسيرة يومين و أزيد، و فى أسفلها مسارب للماء تفضى إلى النيل. قيل و وكل بكل هرم من تلك الأهرام روحانيين، فجعل فى الهرم الغربى روحانى فى صورة امرأة عريانة مكشوفة الفرج لها ذؤابتان حسنة الخلق. و إذا أرادت تستفز الإنسان ضحكت إليه، و استجرتة إلى نفسها، فإن تبعها أهلكته.

ذكر ذلك من رآها مرارا. و وكل بالهرم القبلى روحانى فى صورة غلام أمرد عريان حسن الخلق يفعل كذلك. و قد رأى من خارج مرة بعد مرة ثم يغيب فى الهرم. و فى الهرم الملون صورة شيخ عليه ثياب الرهبان، و بيده مجمره كأنه يتبخر. و كذلك و كل بجميع البرابى. و ببلد إخميم يشاهد أهله أن روحانى

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٥٨

البربى الذى بها فى صورة غلام أسود بيده عصا، فلا يقدر أحد أن يدخل البربى من بعد العصر إلى الصبح. و كذلك بربى مدينة سمنود فيه روحانى فى صورة رجل طويل، آدم اللون صغير اللحية أشيب. و أما بربى قفط، فجارية سوداء معها صبى صغير أسود تحمله. و لكل بربى من البرابى قربان و كلام يطبع به ذلك الروحانى، و يدل على علوم البربى و كنوزه. و يقال إن ذا النون الإخميمى إنما قدر على ما قدر عليه من علوم البربى حتى عمل الصنعة الكبيرة، و هى الكيمياء و الجواهر، و حمل من مصر إلى بغداد فى ليلة واحدة، و غير ذلك مما كان عنده من الغرائب و خبره مشهور.

فيقال إنه خدم راهبا كان بإخميم يقال له ساس مدة صباه، فعلمه قراءة الخط الذى فى البربى، و علمه القربان و البخور و اسم الروحانى؛ و أوصاه أن يكتنم ذلك.

فلما علم ذو النون ما علم من علم الكيمياء و غيرها، عمد إلى طين الحكمة، فطمس به صنعة الكيمياء حتى لا يبلغ إليها أحد غيره؛ و هذا الطين لا ينقطع أبدا.

و هذا القلم هو المسطر فى كتاب السياسة الأوسط و هو كتاب مشهور:

اب ت ج ح خ د ذ ر ز ط ك ل م الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٥٩

ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و لا ي .

و بها من الكيمياء. و فى بعض أخبار مصر أن قوما قصدوا الأهرام، فنزلوا فى تلك الآبار، و طلبوا أن يدخلوا فى تلك المضائق التى تخرج منها الرياح، و احتملوا معهم سرجا فى أوان رخام. فلما حصلوا فى تلك المضائق، خرجت عليهم ريح شديدة و أخرجتهم منها عنفا، و أطفأت أكبر سرجهم. فأخذوا أحدهم و كان أقواهم جأشا و أشدهم عزما و أصلبهم قلبا؛ فربطوا وسطه بالحبال، و قالوا ادخل فإن رأيت شيئا تكرهه جذبناك، فلما دخل المغرور و زاحم تلك الرياح، انطبق عليه ذلك الفتح، فجدبوه فانقطعت حبالهم، و بقى الرجل فى ذلك الشق و هم لا يعلمون له خبرا؛ فصعدوا هاربين حتى خرجوا من البئر، و اغتموا لما أصاب صاحبهم. فجلسوا عند الثلمة مفكرين فى أمر صاحبهم، و فى أمرهم و ما أقاموا عليه، فبينما هم كذلك إذ انفجرت من الأرض فرجة كالكوه، و أثار لهم ذلك الرجل عريانا مشوه الخلق ميت الدم جامد العينين، و هو يتكلم بكلام عجيب لا يفهم، فلما فرغ من كلامه سقط ميتا. فزاد و جلهم و

تضاعف حزنهم وجزعهم، و علموا أنهم خالصون من أمر عظيم . قال فاحتملوا صاحبهم، و اتصلت أنباؤهم بوالى مصر و هو ابن المدبر فى أيام المتوكل ، فسألهم عن أمرهم؛ و أخبروه بذلك فعجب. و أمر أن يكتب الكلام الذى قال ذلك الرجل الذى مات، حسب ما قاله، و أقام ابن المدبر يطلب من يفسره إلى أن وجد رجلا يعرف شيئا من ذلك اللسان، ففسره: «هذا جزء من طلب ما ليس له و أراد الكشف على ما يخفى، فليعتبر من رآه». قال فمض حينئذ ابن المدبر أن يتعرض أحد للأهرام.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٦٠

و فى خبر آخر أن جماعة دخلوا الأهرام فوجدوا فى بعض البيوت زلاقة إلى بئر، فنزلوا فيها فوجدوا سربا، فساروا فيه نصف يوم حتى انتهوا إلى حفير عميق و فى عدوته باب لطيف. و كانوا يتبينون منه شعاع الذهب و الفضة و الجواهر النفيسة. و من رأس الحفير مما يليهم إلى ذلك الباب المحاذى لهم، الذى فيه الذهب و الجواهر، عامود حديد قد ألبس محورا من حديد يدور عليه و لا يستمسك فى دورانه. فاحتالوا فى وقوفه و ذهب حركته فلم يقدروا على ذلك، فربطوا أحدهم فى حبل، و تعلق بالعامود ليصل إلى الجانب الآخر، فدار به المحور فتحير و سقط و انقطع الحبل الذى كان فيه، فخرجوا هارين لا يلوون على شئ.

و فى خبر آخر أن قوما دخلوا بعض الأسراب التى فى الهرم، فانتهوا إلى صنم أخضر على صورة شيخ، و بين يديه أصنام صغار كأنه يعلمهم. ثم ساروا فوجدوا فواره تحت قبة يقع فيها ماء من أعلى تلك القبة، فيكون له نشيش شديد كأنه يطفى نارا، ثم يفيض هناك و لا يتبين. ثم داروا فوجدوا بيتا مسدودا لا يظهر له باب غير حجر صلد، و فيه دوى شديد لا يدري ما هو؛ و وجدوا عنده شبه المطهرة الكبيرة فيها ماء و دنانير، منقوش فى الوجه الواحد صورة أسد و فى الوجه الثانى صورة طير، فأخذوا من تلك الدنانير شيئا، فلم يقدروا على حركة و لا كلام حتى تركوها فى موضعها.

و أما البرابى فففيها من الطلسمات و الكتابة، و عمل الصناعات و تصوير جميع الآلات و تعليم جميع الصناعات، كل ذلك منقوش فى الحجر الصلد، و إن الناس يمشون إليها فيأخذون فوائد كثيرة . قال الوصيفى :

رأيت فى بربرى إخميم صورة عقرب فألصقت عليها شمعا فلم أتركها فى موضع إلا- أن انحاشت العقارب إليها من كل موضع، و إن كانت فى تابوت اجتمعت

.)

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٦١

حول التابوت و تحته. فطلبها منى بعض إخوانى فرجعت إلى إخميم فوجدت تلك الصورة قد نقرت و أفسدت. و فى هذا البربرى، عند الباب الذى يدخل منه إلى المصعد على يسار الداخل، صورة رأس إنسان عظيم اللحية كثير الشعر كأنه رأس روحى بغير جسد، فذكر أن الأولين كانوا يبخرون ذلك الرأس، ببخور لهم معروف عندهم، فكل من بخره وجد عنده دينارا؛ فكان فى ذلك معونة لأهل المسألة. قال الوصيفى: تصفحت الموضع الذى بقرب ذلك الرأس، فوجدت أثر البخور و الطيب بينا فيه. و ذكر أن على باب إخميم طلسم، و هو قطعة من الحجر فى صورة القلنوسة، معقبة الرأس كأنه منقار طائر، يقال إن تحته مال عظيم، و قد جهد جماعة من الولاة على إخميم فى قلعها أو كسرها فلم يقدروا على ذلك، و تنكسر المعاول كلها و لا يتثلم منها شئ.

و أخبرنى رجل بأنه رأى هنالك صورة استحسناها، و هى صورة إنسان على رأسه طائر و إلى جنبه كلب رابض و تحت رجله كتابة، قال فأخذتها و صورتها فى قرطاس كما رأيتها فأقمت ثلاثة أيام فلم أجمع و لم آكل و لم أشته شيئا من الطعام و لم أدر ما السبب لذلك حتى فكرت فى الصورة التى عندى فنزعتها عنى فاشتبهت الطعام و أكلت و نمت . و حدث رجل من أهل إخميم أن رجلا من أهل المشرق نزل عندهم و كان بصيرا بهذه العلوم فتذاكروا معه أمر البربرى فقال ذلك المشرقى لبعضهم إن وجدت فى صورة إنسان عريان مؤتزر بمئزر و فى يده اليمنى فأس له رأسان و فيه ورقة معلقة فأنسخه لى و ما حوله من الكتابة.

قال ففعلت ذلك و أتيت بها إليه و سألته عن خاصيتها، فأطعمنى فيها و قال ليس ينتفع عندها أو تفسد البربرى. قال فمشيت إليها

فخدشتها بمنقار حتى أفسدتها و طمستها ثم سألته عن علمها فخلط على و لم يعطنى فائدة. فلما كان بعد ذلك تحدثت به مع قوم أهل المشرق فتلهم أحدهم فسألته عن أمرها فقال إن تلك الصورة إذا جعلت فى موقع فيه كنز ارتفع من الموضع غبار فيعلم أن فيه خيرا و هى دلالة على الكنوز فغمنى أن كنت أفسدتها. و كذلك يتحدث أهل سمند عن البرى الذى عندهم بعجائب كثيرة منها أن بعض من دخله كتب على كفه صورة من تلك الصور أعجبت، فأطبقت عينه الواحدة حتى أتاه من كتب على كفه الصورة المحاذية لها فانفتحت عينه.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٦٢

قال الوصيفى: و أخبرنى من أثقته أنه رأى بربى سمند صورة شيطانين تحوط بهما سلسلة بكتابة، و هما يمسكان طرفى السلسلة و بينهما كتابة، قال: فصورت ذلك كما هو، و أمسكته عندى إلى أن جاءنى من عرفها، فقال لى: هذا حرز عظيم من جميع السباع، و من كل من يروم الإذابة، و لو جعل على هذا الطلسم لحم، و جوع كلب أو سبع و قرب منه لم يقدر على أخذ شىء منه بوجه و لا بحال، قال فعجبت من قوله فامتحت الطلسم فوجدته كما قال. و من المتعارف عند أهل إخميم، أنه كان فى البرى الذى كان عندهم، صورة شيطان قائم على رجل واحدة و له يد واحدة قد رفعها إلى الهواء، و فى جبهته و حوالبه كتابة، و له إحليل ظاهر ملتصق بالحائط. فقيل من احتال لذلك الإحليل حتى ينقب عليه، و ينزعه من غير أن ينكسر، و يعلقه فى وسطه لم يزل منعظا إلى أن ينزعه، و يجامع ما أحب و لا ينكس ما دام عليه. و قيل إن ابن الغمر لما ولى إخميم أخبر بذلك، فطلب تلك الصورة فى البرى فلم يجد منها غير واحدة قرب سقف البرى، فاحتال عليها حتى أخذ الإحليل، فكان يستعمله فيخبر عنه بعجب؛ و قيل إنه كان فى البرى منه صور كثيرة فلم [تزل] تؤخذ حتى فقدت .

قال الوصيفى: حدثنى من أثقته أنهم وجدوا فى بعض البرابى أشنانه زجاج أحمر مربع الشكل موضوعه فى طاق و فيها ماء أصفر، فلم يدروا لم يصلح ذلك الماء فأهرقوه منها، و أخذ أحدهم تلك الأشنانه. قال فأقامت عنده مدة إلى أن رآها رجل غريب نزل عليه ضيفا، فاستظرفها فسأله عنها فأخبره بخبرها و بخير الماء الذى كان فيها؛ فتلهم ذلك الرجل على الماء، و قال أضعتم علما عظيما و خيرا كثيرا. و قال إنكم لو حميتم الفضة و غمستموها فى ذلك الماء لصارت ذهبا؛ قال فندمت على التفريط فى ذلك الماء. ثم قال لى أ تريد أن أريك فى هذه الأشنانه عجبا؟ قلت نعم قال زنها، قال فوزنتها فوجدت بها ٤ أرتال سواء، فقال لى املأها ماء أو ما أحببت، قال ففعلت، قال لى زنها فوزنتها، فوجدت وزنها واحد و هى ممتلئة مثل وزنها و هى فارغة ٤ أرتال لا تزيد و لا تنقص شيئا ،

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٦٣

فعجبت من ذلك. و شاع خبرها حتى اتصل ببعض الولاة فوجه إلى فأخذها منى. و كان فى هذه البرابى عجائب من الطلاسم فى قبور شتى قد درس أكثرها، و تهدم أكثر البرابى. و أما الأهرام فهى باقية على حالها ما اختل منها شىء؛ فيقال إن كل ما تهدم من هذه الهياكل و تغير، مثل بربى بوسير و بربى سمند و غير ذلك من الهياكل، أن المنجمين تركوا الاستقصاء فى أخذ الطالع و تصحيحه فى وقت وضع الأساس، و كذلك ما بقى منها فللقرب الطالع من الصحيح. و لا شك أن الذين بنوا هذه البرابى كانوا على بعد من الملوك، و لم يكونوا بحضرتهم و لا- تحت نظرهم، فيستقصوا النظر كما اتفق فى بناء الأهرام، و كان بالقرب من صاحب مصر فكان يتفقدوها. و البرابى أكثر إنما هى فى الكور. قيل و لكل بربى من هذه البرابى خاصة و منفعة فى الموضع الذى يكون فيه و ما و الى جهته؛ و أهل تلك الديار لا يشكون أنه لما هدم بربى سمند، و حملت حجارتها إلى أشتوم دمياط ، أن اليوم الذى فرغ فيه من هدم الحائط الغربى، دخل حباسه الإسكندرية و خربها ، و كثرت الرمال فى أسباب البحر بها حتى انقطع النيل عنها فى شهور الصيف، و كان يمر عليها صيفا و شتاء؛ و قلت زكاة الزرع و كثر الفأر فيه و الجراد و الفساد الذى لم يعهد قبل ذلك. و من العجائب المذكورة بأرض مصر فى قرية يقال لها بدرسانة ، كنيسة قديمة للروم فيها بيت يصعد إليه قى نيف و عشرين مرقى، و هناك سرير عليه صبي ميت، و تحت السرير صورة ثور عظيم من زجاج فى جوفه باطية زجاج فيها أنبوبة نحاس

موضوع فيها فتيل كتان، و يصب عليه يسير زيت فما تلبث أن تمتلىء

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٦٤

الباطية من الزيت حتى يفيض إلى جوف الثور، فيأخذ قيم الكنيسة ذلك الزيت دائما، فيسرح منه قناديل الكنيسة كلها، و لا ينقطع نماؤه و زيادته على مرور الدهور و الأيام. فإن أزيل الصبى الميت، طفيت النار و لم يفيض الزيت، فإذا أعيد عاد الزيت إلى ما كان عليه. و قد سار إلى هذه الكنيسة جماعة من الناس رأوا ذلك و أفرغوا الباطية تم أسرجوها بيسير من الزيت، ففاضت و بدا منها ما ذكرنا.

ثم نرجع إلى ذكر الملك شوندين .

قال فلما هلك الملك شوندين بعد أن ملك ١٣٥ سنة و دفن فى الهرم الغربى، ملك بعده ابنه قمنوش و كان جبارا فظلم و جار و سفك الدماء و اغتصب النساء؛ و استخرج كثيرا من الكنوز، فبنى بها قصور الذهب و الفضة و رصعها بالجواهر الغالية، و عمل بركا فصب فيها الجواهر و أرسل عليها الماء، و فعل من مثل هذه الأشياء ما لم يفعل غيره من الملوك؛ و استجهل من مضى من آبائه، و استعبد الناس و استخف بالهياكل. فلما هلك ملك بعده ابنه فترك الظلم و تحبب إلى الناس، و طلب العلم و أعاد الهياكل كل إلى ما كانت عليه فى أزمان أجداده، و جمع المنجمين و الكهان، و عملت فى أيامه من العجائب و الغرائب ما كانت تعمل فى أيام آبائه؛ و ملك مدة و لم يكن له ولد. و طلب النسل من ٣٠٠ امرأة، فلم يقدر عليه لأن أرحام النساء عقتت فى أيامه. و فى وقته شاع خبر نوح عم. قال فلما لم يكن له ولد و لا أخ، خاف على ذهاب ملكه فأشرك فى أمره فرعان، و كان من بنى عمه، و كان أحد الجبابرة ففتح البلاد و قهر الأمم؛ فوافقته امرأة من نساء الملك على أن يقتل الملك و يلى الملك ففعل، و احتوى على المملكة فتجبر و علا و قهر. و أصل الفراعنة مشتقة منه و من اسمه .

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٦٥

و كتب إليه ذو ميشيل بن عدييل بن درشيل الأكبر يخبره بأمر نوح، فكتب إليه فرعان يشير عليه بقتل نوح فهلكا فى الطوفان.

ذكر أول من نزل مصر بعد الطوفان

يقال إن أول من نزل مصر بعد الطوفان مصر بن ينصر بن حام بن نوح عم، بدعوة سبقت له من جده نوح عم. روى عن ابن عباس أنه قال دعا نوح عم لمصر بن ينصر بن حام، و هو أبو القبط، فقال: «اللهم بارك فيه و فى ذريته و أسكنه الأرض المباركة، التى هى أم البلاد و غوث العباد، التى نهرها أفضل أنهار الدنيا؛ و اجعل فيها أفضل البركات و سخر له و لولده الأرض و ذللها لهم و قوهم عليها». قيل و كان السبب فى نزول مصر أرض مصر، و به سميت، أن فليمون الكاهن صدق نوحا عم و آمن بالله تعالى، و سأل نوحا أن يحمله بأهله و ولده معه فى السفينة فحملة. قال فلما انجلى الطوفان، قال فليمون لنوح عم يا نبى الله اجعل لى رفعة و قدرا أذكر به بعدى؛ فزوج نوح [مصر بن] ينصر بن حام من بنت فليمون فولدت له ولدا فسماه فليمون على اسم جده لأمه. فلما أراد نوح قسمة الأرض بين بنيه قال له فليمون: يا نبى الله إن بلدى خير البلاد و أولى الناس به ابنى مصر، فابعثه معى إليه أظهره على كنوزه و أوقفه على علومه و رموزه. قال فأنفذه معه فى جماعة من أهل بلده، قيل إن عددهم كان ٣٠ رجلا فقطعوا الصخور و بنوا المصانع و المعالم، و بنوا مدينة سماها ماقه، و معنى ماقه ٣٠ بلغتهم و هى مدينة منف. و أطلع فليمون صهره مصر بن ينصر على

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٦٦

كنوز مصر و علومها، و علمه خط البرابى، و أخرج له المعادن من الذهب و الفضة و الزبرجد و الفيروز و غير ذلك من الجواهر، و أطلعه على عمل الصنعة فى الجبل الشرقى فسمى به المقطم.

و تزوج الملك امرأة من بنات الكهنة، فولدت له أربعة من الولد منهم قظيم و إليه عهد بعد موته. فلما حضرته الوفاة أمر أن يحفر له سرب بين جبلين طوله ١٥٠ ذراعاً، و يفرش بالمرمر، و يجعل فى وسطه مجلس مصفح بالذهب له ٤ أبواب، على كل باب تمثال من الذهب عليه تاج مرصع بنفيس من الجواهر، جالس على كرسى من الذهب قوائمه من الزبرجد. و نقشوا فى صدر كل تمثال آيات عظيمة و أسماء من أسماء الله تعالى مانعة من أخذه، و جعلوا جسده فى تابوت من زبرجد مصفح بالذهب، و جعلوا معه فى ذلك المجلس ألف قطعة من الزبرجد المخروط، و ألف تمثال من الجواهر النفيس، و ألف إناء مملوءة من الدر الفاخر. و وضعوا هنالك الصنعة الإلهية و العقاقير السرية، و معها الطلسمات العجيبة، و أكوام من سبائك الذهب بعضها فوق بعض، ثم كتبوا على المجلس: «مات مصر بن ينصر بن حام بن نوح عم بعد ٧٠٠ سنة مضت من أيام الطوفان، و لم يعبد الأصنام إذ لا هرم و لا أسقام، و لا عوز و لا اهتمام، و حصن مجلسه بأسماء الله تعالى العظام، التى لا يصل إليها أحد من الأنام، و كان يدين للملك الديان، و يؤمن بالمبعوث بالقرآن، الداعى إلى الإيمان، الظاهر فى آخر الزمان». ثم دهموا ذلك بالصخور العظام و جعلوا فوقها الرمال، و ذلك بين جبلين متقابلين، و جعلوا فيها علامات .

ثم ولى ابنه قظيم و هو أبو الأقباط؛ و كان جباراً عظيم الخلق و فى أيامه هلكت عاد بالريح، فكان ملكه ٤٠٠ سنة. و كان قد عمل الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٦٧

لنفسه قبل موته سرباً تحت الأرض معقوداً على آزاج فى الجبل الغربى.

و جعل فيه من الذخائر و الغرائب و التماثيل، و من الطلسمات و العجائب التى يطول وصفها، كما كان فى نواميس آباءه. قال، فما زال هؤلاء الملوك من ذرية مصر بن ينصر يتوارثون الملك خلف عن سلف، إلى أن كان منهم ملك يسمى عديم، و كان عاقلاً عالماً، و هو أول من صلب. و كان سبب ذلك أن امرأة و رجلاً زنيا فى أيامه، فأمر بهما فصلبا على منارين بناهما لهما، و جعل ظهر كل واحد منهما إلى ظهر الآخر، و طالهما بأطليئة مانعة لفناء جثتيهما، و زبر على المنارين اسمهما و ما فعلا، و تاريخ الوقت الذى عمل بهما ذلك فيه؛ فانتهى الناس فى أيامه عن الزنا. و ناووس عديم هذا من أعاجيب الدنيا، و هو فى صحراء قفط على وجه الأرض، و هو قبة عظيمة من زجاج أخضر براق، معقودة على ثمانية آزاج، قدر قطرها ١٠٠ ذراعاً و ارتفاعها فى الهواء ١٠٠ ذراعاً، يخضر بخضرتها ما حولها من الأرض و على رأس القبة طائر من الذهب منشور الجناحين موشح بجواهر نفيس، و هو طلسم تلك القبة؛ يمنع الوصول إليها و إلى ما فيها. و ذكر أن قوما قصدوا ذلك الناووس فى صحراء قفط، و رأوا القبة و عاينوا ما فيها، و أقاموا عليها أياماً لا يقدرون عليها؛ و كانوا منها على قدر ٨ أذرع، و كانوا إذا قصدوها دارت القبة على يمينهم و شمالهم. و ذكروا أنهم عاينوا ما فيها من العجائب، و أنهم رأوا الملك و هو على سرير من ذهب، مشبك عليه ثياب منسوجة بالذهب منظمة بنفيس الجواهر، و هو مكشوف الوجه، فقدروا وجهه بذراع و نصف، و قدروا طول بدنه ب ١٠ أذرع، و له لحية كبيرة. و فى جانب القبة ١٧٠ مصحفاً من مصاحف الحكمة، و فيها ٧ موائد على كل مائدة أوانيتها: فمنها مائدة در رمانى و آنيتها منها، و منها مائدة ذهب أحمر يختطف الأبصار و هو الذهب الذى يعمل منه تيجان الملوك و آنية المائدة منها، و منها مائدة من حجر الشمس المضية و آنيتها منها، و مائدة من الزبرجد الذى إذا نظرت إليه الأفاعي سالت عيونها، و منها مائدة كبريت أحمر مدبر على ما ذكره من تدبيره فى مصاحف حكمتهم و آنيتها منها، و مائدة ملح أبيض براق يكاد نوره أن يخطف الأبصار

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٦٨

و آنيتها منها، و منها مائدة زئبق معقود و حافاتها و قوائمها زئبق أصفر معقود و آنيتها من زئبق أحمر معقود. و قيل و جعل معه فى القبة جواهر عظيمة، و أوانى من الفضة المدبرة، و جعل حوله سبعة أسياف صاعقية و سبعة كاهنية، و فى القبة معه تماثيل أفراس من ذهب، و عليها سروج من ذهب، و عدة توابيت مملوءة بالدنانير التى ضربها و صور عليها صورته. و فى تلك القبة أشياء من العجائب و الغرائب يطول وصفها .

وقيل إنه ملك من ذرية هؤلاء الملوك ملك يسمى ساوس، وهو أول من عبد البقر. وقيل إن السبب فى ذلك أنه اعتل بعله يئس فيها من نفسه، وأنه رأى فى منامه صورة روحانى عظيم الخلق يخاطبه ويقول له: لا يخرجك من علتك إلا عبادة البقر، لأن الطالع كان حلوله بك فى صورة ثور. فأمر ذلك الملك بأخذ ثور أبلق حسن الصورة، فبنى له مجلسا فى وسط قصره عليه قبة مذهبة، وكل به سادنا، وكان يبخره له ويطيبه. وكان يعبده سرا من أهل مملكته، فبرأ من علتة وعاد إلى أحسن حاله. وقال آخرون وكان السبب فى ذلك أن هذا الملك كان يتفقد بلاده ويطوف عليها؛ وهو أول من عملت له العجل، وعملت عليها قباب من خشب مذهبة وفرشت بالفرش.

وكانت البقر تجره فيطوف على جميع بلاده، فإذا مر بالمكان الخرب أمر بعمارتة. فقبل إنه نظر ذات يوم إلى ثور من تلك البقر التى كانت تجر تلك العجلة التى كان فيها الملك، وكان ثورا أبلقا حسن الهيئة، فأعجبه فأمر بإزالته من جر العجلة وسوقه بين يديه، وجعل عليه حللا من فاخر الديباج. فتفرد به يوما ينظر إليه، فبينما هو قائم بين يديه خاطبه الثور فقال له: لو رفعتنى أيها الملك كفيتك جميع أمورك، وأعتك على ما تريد، وقويتك على ملك وأزلت عنك جميع علك.

فارتاع الملك من كلامه، وأمر به حينئذ وغسل وطيب وبنى له هيكلًا، وأمر بعبادته. وكان فى ذلك الثور آية أنه لا يروث ولا يبول ولا يأكل إلا أطراف ورق الشجر مرة واحدة فى الشهر. قال فافتتن الناس به، وصار ذلك أصلا لعبادة البقر بأرض مصر. وصار ذلك الثور يعبد مدة ثم إن ذلك الثور أمرهم أن يصنعوا صورة مثل صورته من ذهب مجوفه، ويؤخذ من رأسه شعرات ومن ذنبه ومن تحت قرونه ومن أظلافه ويجعل فى ذلك التمثال. وعرفهم أنه لاحق

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٦٩

بعالمه، وأمرهم أن يجعلوا جسده فى حرز من حجارة وينصب فى الهيكل، وينصب تمثاله عليه، ويكون ذلك وزحل فى شرفه، والشمس مسعوده تنظر إليه من تثليث، والقمر زائد، وتنقش على التمثال علامات الكواكب السبعة. فأمر الملك فعملت صورة الثور من ذهب، وكللت بأصناف الجواهر، وصنعوا سائر ما أمرهم به ذلك الثور، وفى الوقت الذى حدد لهم. وكان ذلك التمثال يخبرهم ما أمرهم به ذلك الثور، وفى الوقت الذى حدد لهم. وكان ذلك التمثال يخبرهم بالعجائب وما يحدث وقتا وقتا، ويجيبهم عن جميع ما يسألونه عنه، فعظم أمر ذلك التمثال، فنذرت له النذور وقربت له القرابين، وقصده الناس من الآفاق فكان يخبرهم بما يريدون. و بقيت عبادة البقر سنة فى دولة ذلك الملك يتوارثونها خلف عن سلف، إلى أن ملك منهم ملك يقال له ما ليق، وكان موحدا على دين من سبق من أجداده، قطيم ومصر، فكانت القبط تدمه لذلك؛ وكانت القبط تعبد الكواكب والبقر. وكان هذا الملك يستعمل الغزو والجولان على البلاد؛ وزعم بعض أهل مصر أن الله تعالى أيده بملك من الملائكة يوعظه ويرشده، وربما أتاه فى نومه فأخبره بالأشياء وأمره ونهاه. فجمع جيوشا عظيمة وأخذ سفنا كثيرة فى البحر، وغزا جموع البربر برا وبحرا وهزمهم وأستأصل أكثرهم، وبلغ إفريقية وقتل أكثر أهلها وكانوا على الكفر. واتخذ فى بحر الروم ٤٠٠ سفينة، وكان لا يمر بأمة إلا أبادها إلى أن غزا بلاد الأندلس. ومشى إلى بلاد الأفرنج وكان بها ملك عظيم، فحشد أمم نواحيه وأقام يحاربه شهرا ثم طلب السلامة والأمان، وأهدى إليه هدايا كثيرة. فسار عنه ودوخ الأمم المتصلة بالبحر الأخضر وأطاعه أكثرها، وعمل أعلاما على البحر الأخضر، وزبر عليها اسمه وتاريخ الوقت الذى عملها فيه. وخرب مدن البربر حيث كانت حتى الجأهم إلى ذرى الجبال، ثم رجع إلى مصر، فتلقاته أهل مصر بصنوف اللهو والطيب، وفرشت له الطرقات بأنواع الرياحين والأزاهير، ودخل قصره وهو غانم موفور؛ وذلك صنع الله لمن وحده ولم يشرك به شيئا. وأمر أن يبنى له ناووس فكان يتعبد فيه، فلما حضرته الوفاة أمر أن يدفن فيه، وألا يدفن معه ذهب ولا فضة ولا جوهر. فلم يدفن معه سوى الطيب، وصحيفة مكتوبة بخطه: هذا ناووس فلان

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٧٠

ابن فلان الملك، مات مؤمنا بالله لا يعبد معه غيره، بريئا من الأصنام و عبادتها، مؤمنا بالبعث و الحساب و المجازاة على الأعمال، فمن أحب النجاة من عذاب الآخرة فليؤمن بما أومن به .

و كان من ذرية هؤلاء الملوك، كلكن الملك الجبار، كان يعقد التاج على رأسه، و كانت دار مملكته منفى، و هى كانت دار الملوك قبله. و كان يحب الحكمة؛ و إظهار الحكمة و العجائب، و يقرب العلماء و المنجمين و أهل الصنعة، فلم تعمل الكيمياء قط فى وقت من الأوقات كما عملت فى أيامه، حتى أستغنى أهل ذلك العصر عن معادن الذهب فلم يشتروها، و لم يكن الذهب أكثر منه فى أيامه، و لا- الصنعة أقوى منها فى وقته. كان يطرح المثقال من مثاقيل الكيمياء على القناطير الكثيرة من الفضة فيصبغها. و يحكى القبط عنه أنه اخترع أشياء تخرج عن حد العقل حتى أنهم يسمونه حكيم الملوك؛ غلب جميع الكهنة فى علمهم حتى كان يخبرهم بما غاب عنهم فخافوه. و فى وقته كان نمرود ابراهيم الخليل عم؛ و كان نمرود جبارا شديد البأس، و كان ملكه بالعراق، و كان قد أوتى قوة و بطشا فغلب على أكثر الأرض، فأراد أن يستوزر كلكن الملك. و بعث إليه فى ذلك فخافه كلكن و أجابه إلى ذلك، و وجه إليه أنه يريد أن يلقاه منفردا من أهله و حشمه، ليريه من حكمته و سحره؛ فسار النمرود إلى موضع يلقاه فيه كلكن. فأقبل كلكن تحمله أربع أفراس ذوات أجنحة، و قد أحاط به نور كنار، و هو فى صورة مهيبه؛ فدخل بها و هو متوشح تينا عظيما، و التين فاغراه، و معه قضيب آس؛ فكلما رفع التين رأسه ضربه بالقضيب الذى بيده، فلما رأى النمرود هاله ما رآه، و اعترف له بجليل حكمته و سأله أن يكون له ظهيرا ففعل. و تزعم القبط أن كلكن الملك كان يجلس إلى الهرم الغربى، و هو أعظم الأهرام، فى قبة على رأس الهرم. و كان يجمع إليه رعيته و حشمه و يأمرهم و ينهاهم من أعلى الهرم، و يقيم

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٧١

بذلك الموضع أياما كثيرة لا يأكل و لا يشرب؛ ثم إنه غاب عنهم فلم يقفوا على موته و لا على شىء من أمره. و كان عهد إلى أخيه ماليا فلما غاب عنهم أقاموا ماليا أخاه مقامه، فكان همه فى الأكل و الشراب و الرياسة، غير ناظر فى شىء من الحكمة، و انما استقام له الأمر بهيبة أخيه كلكن، و تقديرهم أنه لم يمت و أنه سيرجع إليهم. و كان لماليا ولد كان أكبر ولده، و كان جبارا جريئا شديد البأس، و كان يستجهل أباه لخلوده إلى الراحة، فأعمل الحيلة فى قتله و حملته على ذلك أمه و بعض وزراء أبيه، فهجم على أبيه فى رواقه و هو سكران فقتله، و قتل معه امرأة له من بنات الملوك كانت قد غلبت على أمره، فقتلها و صلبها و جلس على سرير ملك أبيه. و كان مهيبا شديد البأس كثير القتل، فتزعم القبط أنه أول الفراعنة بمصر، و أنه فرعون ابراهيم عم .

و الفراعنة سبعة و هو كان أولهم. و قيل إنما سمي فرعون لأنه أكثر القتل حتى قتل قرابته و أهل بيته و خدمه و نساءه و كثيرا من الكهنة و الحكماء. و كان حريصا على الولد فلم يرزق ولدا غير ابنة واحدة سماها حورية، و كانت عاقله حكيمة، و كانت تسدد أباه كثيرا، و تمنعه من كثير من الشر و القتل. فلما رأت أمره يزداد فسادا خافت على زوال ملكه فسمته، فمات بعد أن ملك سبعين سنة.

فتنازعوا فى تملكها عليهم ثم اجتمعوا عليها إلا- أهل مدينة أوبريت فانهم ملكوا عليهم رجلا منهم، و كان من ولد أوبريت بن مصر الملك المتقدم الذكر، و به سميت مدينة أوبريت، يقال له أبراحش. ففجرت بينهم حروب كانت الدائرة فيها على أبراحش، فهرب خوفا من حورية إلى الشام، و كان بها الكنعانيون من ولد عمليق؛ فاستغاث بملكهم فأخبره بأمره و قرب عليه مصر، و سول له تصييرها إليه.

فجهز ملك الشام مع أبراحش جيشا عظيما، و قدم عليه رجلا من قواده، فلما قرب من مصر بعثت حورية طيرا لها إلى جيرون تقول له: إن فلانة سمعت بك و أحبتك، و هى تريد زواجك و أن تكون لها أهلا، و تعطيك بلاد مصر. فسر جيرون بما سمع منها و رغب فيما قالت له، ثم عقدت معه أن يقتل أبراحش. فقال

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٧٢

لها و كيف أصنع؟ فأخرجت له سما، فسم به أبراحش فمات فى الحين. فلما أراد أن يصل إليها بعثت إليه أنه لا يجوز أن أتزوجك حتى تظهر فى بلادى قوتك و حكمتك لكى أعذر فى زواجك، و أريد أن تبني لى مدينة عجيبة أدخل معك فيها، فإنى أكره

الدخول عليك فى بلادى و بين أهل بلدى. و أن مدينه فى بلاد مصر كانت لأوائلنا قد خربت، فانظر موضعها و اظهر حكمتك فيها، و بعثت معه من يريه الإسكندريه.

قيل فجد جيرون فى بنائها، و بعثت إليه حوريه من مصر مائه ألف صانع، فأقام فى بنائها مدة و أنفق جميع ما كان معه من المال، فلما فرغ من بناء المدينه، وجه إليها يعلمها بتمام المدينه و يحثها على القدوم عليه. فوجهت إليه فرشا كثيره فاخره و آلات عجيبه، و قالت له: «قسم جيشك أثلاثا و ابعث الثلث الأول، حتى إذا بلغت نصف الطريق فابعث إلى الثلث الثانى، فإذا بلغت الثلثين من الطريق، فابعث إلى الثلث الثالث حتى يكون الجيش من ورائى و من أمامى، لئلا يرانى أحد إذا دخلت عليك؛ و لا أحب أن أجد معك سوى صبيه تخدمك. ثم أقامت تجهز له الجهاز و الأموال حتى أيقن بإقبالها، فوجه إليها ثلث جيشه. فعملت لهم الأطمعه و الأشربه المسمومه و خرجت إليهم فى خيولها و خدامها، فلما لقوها أنزلتهم و أمرت حشمها فأقبلوا عليهم بالأطمعه و الأشربه و الطيب، كل ذلك من مسموم، فلم تصبح منهم عين تطرف. ثم سارت فلقبها الثلث الثانى من الجيش، ففعلت بهم كذلك. ثم سارت فلقبها الثلث الثالث، ففعلت بهم مثل ذلك، و هى تبعث إليه و تقول: إنى بعثت الجيش إلى مصر يحفظها بعدى، إلى أن دخلت على جيرون هى و طير لها و جوار كن معها، فرشقت طيرها عليه، فارتعدت مفاصله و خارت قواه، و لم يملك نفسه شيئا فأيقن بالهلاك؛ و قال جيرون: «من ظن أنه يغلب النساء فقد كذبه نفسه». فقيل إنها فصدته و أسالت دمه حتى مات، فقالت: «دماء الملوك شفاء النفوس».

و أخذت رأسه فوجهت به إلى قصرها فنصبت عليه، و حملت بيوت أمواله إلى منف دار مملكتها، و بنت حينئذ منار الإسكندريه، و زبرت عليه اسمها و اسمه، و ما أراد و ما فعلت به، و تاريخ الوقت الذى كان فيه ذلك. و يذكر فى بناء منار الإسكندريه غير ذلك مما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى. قيل فلما اتصل خبر حوريه بالملوك و ما فعلت بالجيش الذى دخل بلادها، هابوها و عظمت فى أعينهم، فمن كان

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٧٣

ينازعها و يروم أخذ بلادها كف عن ذلك فاشتد ملكها و عظم أمرها، و بنت حصونا على بلاد مصر من ناحيه النوبه، و عملت طلاسما كثيره و أعلاما و أشياء كثيره يطول وصفها .

قيل فلما ضعفت حوريه عن الملك عهدت إلى بنت عم لها تسمى دليفه. فلما هلكت حوريه ضعفت دليفه عن الملك، و خرج عليها أيموش يطلب ثار خاله أبراحش، و استنصر بملك العماليق صاحب الشام فأجابه، و خرج فى نصرته لما كانت حوريه فعلت بقائده و بجيشه فيما تقدم. و قدم جيش أيموش، فخرجت إليه دليفه تحاربه فغلبها، فلما أيقنت بالغلبه سمت نفسها فهلكت فى الحين.

ثم إن ملك الشام العمليقى غلب على مملكه مصر، و كان اسمه الوليد بن دومع، و أصل العماليقه من العرب العاربه، و كان شديد البأس فأباد الأمم و دوخ البلاد حتى بلغ فيما يقال إلى جبل القمر الذى ينبعث من تحته النيل، و إنما سمي جبل القمر لأن القمر يطلع عليه أبدا لخروجه عن خط الاستواء، و بلغ هيكل الشمس و أرض الذهب، و هى أرض تنبت قصبان الذهب، و استعبد هذا الملك القبط و ملكهم ١٢٠ سنة ثم هلكت. و يقال إنه ركب ذات يوم فرسا و خرج متصيدا فركض به الفرس فقتله، و دفن فى بعض تلك الأهرام. ثم ملك بعده ابنه الريان بن الوليد، و هو فرعون يوسف عم، و القبط تسميه نقراوش، و كان عظيم الخلق جميل الوجه عاقلا محسنا إلى الناس. لما ولى بعد أبيه أسقط الخراج عن الناس ٣ سنين، و فتح خزائن الأموال و فرق على الضعفاء فأحبه الناس و شكروه. و كان يميل إلى الراحة و غلبت عليه اللذات، و ملك أمر الناس رجلا من أهل بيته يقال له قطفير، و هو الذى يسميه أهل الأثر العزيز. و قد ذكره الله تعالى فى القرآن العظيم فى قصه يوسف عم، و كان رجلا عاقلا حصيف الرأى نزيه النفس مؤثرا العدل، و أمر

أن ينصب له فى قصره سرير من الفضة يجلس

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٧٤

عليه و الوزراء و الكتاب بين يديه، و قام بجميع أمور الملك الريان و كفاه أحسن الكفايه؛ و الملك مشتغل بلذاته عاكف عليها، قد

صنعت له مجلس من الزجاج الملون و من البلّور الشفاف و البلّور المصبوغ، و أرسل حواليها المياه و وضع فيها السمك، فكانت الشمس إذا وقعت على ذلك الموقع أرسلت شعاعا عجيبا يبهر العيون. و عملت له متنزهات على النيل و على غير النيل على عدد أيام السنة، و كان ينتقل كل يوم إلى متنزه منها، و كان فى كل متنزه من الفرش الغريبة و الآنية العجيبة ما ليس فى غيره. و فى أيامه كان من أمر يوسف عليه السلام ما قصه الله تعالى فى محكم تنزيله، و خبره مع امرأة العزيز و هى زليخة بنت صاحب عين الشمس، و عين الشمس مدينة عظيمة من مدن أهل مصر فيها عجائب.

و كانت زليخة بنت عم العزيز، و اسم العزيز قطفير بلغة القبط، و اسم الملك نقراوش بلغة القبط، و قد ذكر الله تعالى اسم العزيز فى كتابه العزيز .

ذكر ما نقله القبط من خبر يوسف عم

قيل إن فى كتب تواريخ القبط أنه أدخل مصر غلام من أهل الشام كان قد باعه أخوته، و كانت قوافل الشام تعرس بناحية الموقف اليوم، فأوقف غلام فتودى عليه و هو يوسف عم فبلغ زنته ذهباً، فاشتراه قطفير و هو العزيز ليهديه للملك. فلما أتى به منزله و رآته زليخة امرأته، قالت له أتركه لنا نربيه ففعل؛ فكان من أمر افتنانها به ما قصه الله تعالى إلى أن رأى الملك الرؤيا؛ فأخرج يوسف من السجن، و أمر بغسله و كساه الثياب الرفيعة، و حمل إليه فلما دخل عليه و رآه امتلأ به سرورا و ألقيت عليه منه المحبة و الهيبة، و سأله عن الرؤيا ففسرها له كما ذكر الله تعالى؛ فقال له الملك و من يقوم لى بذلك؛ فقال له يوسف أنا، فإنى حفيظ عليم. قيل فرأى الملك امتحان يوسف عم و معرفته فأمر له بعمل الفيوم، و كان موضعا يفيض فيه ماء النيل، فأقام تلك الأرض و أتى بتلك الحكمة الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٧٥

المعجزة و الآية البينة فى ٤ أشهر، و قيل فى ٩٠ يوما، و شق تلك الخلجان الثلاثة فلما فرغ يوسف عم من عمل الفيوم و أعلم بذلك الملك، خرج هو و وزراؤه و أهل دولته ينظرون إلى ما صنع يوسف عم، فلما نظر الملك إلى حكمه صنع ذلك الموضع فى مدة يسيرة، قال الملك لوزرائه: هذا عمل ألف يوم؛ فسمى الفيوم من حينئذ. قيل فسر الملك بيوسف سرورا عظيما و خلع عليه و ألبسه تاجا مكللا بفاخر الجواهر، و أمر الجيش أن يركب معه و يطاف به و يرد إلى القصر و يجلس على سرير العزيز. و كان العزيز قد مات فاستخلفه الملك على ملكه، و سماه العزيز و زوجه امرأته زليخة، فدخل بها يوسف عم فوجدها عذراء فقال لها هذا أصلح مما أردت، فقالت له اعذرني فإن زوجي كان عنيئا، و لم تكن تراكي امرأة فى حسنك و جمالك إلا صبا قلبها إليك.

قيل فلما جاءت سنين الخصب أخذ يوسف فى توفير الغلات و الاستكثار من الأقوات، و بنى لاختزان الزرع مخازن عظيمة، و يقال إن بعضها باقى إلى الآن فإن الطعام كان يخترن بسنبله كما ذكر الله تعالى. فلما جاءت سنين الجذب و نقص فيض النيل و توالى نقصانه فأحسن يوسف عم السياسة و التدبير فى تلك المجاعة، و قسط بيع الزرع بين الناس فلا يبيع لأحد إلا بقدر حتى ساوى بين الناس؛ و لولا ذلك لهلك الناس. و قيل إنه صار ليوسف جميع أموال أهل مصر بما باع منهم من الطعام، فإنه باع منهم بالذهب و الفضة و الحلى و الثياب و الدواب و الأبنية و العقار، و بجميع ما بأيديهم من الأموال، حتى أنه يقال إنهم باعوا منه أولادهم و نساءهم و أنفسهم حتى صاروا له كلهم عبيدا، و تلك كرامة من الله أكرمه بها لأجل ما بيع ببلدهم . فمن ذلك الوقت صارت أرض مصر كلها للسلطان ليس للرعية فيها ضيعة و لا فدان. و قد اعترضهم بعض ولاء مصر فى أيام بنى عبيد الذين كانوا بها قبل اليوم ملوكا، و أراد أخذ ديارهم و احتج عليهم بهذا القول. قيل و قحط أهل الشام فى ذلك الوقت، فكان من أمر يوسف مع أخوته ما قصه الله تعالى فى كتابه. فوجه يوسف عم إلى أبيه و حمله من الشام إلى مصر بجميع أهله و ولده، فلما قرب يعقوب عم من مصر خرج

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٧٦

إليه يوسف فى وجوه أهل مصر، و تلقاه و أدخله على الملك، و كان يعقوب عم نبيا جليلا فصيحاً فأعظمه الملك و أحبه. قيل فدعاه

يعقوب إلى توحيد الله تعالى و نبد الأصنام، و كان يوسف قد قدر عنده ذلك فتمكن من استبصار الملك و آمن. فيقال إنه كتم إيمانه خوفا من ذهاب ملكه، ثم لم يزل يعقوب عليه السلام مكرما معظما حتى حضرته الوفاة، و ذلك فى حياة الملك الريان بن الوليد، فأوصى يعقوب أن يدفن فى مكانه و مكان آباءه بالشام، فوضع فى تابوت و خرج به يوسف و وجوه أهل مصر حتى بلغوه إلى موضعه. قيل فمنعهم عيصوم أخو يعقوب أن يدفنه هناك لأن إسحاق عم آباهما وهب لعيصوم ذلك الموضع حتى اشتراه يوسف منه و دفن فيه يعقوب. ثم انصرف يوسف إلى مصر، و ولد له بعد ذلك أولاد كثير.

ثم هلك الملك الريان و استخلف ابنه دريموس بن الريان، و هو فرعون الرابع و يسميه أهل الأثر دارم، و كان الملك الريان قد أوصى ابنه دريموس أن يبقى يوسف على ما كان عليه من استخلاف و حجابة و أن يسمع من رأيه، فبقى يوسف على ما كان عليه . و كان الملك دريموس يسمع من رأيه غير أنه خالفه فى دينه و ما كان اعتقده أبوه، فكان يخدم القمر لأنه كان طالعه، فكان يصنع له أصناف الفضة و ينصبها فى قصر الرخام الذى بناه أبوه فى شرقى النيل. قيل و قبض يوسف عم بعد سنين من ولاية هذا الملك، فجزع عليه جزعا شديدا و كذلك أهل مصر، و أمر الملك أن يكفن فى ثياب الملوك، و جعل فى تابوت من رخام، و دفن فى الجانب الغربى من النيل عاما فأخصب ذلك الجانب ثم نقل إلى الجانب الشرقى عاما فأخصب أيضا ذلك الجانب، فلما ظهرت لهم بركته رأوا رأيا أن يجعل التابوت فى وسط النيل، فشدوه بالحبال و دلوه فى وسط النيل فأخصب الجانبان كلاهما جميعا .

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٧٧

و يقال إن الملك الريان بن الوليد صاحب يوسف عليه السلام لم يمت و انه عاش إلى زمان موسى؛ و إنه فرعون موسى عم المذكور فى القرآن، و إنه لما أطال الله فى عمره أدركه الإعجاب فتأله و دعا الناس إلى عبادته، و قيل غير ذلك.

و تنازع الناس فى أمر فرعون موسى عم، فمنهم من رأى أنه من العماليق، و منهم من رأى أنه من لخم من الشام، و منهم من رأى أنه من الفرس من مدينة اصطخر، و منهم من رأى أنه من ولد مصر المتقدم المذكور و القبط أثبت ذلك، و زعم قوم من الأعاجم أنه من الأندلس من مدينة قرمونه، و ذكر أن اسمه الوليد بن مصعب. و كان سبب ملكه أنه دخل مدينة منف من البادية يحمل خمرا للبيع على أتان له، و كان أهل منف قد اختلفوا فى تولية ملك عليهم فأجمعوا أن يملكوا أول من يدخل فى ذلك اليوم، فكان أول داخل ذلك اليوم على باب المدينة فرعون، فولوه الملك. و مدينة منف كانت فى ذلك الزمان قاعدة مدن مصر و دار مملكتها، فلما تمكن ملك فرعون ببلاد مصر بذل الأموال و جمع الجيوش و قتل من خالفه و ناوأه و مدن المدن و خندق الخنادق فاستقر له الأمر، و كان جبارا معجبا يدعو الناس إلى عبادته، و يقول لهم أنا ربكم الأعلى كما حكى الله تعالى عنه فى كتابه العزيز . و استعبد بنى اسرائيل فكان من أمره مع موسى ما قصه الله تعالى. ثم ملك موسى بلاد مصر و الشام لبنى اسرائيل يتوارثونها ملك عن ملك، و منهم كان داود و سليمان عم إلى أن بعث الله تعالى عيسى عم، و ظهر دين النصرانية، ملك أرض مصر النصرارى و كانوا يتوارثونها ملك عن ملك إلى أن جاء الله تعالى بالإسلام، فدخل المسلمون بلاد مصر و ملكوها فى أيام عمر بن الخطاب رضه.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٧٨

ذكر فتح مصر

قال عبد الرحمن بن عبد الله بن [عبد] الحكم : لما كان سنة ١٨ من الهجرة [٦٤٠] فى خلافة عمر بن الخطاب رضه و قدم عمر رضه الجابية، خلا- به عمرو ابن العاص و قد كان دخل مصر فى الجاهلية و جرى له بها خبر الكرة، فكان عمرو بن العاص يعرف أحوال مصر، فجعل يعظم عند عمر بن الخطاب أمرها، و يعرفه بكثرة جبايتها و يهون عليه أمرها و فتحها، حتى ركن لذلك عمر رضه.

فعقد له على ٤٠٠٠ و جهزهم معه، و قال له: «سر و أنا مستخير الله تعالى و سيأتيك كتابى سريعا بما أرى إن شاء الله تعالى، فإن أدركك كتابى آمرك فيه بالانصراف قبل أن تدخل أرض مصر فانصرف، و إن أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابى فامض لوجهك و

استعن بالله و استنصر به». فسار عمرو بن العاص فى جوف الليل و لم يشعر به أحد، ثم استخار عمر فكأنه تخوف على المسلمين فكتب إلى عمر و يأمره بالانصراف بمن معه، فأدركه الكتاب و هو فى رفح فتخوف عمرو إن قرأ الكتاب يكون فيه الأمر بالانصراف، فلم يأخذ الكتاب من الرسول و دافعه حتى نزل قرية فيما بين رفح و العريش، فسأل عنها ف قيل له إنها من أرض مصر، فدعا بالكتاب فقرأه على المسلمين ثم قال لهم: أ لستم تعلمون أن هذه القرية من أرض مصر؟ فقالوا بلى. فقال لهم إن أمير المؤمنين عهد إلى إن لحقنى كتابه و أنا لم أدخل أرض مصر أن أرجع بمن معى، و إن كتابه لم يلحقنى حتى دخلت أرض مصر فسيروا على بركة الله. فساروا حتى توسطوا بلاد مصر فزولوا بموضع على النيل و هو الفسطاط، و لم يكن فيه حينئذ مدينة و إنما بنى الفسطاط عمرو. و كان ملك مصر فى ذلك الزمان المقوقس و هو الذى أهدى

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٧٩

لرسول الله صلعم مارية القبطية، فلما سمع المقوقس دخول المسلمين بلاده و نزولهم فى موضع الفسطاط و لم يكن له بهم علم راعه ذلك، و نظر فى توجيه الجيوش إليهم. فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رضه يستمده، فأمده بأربعة الآلاف. و يقال إن أسقفا كان بالإسكندرية من أهل العلم بالكوائن، لما بلغه قدوم عمرو مع المسلمين إلى بلاد مصر كتب إلى القبط يعلمهم أن ملكهم قد انقطع، و يأمرهم بتلقى عمرو و الطاعة له؛ فأطاعه كثير من القبط فاستعان بهم على من سواهم. ثم سار عمرو إلى البلد الذى كان فيه الملك المقوقس، و كان حصنا عظيما مانعا و قد خندقوا حوله و جعلوا للخندق أبوابا و علقوا شبك الحديد على تلك الأبواب، فكان عمرو يفرق أصحابه على جوانب الحصن ليرى العدو أنهم أكثر مما هم، و يغدوا بهم فى الأسحار و يصففهم على أبواب الخندق عليهم السلاح و الدروع.

ثم إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضه بعث الزبير بن العوام فى ١٢ ألفا فتقوى المسلمون، فجعل عمرو يلح بالقتال و وضع المنجنيق، فلما أبطأ الفتح على المسلمين قال الزبير بن العوام رضه: أنا أهب نفسى لله و أرجو أن يفتح الله على المسلمين. فوضع له سلم إلى جانب الحصن فرقى ثم قال لهم إذا سمعتم تكبيرى أجيونى، فما شعر أهل الحصن إلا و الزبير على رأس الحصن يكبر و السيف بيده منتضى، فتحامل المسلمون على السلم حتى نهاهم عمرو خوفا أن ينكسر بهم، فهرب أهل الحصن جميعا. و عمد الزبير إلى باب الحصن ففتحه و اقتحم المسلمون فيه، فلجأ الروم و القبط إلى الفوق و هو قصر منيع فى الحصن، فحاربهم المسلمون نحو شهر، و كان فى ذلك القصر المقوقس مع أكابر الروم و القبط، فخاف المقوقس على نفسه و على من معه فخرج من باب خفى و ترك فى القصر جماعة يقاتلون، و سار إلى الجزيرة موضع دار الصناعة اليوم، و أمر بقطع الجسر. ثم أرسل المقوقس إلى عمرو بن العاص: «إنكم قوم قد دخلتم بلادنا و طال مقامكم بأرضنا و إنما أنتم عصبه يسيرة، و قد اضلتكم الروم و جهزوا إليكم الجيوش، و قد أحاط بكم هذا النيل و أنتم أسارى بأيدينا، فابعثوا إلينا رجلا منكم نسمع كلامه فعسى أن يتأتى الأمر بيننا و بينكم على ما تحبون و نحب،

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٨٠

و ينقطع عنا و عنكم هذا القتال قبل أن تغشاكم جيوش الروم فتندموا. فرد عمرو مع رسله أنه ليس بيننا و بينكم إلا إحدى ثلاث خصال: إما أن تدخلوا فى الإسلام فكنتم إخواننا و كان لنا ما لكم و علينا ما عليكم؛ فإن أنتم أبيتم أعطيتم الجزية عن يد و أنتم صاغرون؛ أو جاهدناكم بالصبر و القتال حتى يحكم الله بيننا و بينكم، و هو خير الحاكمين. فلما رجعت رسل المقوقس قال لهم كيف رأيتموهم، قالوا رأينا أقواما الموت أحب إلى أحدهم من الحياة و التواضع أحب إليهم من الرفعة، ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة، إنما جلوسهم على التراب و أكلهم على الركب و أميرهم كواحد منهم، يغسلون أطرافهم بالماء، فإذا حضرت صلاتهم لم يتخلف عنها أحد منهم و يتخشعون فى صلاتهم تخشيعا كثيرا. فقال المقوقس و الذى يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لزلزلوها و ما يقوى على قتال هؤلاء أحد، و إن لم يغننا صلح هؤلاء القوم و هم محصورون بهذا النيل فإنهم لن يجيئوننا إذا تمكنوا من الأرض. و كان ذلك

وقت خروج النيل و فيضه، و المسلمون قد أهدقت بهم المياه من كل جانب لا يقدرّون على النفوذ إلى الصعيد و لا إلى غيره. ثم بعث إليهم عمرو بن العاص ١٠ رجال أحدهم عبادة ابن الصامت، و كان أسود اللون من العرب، و أمرهم أن يكون متكلم القوم فإنه كان فصيحاً، و أمرهم أنه لا يجيبهم إلا إلى إحدى ثلاث خصال و هى المتقدم ذكرها.

فركبوا السفن و دخلوا على المقوقس؛ فتقدم عبادة للكلام فهابه المقوقس لسواده و قال نحوا عنى هذا الأسود و قدموا غيره، فقالوا جميعاً إن هذا الأسود سيدنا و أفضلنا رأياً و علماً. فكلّمه عبادة ثانياً، فقال المقوقس لأصحابه: لقد هبت منظره و إن قوله عندى لأهيب، و إن هذا و أصحابه إنما خرجوا إلى خراب الأرض و ما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها. و قال نعطي كل من فى الجيش دينارين و نعطي أميرهم ١٠٠ دينار و نبعث إلى خليفتهم ١٠٠٠ دينار؛ فلم يجبه عبادة إلا إلى إحدى ثلاث خصال. فقال المقوقس لأصحابه ما ذا ترون؟

فقالوا: أما ما أرادوا من دخولنا فى دينهم فهذا ما لا يمكن و لا نترك دين المسيح إلى دين لا نعرفه، و أما ما أرادوا [من] أن يجعلونا عبداً فالموت أيسر من ذلك، فإن رضوا بأن نضعف لهم ما أعطيناهم و ينصرفوا عنا كان أهون علينا.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٨١

فانصرف عنهم عبادة بن الصامت و أصحابه و لم ينعقد بينهم صلح على شىء، فألح عليهم المسلمون بالقتال حتى أذعن المقوقس لإعطاء الجزية عن القبط خاصة.

و أما الروم فيخبرون فى المقام على الجزية و الخروج إلى أرض الروم، و تم ذلك بينهم و بين المسلمين؛ قيل فأحصى يومئذ جميع من بمصر أعلاها و أسفلها من القبط فكانوا ٦٠٠٠ ألف ممن بلغ الحلم، سوى الشيخ الفانى و الصغير الناشئ و النساء. و فرض على كل رجل منهم دينارين فى السنة فكانت فريضتهم ١٢ ألف دينار، و رفع ذلك عرفاًؤهم بالإيمان المؤكدة ثم زادت بمن استقر بها من النصرارى و غيرهم من النوبة ٣٠٠٠ دينار. فجعل عمرو يبحث عن الأموال و يضمها إلى بيت مال المسلمين، فذكر له أنه عند عظيم الصعيد مال كثير، فبعث إليه فيه فقال له ما عندى مال فسجنه. و سأل عمرو من كان يدخل إليه هل سمعوه يذكر أحداً، فقالوا له سمعناه يكثر ذكر راهب بالطور، فبعث عمرو فأتوا بخاتم المسجون فكتب كتاباً على لسانه إلى ذلك الراهب بالرومية و ختم عليه، و بعث به إلى ذلك الراهب فأتى بقدره نحاس مختومة بالرصاص فإذا فيها كتاب فيه: يا بنى إذا أردتم ما لكم فاحفروا تحت الفسقية. فبعث عمرو الأمانة إلى الفسقية و هى الساقية، فحفروا تحتها فاستخرجوا ٥٠ أردب دنانير، و الأردب نحو قنطار و نصف.

ثم أمر عمرو المسلمين ببناء دور يسكنونها بالفسطاط و هى مدينة مصر اليوم، و إنما سميت مدينة مصر بالفسطاط لأن عمرو بن العاص حين دخل مصر ضرب فسطاطه بذلك الموقع، فلما أراد التوجه إلى الإسكندرية لقتال من بها من الروم أمر بتزع الفسطاط فإذا فيه يمام قد فرخ، فقال عمرو لقد تحرم هذا منا بحرم، فأمر الفسطاط فأقر مكانه و أوصى عليه. فقام المسلمون من الإسكندرية بعد فتحها و قال الناس أين ننزل فقيل الفسطاط، لفسطاط عمرو الذى تركه فى المنزل مضروباً بالموضع الذى يعرف اليوم بدار الحصى. ثم بدأ عمرو ابن العاص ببناء المسجد و كان موضعه حدائق و أعناب فقطعت، و وضعوا أيديهم على البناء فلم يزل عمرو و من حضر من أصحاب رسول الله صلعم قياماً حتى وضعت القبة، فلما أتمه اتخذ فيه منبراً فكان يخطب عليه.

و قال أبو تميم الجهانى: فوصل ذلك عمر بن الخطاب رضى فكتب إلى عمرو ابن العاص: أما بعد فإنه بلغنى أنك اتخذت منبراً ترقى فيه على رقاب المسلمين

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٨٢

أما بحسبك أن تقوم قائماً و الناس من تحتك، فعزمت عليك إلا كسرته. ثم اختط عمرو داره التى هى اليوم عند باب المسجد بينهما الطريق، و كذلك اختط جميع من أراد السكنى بمصر من المسلمين داراً لنفسه. و كان الزبير بن العوام اختط داراً و جعل فيها السلم الذى صعد عليه إلى الحصن المتقدم الذكر، فلما ولى عبد الملك بن مروان اغتصبها من الزبير و أصفها لنفسه، فلما [ولى] أبو جعفر

المنصور من بنى العباس ردها على هشام بن عروة بن الزبير .

ذكر المشهور من مدن أرض مصر

منها مدينة مصر و هى الفسطاط الذى ذكرنا آنفا: و هى حاضرة بلاد مصر فيها من المباني و المصانع و البساتين و الغرف المشرفة على النيل و القصور ما يبهج العيون و يطرب المحزون.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٨٣

مدينة القاهرة: محدثة من بناء العبيدیین الشيعة الذين كانوا بها، بينها و بين مصر نحو ٣ أميال. و هى مدينة كبيرة فيها من القصور و المباني ما يعجز الوصف عنه و كانت دار مملكة العبيدیین. و كان الحاكم من بنى عبيد قد بنى بين الفسطاط و القاهرة مسجدا عظيما على ٣ مشاهد كانت هناك، و جعل فيه سدنة و خدما يوقدون فيه السرج الليل كله. و ذكر أنه أراد أن ينقل إليه جثة النبی صلعم، و قد كانت توجهت له الحيلة فى ذلك غير أن الله دفع و أظهر الله تعالى أهل المدينة على ذلك و قايه لرسوله صلعم و ردا لكيد عدوه. و ذلك أن الحاكم بذل الأموال لرجال من شيعته فمشوا إلى المدينة فاشتروا دارا تلاصق مسجدا رسول الله صلعم، و بذلوا فيها ما لا كثيرا، و أخذوا ذرع ما بين الدار و القبر، و احتفروا سربا عظيما حتى كادوا أن يصلوا إلى القبر المكرم، فأطلع الله أهل المدينة على ذلك، فقتلوا أولئك البغاة الفسقة و مثلوا بهم و ردموا ذلك الحفير بالحجارة و أفرغوا عليها الرصاص فلا يطمع فى الوصول إلى مثل ذلك طامع أبدا

مدينة منف: مدينة عظيمة أزلية قديمة. و هى كانت دار مملكة الملوك القدماء ، و كان بها فرعون موسى عليه السلام. و كان اتخذ لها ٧٠ بابا و فصل حيطان المدينة بالحديد و الصفر، و فيها كانت الأنهار تجرى من تحت سريره و كانت ٤ أنهار. ذكر رجل من ولد على بن أبى طالب رضه، قال: رأيت بمنف دار فرعون، و كنت أمشى فى مشارفها و مجالسها و غرفها و جميع سقائفها و حجورها فإذا ذلك كله حجر واحد منقور. فإن كان بناء قد أحكم حتى صار فى الاستواء كحجر واحد لا يستبان فيه جمع حجرين و لا ملتقى صخرتين فذلك عجب، و إن كان جبلا واحدا فنقر الرجال فيه بالمناقير حتى خرقت فيه تلك المخارق فهو أعجب و أعجب .

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٨٤

مدينة دلاص: هى مدينة قديمة أزلية عجيبة البناء فيها غرائب؛ و هى كانت مجتمع سحره مصر .

مدينة إخميم: و هى مدينة كبيرة أزلية قديمة فى الضفة الشرقية من النيل، و فيها أسواق و حمامات و مساجد كثيرة. و داخل سورها البربى المتقدم الذكر، لم يتغير منه شئ. و فيها من عجيب المباني و الآثار ما يعجز الوصف عنه .

مدينة أسيوط: و هى مدينة قديمة أزلية مسورة على الجانب الغربى من النيل، جميلة القصبه كثيرة الفوائد و هى أكثر بلاد الله قصب السكر و أطيب؛ و فى وسط سوقها بربى تهدم بعضه .

مدينة عين الشمس: هذه مدينة قديمة أزلية و هى كانت مدينة فرعون، و فيها آثار كثيرة و مباني عجيبة من أساطين الرخام و تماثيل و نقوش، و فيها بركة عظيمة و قد نقرت فى حجر صلد و حوالها كراسى من رخام، فكان يجلس فرعون عليها و تملأ بالخمير و حوالها أنهار العسل و أنواع المشروبات؛ و بالقرب منها صورة من رخام يخيل للنظر أنها تتكلم، ذكر أنها كانت ماشطة فرعون.

و بالقرب منها صنمان من حجارة كل صنم منها طوله ٦ أذرع، أحدهما يبكى و الآخر يضحك. و هذه المدينة كانت فى طاعة والد زليخة زوجة العزيز، و كانت تعرف بنت صاحبها .

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٨٥

مدينة أنصنا: و هى كانت مدينة السحره فى زمن فرعون و أكثرها خراب.

و كان بها أيضا بربى لم يبق منه اليوم إلا بيت واحد كأنه من صخرة واحدة.

و يقال إن مارية القبطية التى أهداها المقوقس إلى النبى صلعم كانت من كورة أنصنا، من قرية يقال لها جفن. و مدينة أنصنا لا يقربها التمساح و الناس منه آمنون هناك. و أكثر ما يكون التمساح عدوانا بالشاطئ الذى يقابل أنصنا فى قرية يقال لها الأشمون، لا يقدر أحد أن يقرب من شاطئها، فإذا صارت التماسيح فى حد أنصنا تحولت على ظهورها حتى تجاوز حدها، و كذلك تصنع بفسطاط مصر فوق المدينة بنحو ١٠ أميال حتى تخرج عن حد المدينة بمثل ذلك.

مدينة قوص : هى مدينة كبيرة أزيلية قديمة فيها آثار كثيرة للأوائل، و بينها و بين مدينة أسوان غير ان منحوتة فى جبال هنالك فيها قبور الأموات لا يعلم لها عهد، تستخرج منها المومياء الطيبة، و هم يجدونها فى رممهم و بين أجفانهم. و يقال إن فى تلك الصحراء التى بين قوص و أسوان معادن الذهب، غير أن البجاء و هم جنس من الحبشة تمنع منه؛ و بلادهم بين بحر القلزم و نيل مصر، و يسكن عندهم جماعة من العرب من ربيعة بسبب هذا الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٨٦

المعدن . و يتصل ببلادهم معدن الزمرد الفائق الذى ليس له مثل بعمور الأرض، و هو بموضع يعرف بالخربة فى مفازة و جبال محمية بالبجاء، و إليهم يؤدى الخفارة من يرد لحفر الزمرد. و بين هذا الموضع و النيل أكثر من ٢٠ مرحلة، و بين هذا المعدن و العمران مسيرة سبعة أيام. و لا يعرف معدن للزمرد غيره إلا ببلاد البلهرى من بلاد الهند و لا يلحق بهذا . و الهندى هو الذى يعرف بالمكى لأنه يحمل إلى عدن فيؤتى به مكة فاشتهر بهذا الاسم.

و الزمرد الذى يقطع من الخربة هو أربعة أنواع: فأعلاها الذى يعرف بالمرو، و هو كثير المائىة تشبه خضرته السلق إلا أنه يضرب إلى السواد. و النوع الثانى هو البحرى فى لون ورق الآس، و إنما غلب عليه اسم البحرى لأن ملوك الهند و السند و الصين يرغبون فيه، و يفضلونه على غيره من الزمرد. و النوع الثالث يعرف بالمغربى لأن ملوك المغرب و الأفرنج و الأندلس و الجلافة يتنافسون فيه. و الصنف الرابع و هو المسمى بالأصم، و هو أدناها و أقلها ثمنًا لقلته مائه و خضرته و كثرة ركوده. و أكثر حجارة الزمرد الفائق يبلغ وزن العدسة ١٠ دنانير، و هذا المعدن قد انهارت غيرانه و تهدمت لبعده العمارة عنه و انقطاع الناس.

و لا خلاف عند جميع من يقرب من موضع ذلك المعدن أن الحيات و الأفاعى و سائر الحيوان المسموم لا يقرب هذا المعدن و لا حومته، و قيل إن هذه الحيوانات إذا بصرت بالزمرد الفائق سالت عيونها، و إن الملسوع إذا سقى منه وزن دائق برئ باذن الله تعالى. و كانت ملوك اليونانيين من أرباب الحكمة تفضله على جميع الأحجار، و أهل الحكمة يقولون إن شعاعه نورى و خضرته تقوى بزيادة القمر و امتلائه، و الله تعالى فى علمه أسرار مخفية .

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٨٧

مدينة فقط: هى مدينة متوسطة المقدار أزيلية لها سور، و بينها و بين مدينة قوص أربعة أميال و فيها يربى و يقربها شعراء كثيفة . مدينة أسوان: هى آخر مدن مصر لأنها تفر متصل ببلاد النوبة و هم كفرة، و لو لا ما بين بلاد مصر و بلادهم من الجبال و الأوعار التى تحول بينهم لأفسد النوبة بلاد مصر. و النيل إنما يهبط من بلاد النوبة على صخور و أوعار و لا يدخل ذلك الموضع مركب . و من أسوان الطريق إلى عيذاب؛ و عيذاب مدينة على ضفة البحر الغربى المعروف ببحر القلزم. و من عيذاب يعبر إلى ساحل الحجاز إلى جدة، و من عيذاب يسلك إلى بلاد اليمن و الهند و غير ذلك من البلاد .

و من مدن مصر تيس و دمياط: و هما مدينتان قد غلب على أكثر أرضهما ماء البحر. فمدينة تيس مدينة كبيرة أزيلية فيها آثار كثيرة للأول، و أهلها ذو يسار و ثروة و أكثرهم حاكة، و بها تحاك ثياب الشروب التى لا يصنع مثلها فى الدنيا. و يصنع فيها لصاحب مصر قميص لا يدخل فيه من الغزل سداة و لحمه غير أوقيتين و ينسج من الذهب ٤٠٠ دينار، قد أحكمه صانعه حتى لم يحوج إلى تفصيل و لا خياطة غير الجيب و البنائى، و الذى تبلغ القيمة فيه ١٠٠٠ دينار. و قد أحكمه صانعه حتى لم يحتاج إلى تفصيل و لا خياطة غير ما قلنا، و كذلك إلى الآن يصنع لكل ملك من ملوك مصر هذا الثوب فى كل عام.

و يسمى هذا القميص البدنة، وليس فى جميع الدنيا طراز ثوب كتان يبلغ الثوب

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٨٨

منه و هو سادج دون ذهب ١٠٠ دينار عينا غير طراز تينيس و دمياط. و يسكن بجزيرة تينيس و دمياط نصارى هم الآن تحت الذمة بحمد الله؛ و نحن فى سنة ٨٦ [٥]. و أهل تينيس يصيدون السمان و غير ذلك من الطير على أبواب دورهم، فإنهم يمدون شباكا فى سككهم عند أبواب دورهم، و السمان طير يجرع عند خروجه من البحر فيقع فى تلك الشباك. و كانت تينيس أخصب بلاد الله و أكثرها ثمارا و فاكهة، و كانت مقسومة بين ملكين أخوين من ولد أبريت بن مصر، و كان أحدهما مؤمنا و الآخر كافرا. فأنفق المؤمن فيها من أمواله فى وجوه البر حتى باع من أخيه الكافر حصته فى تينيس، فزاد فيها الكافر غروسا و أنهارا و بنى فيها مصانع، فاحتاج أخوه إلى ما فى يده فمنعه وسطا عليه بماله و حشمه و حقره لفقره، فقال له أخوه المؤمن: مالى أراك غير شاكر لله تعالى على ما رزقك و يوشك أن ينزع ذلك منك و يغير نعمته عنك.

فأرسل الله تعالى على جناته و مصانعه الماء فأضحت خاوية على عروشها؛ فهما اللذان عنى الله تعالى فى سورة الكهف عز و جل: «و اضرب لهم مثلا-رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب و حفنهما بنخل و جعلنا بينهما زراعا فكلتا الجنتين آتت أكلها و لم تظلم منه شيئا» إلى آخر الآيات المحكمات .

و تركب السفن من تينيس إلى الفرما و هى [على] ساحل البحر.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٨٩

مدينة الفرما: و هى مدينة كبيرة قديمة أزيلت فيها آثار كثيرة عجيبة تدل على أنها كانت دار مملكة. و يقال إن الذى بناها هو الفرما الملك، و يذكر أهل مصر أن [ابن] المدبر لما ولى مصر وجه إلى الفرما لهدم أبواب من رخام بها فى شرقى الحصن احتاج إلى أن يعمل منها فرشا فى داره فمنع من ذلك أهل الفرما، و خرجوا إلى رسله بالسلاح، و قالوا هذه الأبواب التى ذكرها الله تعالى على لسان يعقوب: «يا بنى لا تدخلوا من باب واحد و أدخلوا من أبواب متفرقة». و من عجائب الدنيا نخل الفرما فإنها تثمر حين ينقطع البسر و الرطب من جميع البلاد، فيكون رطب نخل الفرما بكانون الأول حين تلد النخل فى كل مكان فلا ينقطع ٤ أشهر، و لا يوجد هذا فى بلد من البلاد سوى الفرما؛ و هو تمر كبير يوجد فى وزن التمرة ٢٠ درهما و طولها فتر .

مدينة رشيد: و هى مدينة كبيرة على كتيب رمل عظيم، إذا هبت الريح الغربية، و هى تشتد عندهم، ملأت عليهم سككهم و بيوتهم رملا فلا يقدر على التصرف فى أسواقهم. و هم على ضفة النيل قرب البحر، و من أعجب منزهات الدنيا ضفة النيل من مصر إلى مدينة رشيد هذه، و لا غلة لثمار الأرض كغلة هذه الناحية. قال أبو عبيد البكرى أن رجلا أخبره، من أهل تلك النواحي، أنه رأى ضيعة ما لأحد المصريين تغل فى رمانها و موزها خاصة ١٥ ألف مثقال فى العام. قال، و هناك كانت ضيعة الليث بن سعد رحمه الله، قال قتيبة سمعت الليث بن سعد يقول: «يدخل على فى كل سنة ٥٠ ألف دينار ما وجبت عليها الزكاة قط، يعنى أنها من الفواكه التى لا تجب فيها الزكاة .

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٩٠

ذكر الفيوم: و هو قطر كبير فيه قرى كثيرة، يقال إن فيه من القرى عدة ما فى قطر مصر كله من القرى، فإن يوسف عم حين صنعه أنزل فى كل قرية أهل بيت من قرى مصر؛ و سير لكل قرية من الماء بقدر ما يروى أرضها من غير زيادة و لا نقصان. و يقال أيضا إن بالفيوم ٣٦٠ قرية على عدد أيام السنة لا تقصر عن الرى أبدا لحكمة شربها، فإذا نقص النيل فى سنة من السنين و غلا السعر بمصر مارت كل قرية منها مصر يوما. و حجر اللاهون بالفيوم من عجائب الدنيا و اللاهون قرية كبيرة من قرى الفيوم. و هذا الحجر شاذروان مبنى بأحكام صنعة، مدرج على ٦٠ درجة فيها فوارات فى أعلاها و فى وسطها و فى أسفلها. فتسقى العليا الأرض العليا، و الوسطى الأرض الوسطى، و السفلى الأرض السفلى بوزن و قدر لا ينقص لأحد من دون حقه و لا يزداد له فوق حقه. و هو من أحكم البنيان و

أتقنه؛ قيل من ذلك الوقت عرفت الهندسة؛ و ذكر كثير من الناس أن يوسف عم عمله بالوحى. و لم تزل الملوك من الأمم تقصد هذا الموضوع و يتأملون حسن صنعته و يتعجبون من غرائب حكمته، و يقال إن الملك المعاصر ليوسف عم لما تأمله قال هذا من ملكوت السماء، و هو من البناء الذى يبقى على غابر الأزمان؛ و يقال إنه عمل من ٣ أشياء: من الفضة و النحاس و الزجاج؛ و فى الضفة الغربية منه مسجد يوسف عليه السلام. و الفيوم يشرب من ١٢ ذراعا، و ليس بأرض مصر موضع يشرب من ١٢ ذراعا غير الفيوم لحكمة بنيان حجر اللاهون، و إنما رى أرض مصر من ١٦ ذراعا، فإذا زاد النيل على ١٢ قطع الماء عن الفيوم. فإذا كان يوم زيادته سد حجر اللاهون، و حضر ذلك شهود أهل تلك الجهة و المهندسون و أمرهم بالطبول و البنود فلم يكن لمن يدعى نقصان الماء عذر، و خرجت الإرسال عند ذلك بالبشائر إلى مصر، و هو عندهم يوم سرور و نزهة. و أهل الفيوم يزدرعون و الماء باق على جميع أرض مصر و لم يتم جريه، فإذا كان حصاد أهل مصر كان

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٩١

ذلك أول السقيّة الثانية لأهل الفيوم فإنهم يزدرعون فى العام مرتين، و يزدرعون السقيّة الثانية القمح و الشعير و الأرز فضلا عن القطنى. و الفيوم أخصب بلاد الله تعالى و أكثرها فاكهة، لا يعدم بها التمر و الرطب شتاء و لا صيفا، و لذلك غلتها أكثر جبايات بلاد مصر.

قال عبد الملك بن حبيب إنما سميت الفيوم لأن أخرجها ألف دينار كل يوم.

و الفيوم فى وسط بلاد مصر فلا يؤتى إلى كورة الفيوم من ناحية من النواحي إلا من صحراء أو مفازة، ذكر ابن عفر و غيره أن عمرو بن العاص لما فتح بلاد مصر أقام سنه لا يعلم أين موضع الفيوم و لا حيث مكانه حتى بعث عمرو قيس بن الحارث إلى ناحية الصعيد يبحث عن الفيوم، فسار حتى أتى القيس و به سميت. فأبطأ على عمرو خبره فقال من يأتنا بخبر قيس، فقال ربيعة بن حبيب أنا آتيك به، فركب فرسا له أنثى فجاز بها النيل من الجهة الشرقية و كان معه عمرو بن ربيعة بن حبيب بن الصدفى و أصحابهم، فمشوا فلما سلخوا فى المجابهة لم يروا شيئا و هموا بالانصراف، ثم ساروا قليلا فطلع له سواد الفيوم فطلبوا قيسا فوجدوه فى القيسيين فأتوا عمرو بخبر الفيوم.

مدينة الإسكندرية: ذكر أن اسمها برده و لها ١٥ كورة، قالوا كانت الإسكندرية ٣ مدن كبار بعضها بجنب بعض: منها شنة و هى موضع المنار و ما إلى ذلك؛ و الإسكندرية اسم قصبه السلطان و موضعه و هى باقية إلى اليوم؛ و المدينة

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٩٢

الثالثة نقيطة. و كان على كل واحدة منها سور، و قيل إنه كان على الإسكندرية ٣ مدن كبار و ٧ أسوار ب ٧ خنادق. و كان أصل بنائها أن الإسكندر استقام له ملكه فى بلاده، و كانت بلاده روم و ما إلى ذلك من بلاد الروم، و كان فيما يقال روميا، فيقال إنه خرج يختار أرضا صحيحة الهواء و التربة و الماء يبنى بها مدينة يسكنها، فأتى موضع الإسكندرية فأصاب به أثر بنيان و عمد رخام منها عمود عظيم مكتوب عليه بالقلم المسند، و هو القلم الأول من أقلام حمير و ملوك عاد: «أنا شداد بن عاد، سددت بساعدى الوادى و قطعت عظيم العماد من شوامخ الجبال و الأوطاد، و بنيت إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد.

أردت أن أبني هنا مدينة كارم و أنقل إليها كل ذى قدم من القبائل و الأمم، فأصابنى ما أعجلنى و عما ذهبت إليه قطعنى، فارتحلت عن هذه الدار، لا- لقهر ملك جبار و لا بخوف جيش جرار، و لكن لتمام المقدار، و انقطاع الآثار، و سلطان العزيز الجبار. فمن رأى أثرى و عرف خبرى و طول عمرى فلا- يغتر بالدنيا بعدى». قيل فلما رأى الإسكندر طيب أرض ذلك المكان و صحه هوائه و ما به عزم على بنيان مدينة بذلك الموضع، فبعث إلى البلاد فحشد الصناع و اختط الأساس، و استجلب العمد و الرخام و أنواع المرمز الملون و الأحجار فى البحر من جزيرة صقلية و بلاد إفريقية و أقریطش.

فلما اختط أساس المدينة كلها و حفره أراد أن يكون إنزال البناء فى وقت سعادة و بقاء على الدهور، فوضع على حفير الأساس عمود

رخام و على كل

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٩٣

قطعة من الأرض خشبة قائمة، و وصل بها حبالا منوطه بعضها ببعض يرجع جميعها إلى عمود الرخام، و على العمود جرسا عظيما و على كل قطعة من تلك الحبال جرسا صغيرا، فإذا حركوا جبل الجرس الكبير على العمود و خفق تحركت سائر الحبال و خفقت الأجراس. و أقام الإسكندر يرقب الوقت المحمود، و أمر الصناع إذا سمعوا تحريك الأجراس أن يضعوا الأساس دفعة واحدة و قد كانوا استعدوا لذلك. فبينما الإسكندر يرقب الوقت أصابته سنة، فوقع غراب على جبل الجرس الكبير فحركه فتحركت جميع الأجراس، فوضع البناؤون فى تلك الساعة الأساس. و ارتفع الضجيج بالتحميد و التسبيح فاستيقظ الإسكندر لضجيجهم، فسأل عن الخبر فأعلن، فعجب من ذلك، و قال: «أردت أمرا فأراد الله غيره و يأبى الله إلا ما يريد، أردت طول بقائها و أراد الله سرعة بنائها».

ثم تمدى على عملها و بنى المدينة على آزاج و طبقات قد عمل لها مخاريق و متنفسات للضوء، يسير الفارس و بيده رمح طويل فلا يضيق به طريق من تلك الآزاج حتى يدور جميع الإسكندرية. و كذلك كانت أسواقها مقنطرة فلا يصيب أهلها المطر. و بنى أسوارها من أنواع الرخام الأبيض و الملون، و كذلك جميع قصورها و دورها، فكانت تضىء بالليل بغير مصباح لشدة بياض الرخام، و ربما علت على أسوارها شقاق الحرير الأخضر لاختطاف بياضها أبصار الناس. و بنى عليها ٧ أسوار و أمام كل سور خندق، و بين كل خندق و سور فصيل.

و يقال إنها كانت أعظم مدينة بنيت فى معمور الأرض و أغربها بنيانا، فقيل إنه كان سكان البحر يؤذون الناس و يختطفونهم بالليل، فاتخذ الإسكندر الطلسمات مصورة على أعمده رخام على هيئة شجرة السرو، طول العمود منها ٨٠ ذراعا، و هى باقية إلى هذه الغاية. يقال إنها على أعمدة نحاس قد خرقت الأرض فصورت

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٩٤

فيها أشكال و صور تمنع و تدفع. و بنى المنار على طرف اللسان الداخلى فى البحر من البر، و جعله على كرسى من زجاج على هيئة السرطان فى جوف البحر، و جعل طولها فى الهواء ألف ذراع، و جعل فى أعلاه المرآة.

و كانت المرآة قد ركبت من أخلاط غريبة فيبصر فيها ما يأتى من مراكب العدو على مسيرة أيام فيتأهب لهم، فإن قربت المراكب من البلد عملت أخلاط بأدهان يعرفونها و طليت بها المرآة و عكس شعاعها على تلك المراكب فأحرقتها.

و جعل فى المنار تماثيل من نحاس و طلاسم كثيرة تمنع و تدفع و لها خواص، فمنها تمثال قد أشار بسبابه يده اليمنى نحو الشمس حيث كانت من مشرق أو مغرب أو أفق فيدور معها، و تمثال يشير بيده نحو العدو إذا كان منه على مقدار ليلة، فإن دنا و أمكن أن يرى بالبصر يسمع لذلك التمثال صوت هائل على ميلين أو ثلاثة.

و تمثال آخر كلما مضى من الليل أو من النهار ساعة سمع له صوت طرب بخلاف الصوت الذى كان منه قبل ذلك. و قد اختلف الناس و الرواة فى أمر بناء هذا المنار فمنهم من رأى أنه من بناء الإسكندر؛ و منهم من رأى أن دلوكه الملكة بنتها؛ و منهم من رأى أن جيرون الملك المتقدم الذكر بناها. و قيل إن الذى بنى الأهرام بناها، و قيل إن الذى بنى رومة المدينة العظمى بنى الإسكندرية و بنى منارتها. و إنما أضيفت الإسكندرية إلى الإسكندر لسكنائه بها و غلبته ممالك الأرض منها. و قيل إن الإسكندر كان لا يخاف أن يطرقه عدو فى البحر و لا يهاب ملكا يرد عليه فيجعل لذلك مرقبا و حراسا. قال عبد الله بن عمرو الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٩٥

ابن العاص إن أول من ملك الإسكندرية فرعون و اتخذ فيها مصانع و مجالس، و هو أول من عمرها ثم تداولها الملوك بعده، و إن سليمان بن داود عم اتخذها مسكنا و بنى فيها قصورا و مصانع عجيبة من بناء الجن، و بنى فى المنار مسجدا متقنا و هو باق إلى الآن. و الأصح أن الإسكندر بناها من أولها و اختط أساسها و بنى المنار فيها و عمل المرآة فى أعلاها، فيقال إنه ما ظهر العدو فى البحر و لا

ضرب بأسيافه الإسكندرية إلا بعد زوال تلك المرآة، و كان زوالها فى خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان. و ذلك أن ملك الروم أعمل الحيلة فى زوال المرآة من المنار، فبعث خادما من خواص خدمه ذا دهاء و رأى و معرفه بما يتناول من أشغاله، فجاء مستأمنا إلى بعض الثغور. فحمل إلى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان فأعلمه أنه كان من خواص ملك الروم و أنه أراد قتله لموجده لم يكن لها حقيقه، و أنه هرب منها و رغب فى الإسلام فأسلم بين يدي الوليد؛ و أظهر له النصح فى أشياء خدمه فيها. ثم إنه استخرج له دفائن فى بلاد دمشق و غيرها من بلاد الشام بكتب كانت عنده، فلما رأى ذلك الوليد شرهت نفسه و تمكن طمعه و باحثه عما عنده من هذا الفن؛ فقال له إن الإسكندر استولى على ممالك العالم، و احتوى على الأموال و الذخائر التى كانت لشداد بن عاد و غيره من ملوك العرب و العجم و الفرس و غيرهم من الأمم؛ فبنى لها الآزاج و الأسراب و الأخباء، و أودعها تلك الذخائر و الأموال و الجواهر ثم بنى فوقها تلك المنارة التى بالإسكندرية. فلو هدم ذلك المنار استخرج من تحته من الأموال و الذخائر و الكنوز و ما لا عين رأت؛ فصدق ذلك الوليد و طمع فيه، و بعث معه من خواصه و ثقاته من يقف على هدم المنار، و أمر صاحب الإسكندرية أن يعينه على جميع ما يريد، فهدم ذلك الرومى قدر نصف المنار و أزال المرآة التى كانت غرضه و أراد هدم الكل، فضج أهل الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٩٦

الإسكندرية، و علموا أنها مكيدة و حيلة. فلما استفاض ذلك خشى الرومى على نفسه، و هرب فى الليل فى مركب كان قد أعده لذلك الوقت؛ و بقيت المنارة على ذلك المقدار إلى هذا الوقت.

صفه المنارة اليوم: هى اليوم ٣ أحزم؛ أما الحزام الأول فهو مربع البناء، قد عمل أحسن عمل بحجارة مربعة قد خفى التصاقها حتى صارت كالحجر الواحد لم يغيره الزمان، ارتفاعه ٣٢٠ ذراعا. ثم ترك فى أعلاه قدر غلظ الحائط و هو ٨ أصابع و نحو ١٠ أذرع سوى ذلك الغلظ؛ و رفع على ما بقى من البناء بناء مثنى الشكل طوله ٨٠ ذراعا. ثم ترك قدر غلظ حائطه و هو أقل من غلظ الأسفل و هو نحو ٨ أذرع سوى ذلك [الغلظ]؛ ثم أقيم عليه بناء مربع الشكل ارتفاعه ٥٠ ذراعا و نحوها. و فى أعلا ذلك مسجد محكم البناء و يقال إنه مسجد سليمان. و فى الناحية الشماليه من البناء كتابه من النحاس لم يقدر أحد على فكها و لا معرفه ما هى. و باب المنارة حديد لا يعلم له عهد، و يرقى إلى الباب من أسفل المنارة فى علوه لا تبيين، و كذلك إلى أعلا الحزام الأول فى طريق يمشى فيه فارسان متناكبان فى أرض سهله لا يكاد الراقى يعلم فيه الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٩٧

هل هو راق أو ماش؛ فى كل عطف من هذا المصعد باب دار داخلها بيوت مربعة، سعه كل بيت منها ٢٠ ذراعا إلى ١٠ أذرع، قد فتح له مضاو و منافس للهواء لئلا تهدمها الرياح. و عدد ما فى المنار من البيوت ٣٦٤ بيتا، و عطف مطالعها من أسفلها إلى أعلاها ٧٢ عطفًا و فى كل عطف ١٢ درجه. و بيوتها كلها آزاج معقوده، و بناء المنار كله معقود بخشب الساج، و عدة أبوابها الظاهرة خارجا ٢٢ بابا، فتحت لتخرقه الرياح و لولا ذلك لهدمته. و هذا المنار من دخله و لم يعرف مسالكه تاه فيه و ضل لأن فيه طرقا تولى إلى أسفله و إلى سرطان الزجاج المتقدم الذكر و إلى البحر. و يقال إن جيش صاحب المغرب حين وصل الإسكندرية و ذلك فى خلافة المقتدر، دخل جماعة منهم المنار على خيولهم ليروا ما فيه من الغرائب، فتأهوا و تهوروا هم و دوابهم و فقد منهم عدد كثير. و قد كان البحر أثر فى أسفل المنارة من غربها كالكهف العظيم فسد بعض أمراء مصر - أظنه من العبيديين - ذلك التلم بأساطين الرخام بعضها فوق بعض. فالبحر يضرب اليوم فى تلك الأساطين فلا يؤثر فيها شيئا.

و فى جهة الشمال من المنار بناء عظيم عريض ارتفع من قعر البحر حتى ظهر على وجه الماء، يدل على أنه كانت عليه مصانع قد ذهبت، و يسمى ذلك البنيان الفاروس؛ تحته ترسو السفن لأنه يكف عنها الرياح و الموج. و قد زعم قوم أن ذلك الظاهر ليس بيتا و إنما هو ما هدم من حجارة المنار الذى ذكرنا.

قال بعض العارفين إذا أردت أن تبصر ارتفاع المنار و علوه من الجو فاخرج من الإسكندرية من باب أشتوم، و تسير على ضفة البحر

نحو نصف ميل ثم تسير نحو الشمال مقدار ذلك ثم تسير على بناء فى البحر كالقناطر و لها مناسف و البحر يضرب من ناحيتها نحو ٤٠٠ خطوه، فإذا خرجت من ذلك البناء سرت الإستبصار فى عجائب الأمصار؛ النص؛ ص ٩٧

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٩٨

فى فضاء داخل فى البحر كأنه جزيرة و المنارة فى أعلا هضبة منها. و قد أحاط البحر بالمنارة من ٣ جهات: من ناحية الشمال و الغرب و الجنوب؛ فتتظر حينئذ إلى المنارة فتراها كأنها سحابة قد ارتفعت فى الجو، فتظن أنها ترتعد من انعكاس شعاع الشمس و ضرباته فى المنارة .

و لهذه المنارة بالإسكندرية مجتمع فى العام يسمونه بخميس العدس، و هو أول خميس فى شهر مايه لا- يختلف فى مدينة الإسكندرية عن الخروج إلى المنار فى ذلك اليوم أحد. و قد أعدوا لذلك اليوم الأعممة و الأشربة، و لا بد فى ذلك الطعام من العدس. فيفتح بابها للناس و يدخلون فيها، فمن ذاكر لله تعالى و من وصل و من لاه و متفرج، فيقيمون إلى نصف النهار ثم ينصرفون . و من ذلك اليوم بعينه يحترس البحر. و فى المنارة قوم مرتبون يوقدون النار الليل كله فى الحزام الأول، فيؤم أهل السفن سمت تلك النار من جميع البلاد؛ و يوقد صاحب السفينة النار فى سفينة فإذا رأى المحترسون النار فى البحر، زادوا فى وقود النار و أوقدوها من جهة المدينة؛ فإذا رأى ذلك محترسو المدينة ضربوا البوقات و الأجراس حذرا من العدو.

و كان حول المنار مغائص يستخرج منها أنواع من الأحجار يتخذ منها فصوص الخواتم، مثل الاسبادشيخ و مثل الكركهن و الباقلمون و غير ذلك من الأحجار الغريبة التى لا توجد فى هذا الزمان و لها خواص. و هذا الباقلمون حجر يتلون ألوانا مختلفة عند النظر إليه كلون ريش الطواويس الهندية؛ فإن ألوان ريشها أحسن ألوانا من هذه الطواويس التى بهذه البلاد. و لطواويس الهند جمال عظيم و خلق عجيب، تتمازج ألوان ريشها و تترادف فيها فيرى لها منظر عجيب؛ و أصلها من الهند و ما خرج منها من ديار الهند صغر حجمه و كدر لونه كما يفعل ما نقل من النارج و الأترج من بلاد الهند، فإنها تصغر و تعدم تلك الروائح العطرية لعدم ذلك الهواء و التربة. قيل و كان حول المنار من تلك الجواهر كثير، فيقال إن الإسكندر أغرق ذلك حول المنار فيوجد هناك إذا طلب، و يكون ذلك الموضوع أبقي لها و يرى الناس على مر الدهور عظيم ملكه

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٩٩

و ما قدر عليه لوجود ما عز عند غيره مطلبه. و قيل أيضا إنها كانت آلات شراب الإسكندر، فيما مات كسرتها أمه و رمت بها فى تلك المواضع غير أن ينتفع بها أحد . و القصر الأعظم الذى كان بالإسكندرية، لم يكن له على معمور الأرض نظير، هو اليوم خراب. و هو على ربوة عظيمة بإزاء باب المدينة طوله ٥٠٠ ذراع و عرضه على النصف من ذلك و لم يبق منه إلا- بعض سواريه؛ و بابه من أحكم بناء و أتقنه على عضادة من حجر واحد، و عتبته حجر واحد؛ فيه نحو ١٠٠ أسطوانة قائمة غلظ كل واحدة نحو عشرة أشبار .

و فى نحو الشمال منه أسطوانة عظيمة لم يسمع بمثلها، غلظها ٣٦ شبرا و هى من العلو بحيث لا يدرك أعلاها قاذف بحجر، و عليها رأس محكم الصناعة يدل على أن بناء كان عليها، و تحتها قاعدة من حجر أحمر مربع الشكل محكم عرض كل ضلع من أضلاعه ٢٠ شبرا فى ارتفاع ٨ أشبار. و الأسطوانة منزلة فى عامود من حديد قد خرقت به الأرض، فإذا اشتدت الرياح رأيتها تتحرك و ربما جعلت تحتها الحجارة فتطحنها لشدة حركتها . و هذه الأسطوانة من إحدى أعاجيب الدنيا، و يقال إن الجن صنعتها لسليمان بن داود عم. و كانت وسط قبة و حولها أساطين، و أعلا الكل قبة تشبه الصحف من حجر واحد رخام أبيض بأحسن صنعة و أغرب إتقان. فلما مات سليمان بن داود عم، رفعت الجن تلك القبة و رمت بها فى البحر، فإنها كانت من غرائب ما عملت الجن لسليمان بن داود عم . قال حمزة بن محمد المصرى إن بعض ملوك مصر دخل الإسكندرية و رأى قصرها فنظر إلى قصر عجيب الشأن غريب البنيان من بناء الأولين، فعا الصناع و سألهم أن يبنوا له مصله فقالوا له لا نقدر على ذلك، فعزم عليهم فقال لهم إليه شيخ و قال: أنا أبني لك مثله و أحسن منه إن فعلت لى ما أريد، قال بلى، قال: ايتونى بثورين مطيقين و عجلة فأمر له بذلك فدخل

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٠٠

مقابر الأولين و احتفر قبرا منها و استخرج جمجمة عظيمة، فوضعها فى العجلة فما جرها الثوران إلا بعد مشقة و جهد، فجاءه فقال أصلح الله الأمير إن أعطيتنى من تكون رؤوسهم مثل هذا الرأس بنيت لك مثل هذا القصر، فعلم أنه لا يقدر على ذلك . و قال حمزة بن محمد أيضا: رأيت بالاسكندرية قصابا عنده ضرس يزن به اللحم زنته ٨ أرتال . و كان بالإسكندرية دار ملعب قد تهدم أكثرها، و كانت قد بنيت بضروب من الحكمة، و كانوا يجلسون فيها لقضاء حوائجهم، فكان كل جالس فيها إنما جلسوه تلقاء وجه صاحبه و لا يخفى على أحد منهم شئ من حال غيره، يتساوى قرييهم و بعيدهم فى ذلك. و كان لهم يوم مهرجان يجتمعون فيه فى هذا الملعب، و يحضره رؤساؤهم و أبناء ملوكهم و عامتهم، و يلعب فيه الصبيان و الفتيان بالصوالج و بينهم كرة . فإن دخلت تلك الكرة كم رجل ممن حضر فى ذلك اليوم فلا بد له من ولاية مصر؛ كان هذا عيدهم معروف لا ينكره أحد. و كان عمرو بن العاص رحمه الله قد سافر إلى الإسكندرية فى الجاهلية تاجرا بالقطن و الأدم، فحضر ذلك الملعب فى ذلك اليوم، فلعبوا فيه بالكرة فدخلت كم عمرو بن العاص حتى أتى الله بالإسلام فكان ما قدر الله تعالى من دخول عمرو مصر و ولايتها ٣ مرات .

و الإسكندرية تعجب كل من رآها لبهجتها و حسن منظرها، و ارتفاع مبانيها و إتقانها وسعة شوارعها و طرقاتها. و هى بريئة بحرية، و فيها من النعم و الأرزاق و الفواكه ما ليس ببلد مع طيب هوائها و تربتها. و قد ذهب بعض المفسرين

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٠١

إلى أن إرم ذات العماد هى الاسكندرية . و قال الناظرون فى الأعمار فى جميع الأقاليم و الأمصار: لم تطل أعمار الناس فى بلد من البلدان كطولها بمريوط و وادى فرغانة؛ و مريوط قرية من قرى الإسكندرية بالقرب منها؛ و هى كبيرة و لها بساتين كثيرة و منها تجلب الفواكه إلى الإسكندرية. و يروى أن عوف بن مالك حين دخل مدينة الإسكندرية قال لأهلها : «ما أحسن مدينتكم»، فقالوا له إن الإسكندر حين بناها قال: «أبنى مدينة إلى الله فقيرة و عن الناس غنية» فبقيت بهجتها على مر الدهور. و كان الفرما أخو الإسكندر بنى مدينة الفرما و قال: «إنى أبنى مدينة عن الله غنية و إلى الناس فقيرة»، فذهبت بهجتها و لا يزال ينهدم منها كل يوم شئ لا يجبر أبدا و يقال إن عمر بن عبد العزيز لما دخل الإسكندرية، و كان إذ ذاك والى مصر، و رأى عظمتها وسعة آثارها و علم أنها كانت مدينة كبيرة قال لعاملها و كان من أهلها: «أخبرنى كم كان عدد سكان الإسكندرية فى أيام الروم»؛ فقال له: «و الله لا أدرك علم ذلك أحد إلا-الله وحده، و لكنى أخبرك كم كان عدد رؤسائهم و رؤسائها و ملوكها فإن ملك الروم أمر بإحصائهم، و كتب ذلك فى توارихهم و كتبهم، فوجدهم ٦٠٠ ألف ملك .

و الدليل على عظم شأنها و كثرة ملوكها أن المطر إذا نزل فيها نزولا شديدا و سال ترابها مع الماء، خرج من فيها من الرجال و النساء و الصبيان و الضعفاء يلتمسون حوايلها، فيجدون قطع الذهب و الفضة من الحلى و غيره و الياقوت و الزمرد و أنواع الجواهر، و ليس يرجع أحدا منهم بغير شئ.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٠٢

و مدينة الاسكندرية أعظم مدن مصر؛ و بلاد مصر كلها فيها من العجائب و الغرائب ما يعجز عنه الواصفون. ذكر أن أحمد بن طولون كان صاحب مصرفى سنة نيف و مائتين و كان مولعا بمعرفة هذه الآثار القديمة و العجائب ، فذكر له أن رجلا من الأقباط بأرض الصعيد، و هى من أعالي بلاد مصر، له نحو ١٣٠ سنة، و هو ممن عنى من لدن حدائته بالعلم و الإشراف على الآراء و انتحل من مذاهب المتفلسفين و غيرهم، و أنه علامة بالممالك و الملوك و معرفة بهيئة الأفلاك و النجوم؛ و كان نصرانيا على مذهب اليعاقبة. فبعث ابن طولون إليه قائدا من قواده فحمله إليه فى النيل مكرما؛ و كان الشيخ قد انفرد عن الناس فى بنيان قد اتخذها و سكن فى أعلاه، و كان قد رأى الرابع عشر من ولده. فلما وصل إلى أحمد بن طولون أكرمه و أبره و أسكنه بعض مقاصيره و مهد له موضع جلوسه و حمل إليه لذيذ المأكلى و المشرب، فأبى الشيخ أن يتغذى أو يلبس إلا ما حمل مع نفسه من كعك و سويق و نحوها، و قال

هذه بنية قوامها بما ترون من الغذاء والملبس فإن أنتم ستمتونى النقل على العادة كان ذلك سبب انحلال البنية و يفوتكم منى ما تطلبونه، فتركه ابن طولون و ما يريد. ثم أحضره مجلسه مع أهل الدراية من أصحابه و خواص مجلسه و صرف إليه همته و غرضه؛ فلما سأله عن بحيرة تيس و دمياط المتقدم ذكرهما، قال كان موضع البحيرة أرضا لم يكن بديار مصر مثلها لطيب التربة و ذكاء الربيع؛ و كانت جنات متصله و لم يكن بمصر كورة يقال إنها تشبه الفيوم إلا هى وحدها، و كانت أكثر فاكهه منه؛ و كان الماء ينحدر إلى قرى موضع البحيرة صيفا و شتاء يسقون منه متى شاءوا، و فضل الماء تصب فى البحيرة. و كان بين العريش و قبرص طريق مسلوكة فى ييس، و بينهما اليوم مسير طويل فى البحر، فلما كان قبل استفتاح المسلمين بلاد مصر ب ١٠٠ سنة طما ماء البحر و زاد فأغرق القرى التى كانت فى موضع البحيرة، و ما كان منها فى البقاع المرتفعة فهى باقية إلى الآن قد أحاط بها الماء. و قال و عند هذه الزيادة التى زادها ماء البحر، طغى الماء على القنطرة التى كانت بين بلاد الأندلس و بين

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٠٣

ساحل طنجة من أرض المغرب. و كانت قنطرة عظيمة لا يعلم فى معمر الأرض مثلها، مبنية بالحجارة، تمر عليها الإبل و الدواب من ساحل المغرب إلى الأندلس، و كان طولها ١٢ ميلا فى عرض واسع و سمو كبير؛ و ربما بدت هذه القنطرة لأهل السفن تحت الماء فعرفوها.

و سئل عن ممالك الحبشة و الأحابيش التى على النيل، فقال ألفت منهم ٦٠ ملكا كل ملك منهم ينازع من يليه. قال و بسبب استحكام النارية فى بلادهم، تكون عندهم معادن الذهب كثيرة، فإن حرارة الشمس و يبسهها يغير الفضة ذهبا، فإذا طبخ ذلك الذهب بالملح و الزاج و الطوب، خرج ما فيه من الفضة.

و سئل عن منتهى النيل فى أعلاه، فقال أصله من البحيرة التى لا يدرك طولها و لا عرضها، و هى تحت خط الاستواء تحت قنطرة الفلك المستقيم؛ و هو الموضع الذى فيه الليل و النهار متساويان الدهر كله.

و سئل عن الأهرام، فقال إنها قبور الملوك؛ و كان الملك إذا مات وضع فى حوض من رخام ثم أطبق عليه و بنى له هرم على قدر همة و ليه، ثم يوضع الحوض فى وسط الهرم و يصنع باب الهرم تحت الحوض، ثم يحفر له طريق فى الأرض و يعقدونه آزاجا. فليل له فكيف هذه الأهرام المملسة و كيف كانوا يصعدون لبنائها؛ فقال كانوا يبنون الهرم مدرجا و يصعدون لبنائه فإذا فرغوا من عمله نحتوه. قيل له و كيف كانوا يصنعون بهذه الحجارة العظيمة التى لا يقدر ١٠٠ رجل منا أن يزحزحوا منها حجرا واحدا؛ قال كانت لهم فراقل قد دبروها بأخلاق من المعادن و أنواع من الحكم، فكانوا يضربون بها الحجر الكبير فينقسم لهم على القدر الذى يريدون و يتأتى لهم النحت، و مع هذا فإنه كان لهم صبر و جلد على أعمالهم ليس لمن بعدهم. قال الوصيفى، قال رجل قبضى، و قد أجرينا من هذا الذى ذكرنا، إنهم أصابوا فى بعض الكنائس فى طاق سفطا فى سله ففتحوها فوجدوا فيها فرقله فعجبوا منها و لم يدركوا لها معنى، فطرحوها فى النار فكانت تثب من النار حتى تبلغ سقف الكنيسة فكسروها، ثم ندموا على فسادها.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٠٤

قال: الناظر هذه مدينة الإسكندرية يطمع فيها عدو صقليه أبدا، و يجشم مراكبه بأهوال تصيبه عليها؛ فمنها ما أدركته عشية العاشر من محرم سنة ٥٧٠ [١١ أغسطس ١١٧٤]. و ذلك أنه احتفل فى مراكب كثيرة و نزل فى ساحلها و حصن ما قدر و عزم على محاصرة البلد، فما كان إلا أن عزم على المقارعة حتى صاح فى الأعداء صائح و صرخ بينهم صارخ فولوا مدبرين، و قتل بعضهم و الحمد لله رب العالمين.

و فتح الله تعالى ببركة هذا الأمر العزيز على المسلمين بديار مصر، عندما سمح بخاطر أمير البلاد بها، و هو يوسف بن أيوب الكردي، المخطط بصلاح الدين، أن يخاطب الخليفة الإمام أبا يوسف يعقوب بن الإمامين الخليفين رضه أجمعين؛ فهزم روم الشام و استأصل شأفتهم، و فتح بيت المقدس شرفها الله، و جميع تلك البلاد التى كانت بأيدي أعداء الله. و نص الرسالة الواردة بصورة فتح، كلام

مختصر من كتاب وصل من الإسكندرية، تاريخه فى العشر الوسط من شعبان المكرم سنة ٨٣ [٥] [- أكتوبر ١١٨٧]، يصف ما سناه الله تعالى و يسره بقدرته من الفتوحات فى الروم دمرهم الله تعالى . و ذلك أن رسل ملكهم و صلوا إلى دمشق فى الصلح، فأراد يوسف بن أيوب أن يصالحهم و يعقد لهم الصلح على أن يدفع لهم ١٠٠ ألف أردب من القمح مع المضاف إليه، و كان بن أخيه، المخطط عندهم بتقى الدين، قد تصاهر مع أمير التركمان و جاء بخلق كثير من الأتراك، فلما عاين عمه يريد الصلح عز عليه ذلك و غضب. فسأله عمه عن شأنه فقال له: يأتى الناس متطوعين مسارعين للجهاد و تصالح أنت الأعداء الروم، ما ذا يقوله أهل العراق و أهل الأمصار عنا. فقال يوسف لابن أخيه: تعرف ما صنع أصحابنا الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٠٥

يوم الرملة؛ و قد كان خرج معهم إلى لقاء الأعداء الروم فهربوا و تركوه، و كاد أن يقتل أو يؤسر، و أخذ له جميع ما كان معه من عدد و أمتعة، و ذلك سنة ٥٧٢.

فلما سمع الأجناد قالوا: صدق و نحن تائبون و نحلف له . فدخل تقى الدين مع الأمراء و أشياخ الأجناد على يوسف، و حلفوا له كلهم فى المصاحف أنه لا يشرب أحد منهم كأس خمره أبدا و لا يرتكب معصية. فلما حلفوا كلهم فرح يوسف بذلك و أرسل إلى الرسل، فاجتمع الرسل مع تقى الدين و مع على بن يوسف بن أيوب و جماعة أشياخ الأجناد فاشترطوا شروطا كثيرة فى مصالحتهم: منها ألا يؤخذ من أحد مكس؛ و أن ترد بعض البلاد. فغضب الرسل و وقع بينهم كلام كثير و قالوا بيننا و بينكم السيف، فاستخف الرسل بكلامهم و فارقوهم، فقامت قلوب المسلمين و ليقضى الله أمرا كان مفعولا.

و خرجوا بنيات صادقة و عزائم ناجحة، فأخذوا طبرية من فورهم، و بقيت قصبته لأنها مانعة جدا . و وصل الروم دمرهم الله فى جمع حفيل طامعين فى المسلمين، فمنعهم المسلمون الماء، فغزموا على المقاتلة؛ و صفت الصفوف غرة جمادى الأولى، و قيل إن المقابلة كانت فى يوم الجمعة ال ٢٠ من ربيع الآخر [٢٩ يونيه]، فكان يوما عظيما، دفع عليهم الروم دمرهم الله ١١ دفعه و المسلمون بحمد الله ثابتون، فدفع عليهم المسلمون دفعه واحدة فلم يقف منهم أحد، فهم بين أسير و قتل؛ و أحصى عدد من قتل و أسر ٢٢ ألفا. و أخذ ملوك الروم أسارى و أعيانهم و صاحب الكرك و الشوبك، و قد كان هذا اللعين صالح يوسف ابن أيوب و غدره، فلما مثل بين يديه فى جملة الأسارى، لم يتمالك أن قام يوسف بن أيوب فقتله بخنجر كان بيده . ثم قاتل يوسف قصبه طبرية فرغبوا فى المصالحة، فحصن البلد و قصبته و بعث الأسارى إلى دمشق؛ و أسرع السير إلى عكة فدخلها صلحا و أخرجهم منها دون سلاح و لا عدة .

و قد كان سيف الدين، أخو يوسف المذكور، حصر يافا و دخلها صلحا،

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٠٦

فوجد أهلها قد قتلوا أسارى المسلمين؛ فقتلهم أجمعين، و نزل على عسقلان، و اتصل به أخوه يوسف بعد أن ترك على صور عسكريا يحصرها، و دخل عسقلان آخر جمادى الثانى [- ٥ سبتمبر].

و عدد البلاد التى فتح الله تعالى و أسماؤها هى هذه:

الداروم و غزة و عسقلان و أرسوف و يافا و حيفا و قيصارية و عكة و إسكندرية و صيداء و بيروت و جبله - أسلم صاحبها و جماعة معه. و فتحت تبين و جبل الطور و الفولة و ناصرة - مدينة المسيح عم - و طبرية و فلسطين و نابلس و بينا و صفورية و الرملة. و نهض يوسف بن أيوب خارج عسقلان إلى بيت المقدس، و قال للأجناد: بيت المقدس لكم طعمه، فدخله منتصف رجب سنة ٨٣ [٥] [٢٠ سبتمبر ١١٨٧] بعد ٩٥ سنة بأيد الروم أو نحوها، و قد كانوا تملكوه فى شعبان سنة ٤٨٨ هكذا [- أغسطس ١٠٩٥].

و نص النسخات التى وصل بها الطائر إلى الإسكندرية من مصر بصورة فتحه هو هذا المسطر.

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد و آله سرح هذا الطير الطائر و رفيقه فى أول ساعة من نهار الأربعاء، عند ورود

البشرى بالمكاتبة المعظمة السلطانية، بتاريخ يوم الجمعة ٢٨ من رجب سنة ٥٨٣ [٣ أكتوبر ١١٨٧] بما من الله تعالى به من فتح بيت المقدس، و رفع الأعلام الناصرية فى أشرف موضع فيه. و تقرر على كل من فيه لشراء أنفسهم الرجل ب ١٠ دنانير و المرأة ب ٥ دنانير و الطفل بدينارين، و تلك نعمة لا تحصر و لا تحصى. و عدد من خلص فيه من أسارى المسلمين ٤٠٠٠ أسير، و كان له فى النفوس من الفرح و الجذل ما لا خفاء فيه.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٠٧

و كل ذلك ببركة استجابته هذا الرجل لطاعة الإمام- مهد الله عمره- و قد بعث إرساله بما وجد فيه و فى تلك البلاد من الذخائر. و هم الآن فى مدينة فاس- حرسها الله- مستمعين للأوامر المطاعة؛ و نحن الآن فى شهر رمضان الفرد من سنة ٥٨٧ [سبتمبر- أكتوبر ١١٩١]؛ و كان اجتماع هذا الرسول و هو عبد الرحمن بن محمد بن منقذ الأزدي سادس مجرم سنة ٨٨ [٥] [٢٣ يناير ١١٩٢] بالخليفة الإمام أبى يوسف رضى؛ و خرج من الحضرة بعد ذلك بخمسة أيام و لم يعلم به .

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٠٩

ذكر المشهور من المدن و العماثر من بلاد مصر إلى آخر بلاد المغرب حسب المعرفة إن شاء الله تعالى

نجعل ذلك على قسمين: فالبلاد الساحلية أو ما يقرب من الساحل بمرحلة و نحوها بجهة؛ و البلاد التى تبعد من الساحل بمرحلة أو نحوها بجهة، و نضيف إليها ما كان فى الصحراء منها.

فمن مدينة الإسكندرية على الساحل عمائر كثيرة للعرب و لقبائل من البربر سكنوا فى تلك الأحياء إلى مدينة سرت. و مدينة سرت مدينة كبيرة قديمة على ساحل البحر، و أهلها أحسن الناس خلقا و أسوأهم معاملة، لا يبيعون و لا يتاعون إلا بسعر قد اتفقوا عليه. و ربما نزل المركب بساحلهم موسوقا بالزيت، و هم أحوج الناس إليه، فيعمدون إلى الزقاق الفارغة فينفخونها و يصففونها فى حوانيتهم، ليرى أهل المركب أن الزيت عندهم كثير بائر. فلو أقام أهل المركب ما شاء الله أن يقيموا، ما باعوا منهم إلا على حكمهم. و هم يعرفون بعبيد قرلة و يغضبون لذلك .

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١١٠

ذكر بلاد إفريقية و ما فيها من العجائب و ذكر البلاد الساحلية منها و الصحراوية و ذكر ما فيها من الآثار مدينة أطرابلس

فأول مدن إفريقية على الساحل مدينة أطرابلس. و هى مدينة كبيرة أزيه على ساحل البحر، و البحر يضرب فى سورها، و سورها من حجر جليل من صنعة الأولين. و قيل إن تفسير أطرابلس ٣ مدن، و قيل مدينة آياس .

و بها سوق حافلة و حمامات كثيرة و بساتين فى شرقها، و هى كثيرة الفواكه جمه الخيرات، و أكثر أهلها تجار يسافرون برا و بحرا، و لهم سمح فى تجارتهم، و هم أحسن الناس معاملة ضد أهل سرت. و داخل سورها بئر يعرف ببئر أبى الكنود، يقال إنه من شرب منه يحرق فهم يعيرون به؛ يقال للرجل منهم إذا أتى بما يلام عليه : لا عتب عليك لأنك شربت من بئر أبى الكنود.

و من أطرابلس إلى نفوسة ٣ أيام، و طرف هذا الجبل الخارج فى البحر هو طرف أو ثان، ما بين أطرابلس و الإسكندرية، و هو الطرف الذى إذا عدته المراكب استبشرت بالسلامة. و هذه المدينة تعد من بلاد إفريقية، و سذك ما ورد فيها من الآثار و الله المستعان .

قال الناظر كان فى مدينة أطرابلس المذكورة رجل غزى اسمه قراقوش استند إلى ذروة هذا الأمر العزيز- أيد الله دوامه-

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١١١

بعد شروود و فرار كان منه، و أسلم لأولياته و آلائه، و ساعد غاويا شقيا لفظه البحر من جزيرة ميورقة- فتحها الله- و لم تزل سعاداته مخلصه من تلك الورطات، إلى أن هلك الشقى الميورقى، و أناب قراقوش إلى حزب التوحيد، فغلب على طرابلس و أخرج منها

المستولى عليها أبا زبا الفارسى ، و هو ثائر الزاب المذكور فى الأراجيز . قال الضبى :

و ثائر الزاب إن حلت عساكره بأرض سوسة ضاقت بالورى الحيل

فأدرك أهل علم الحدثان اسما مركبا من الزاى و الباء، فقالوا ثائر الزاب، لعلمهم بموضع ثورته و جهلهم باسمه، حتى أبرز الأمر العزيز أبا زبا فى الزاب. فلما توجه الخليفة أبو يوسف رضه لفتح بلاد إفريقية سنة ٨٣ [٥] [١١٨٧-١١٨٨]، خاطبه أبو زبا ضارعا راغبا فى الصلح و القبول، ثم نكث و استبد بطرابلس حتى أناب قراقوش و صح توحيد، فأخرجه منها و بعثه مقيدا، فحل بحضرة مراکش سنة ٥٨٦ [١١٩٠]؛ و نحن الآن فى شهر رجب الفرد سنة ٥٨٧ [١١٩١-] يولييه- أغسطس ١١٩١، و كلمة التوحيد و الهداية فى بلاد الصحراء متصله من طرابلس إلى مدينة غانة و كوكو.

قيل و إنما سميت إفريقية لأن قوما من الأفارق سكنوها، و هم أولاد فاروق بن مضر من العرب العاربة؛ و زعموا أن إفريقية اسم ملكة ملكت إفريقية؛ و قيل إنها إبريقية. و حد إفريقية طولا من برقة شرقا إلى مدينة طنجة غربا، و عرضها من البحر إلى الرمال التى هى حاجز بين بلاد

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١١٢

إفريقية و بلاد السودان، و هى جبال من الرمال من المشرق إلى المغرب؛ و فيها يصاد الفنك الذى لا يوجد لجلده مثال. و جاء فى حديث رسول الله صلعم: «ينقطع الجهاد من جميع الجهات و لا يبقى إلا ببلاد إفريقية، فبينما القوم يازاء عدوهم نظروا إلى الجبال قد سيرت فيخرون لله سجدا فلا ينزع أطمارهم عنهم إلا أزواجهم من الحور العين». و روى عنه صلعم أنه بعث سرية فى سبيل الله، فلما قفلوا منها، شكوا شدة برد أصابهم، فقال رسول الله صلعم:

«لكن إفريقية أكثر بردا و أعظم أجرا». و بإفريقية فى هذا الوقت من أبناء الإمام الخليفة و حفدته السادات النجباء- أدام الله نصرهم- ما تمهدت به أكنافها و عمرت لهم أوساطها و أطرافها؛ و لكن الشقى يحيى بن اسحاق، صنو الشقى على متوغل فى صحاريها، و قراقوش متصيد له متوثب عليه؛ و الله سبحانه و لى التوفيق بمنه و كرمه.

مدينة قابس : و تعد أيضا من بلاد الجريد، بينها و بين طرابلس ٨ أيام، و هى مدينة كبيرة قديمة أزلية و عليها سور صخر جليل من بناء الأول، و لها حصن حصين و أرباض واسعة؛ و فيها فنادق و حمامات؛ و قد أحاط بجميعها خندق كبير يجرون إليه الماء إذا خافوا من نزول عدو إليهم فيكون أمتع شىء.

و لها واد يسقى بساتينها و أرباضها و مزارعها؛ و أصل هذا الوادى من عين حرارة

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١١٣

فى جبل بين القبلة و المغرب، و هو يصب فى البحر. و بين مدينة قابس و بين البحر نحو ٣ أميال و جناتها أكثر إلى البحر، و هى كثيرة الثمار و الموز بها كثير و ليس بإفريقية موز إلا فيها؛ و فيها شجر التوت كثير و يربى بها الحرير، و حريرها أطيب الحرير و أرقه و ليس يعمل بإفريقية حرير إلا بها. و هى مدينة فخيرة بحرية صحراوية، و الحصراء منها قريبة، فيقال إنه ما اجتمع فى مائدة رجل ٣ أشياء متضادة المواضع إلا- فى مائدة من يسكن قابس: يجتمع فيها الحوت الطرى و لحم الغزال الطرى و الرطب الجنى. فهى حاضرة هذا الإقليم و قطبه و روحه و قلبه، و مركز دائرته التى عليها يدور محيطه و بالاستناد إليه يتمهد رحبه، و الله يعصمنا بعزته.

ذكر مدينة القيروان و كيفية وضعها سنة ٤٧ من الهجرة

ولى معاوية بن أبى سفيان عقبه بن نافع القرشى على إفريقية فافتتحها فى ١٠ آلاف من المسلمين، و وضع السيف و أفنى من بها من النصرارى. ثم قال، إنى أرى إفريقية إذا دخلها إمام تحرموا بالإسلام، فإذا خرج عنها رجع كل من أجاب منهم عن دين الله، فهل لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا مدينة تكون لكم عز الأبد. فأجابه الناس و اتفقوا على أن يكون أهلها مرابطين فيها؛ و قالوا تقربها من

البحر ليتم الجهاد و الرباط. فقال لهم عقبه: نخاف من ملك القسطنطينية؛ فاتفق رأيهم على موضعها، فقال: قربوها من السبخة

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١١٤

فإن أكثر دوابكم الإبل، تكون إبلكم على بابها فى مراعيها آمنة من البربر.

فدعا ما كان فى الغيضة من الوحوش و الهوام، و قال اخرجوا بإذن الله فخرج كل ما كان فيها حتى لم يبق من الحيوانات شئ؛ و هم ينظرون إليها.

و قال ابن الرقيق فى تاريخه: بقيت القيروان ٤٠ سنة لم ير فيها خشاش و لا هوام.

و تنازعوا فى قبله الجامع فبات عقبه مهموما، فرأى فى المنام قائلاً يقول له: خذ اللواء بيدك فحيث ما سمعت التكبير فامش، فإذا انقطع التكبير فأركز اللواء فإنه موضع قبلتكم؛ ففعل عقبه ذلك فهو موضع القبلة، و هو محراب جامع القيروان إلى اليوم؛ و قد هدم حسان بن النعمان جامع القيروان و بناه حاشى المحراب فإنه تركه. و يقال إنه هدم و بنى ٣ مرات، كل وال يلى القيروان يريد أن يكون الجامع من بنيانه؛ و كانوا يتركون منه المحراب تبركا ببناء عقبه رحمه الله. و يقال إنه لما أراد معد بن إسماعيل بن عبيد الله الشيعى تحريف قبله مسجد القيروان و ذلك سنة ٣٤٥ [- ٩٥٦] بلغه أهل القيروان يقولون إن الله عز و جل يمنعه منه بدعاء عقبه بن نافع الفاضل فى وقت تأسيسه الجامع.

فلما وصل ذلك إلى معد غضب، و أمر بنيش قبر عقبه بن نافع و إحراق رتمته بالنار، و كان قبره بظاهر مدينة تهودا، حيث استشهد رحمه الله. و بعث معد لذلك ٥٠٠ ما بين فارس و راجل؛ قيل فلما دنوا من قبره و حاولوا ما أمرهم به، هبت عليهم ريح عاصفة و لاحت بروق خاطفة و قعقت رعود قاصفة كادت تهلكهم، فأضربوا و لم يعرضوا له؛ فخافوا عقوبة معد فثأروا فى صحارى إفريقيا حتى سمعوا أنه هلك، فحينئذ أتوا إلى أوطانهم معتبرين مستبصرين . و بإزاء جامع القيروان الساريتان الحمراء الموشاة بالصفرة، اللتان لم ير الرءون أحسن منها و لا- مثلها؛ كانت فى كنيسة من كنائس الروم، فنقلها إلى جامع القيروان حسان بن النعمان؛ و هما مقابلتان المحراب، عليهما القبة المتصلة بالمحراب.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١١٥

و بخارج مدينة القيروان ١٥ ما جلا للماء، هى سقايات لأهل القيروان، منها ما بنى فى أيام هشام بن عبد الملك بن مروان و فى أيام غيره من الخلفاء؛ و أعظمها شأنا و أفخمها منصبا، الماغل الذى بناه أحمد بن الأغلب بباب تونس من القيروان، و هو متناهى الكبر و فى وسطه صومعة مثمنة، و فى أعلاها قبة مفتحة على أبواب، فإذا وقف الرامى على ضفته، ورمى بأشد ما يكون من القسى لا يدرك الصومعة التى فى وسطه. و كان على ذلك الماغل قصر عظيم فيه من البناء العجيب و الغرف المشرفة على ذلك الماغل كل شئ غريب؛ و يمر فى هذا الماغل ما جل لطيف متصل به، يقع فيه ماء الوادى إذا جرى، فتتكسر فيه حدة جريانه، ثم يدخل الماغل الكبير. و هذا الوادى الذى يدخل الماغل إنما واد شتوى يجرى فى أيام الشتاء، فإذا امتلأ هذا الماغل و غيره من المواجل، شرب منه أهل القيروان و مواشيهم. و يرفع ماء هذا الماغل إلى أيام الصيف، فىكون ماؤه باردا عذبا صافيا لكثرة الماء فيه. و كان عبيد الله الشيعى يقول، رأيت بإفريقية شيئين ما رأيت مثلهما بالمشرق: الحفير الذى بباب تونس من القيروان، يعنى هذا الماغل الكبير، و القصر الذى برقادة المعروف بقصر البحر، و الله سبحانه و تعالى أعلم، و هو الموفق للصواب بمنه .

مدينة صبرة: و هى متصلة بمدينة القيروان، و هى مدينة كبيرة بناها إسماعيل و سماها المنصورة، و كانت لها جبايا كثيرة، يقال إنه كان يدخل أحد أبوابها كل يوم ٢٦ ألف درهم؛ و الله أعلم بالصواب.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١١٦

مدينة رقادة: و هى من القيروان على ٤ أميال؛ و هى مدينة كبيرة دورها ٢٤٠٤٠ ذراع. و كانت أكثر بلاد إفريقيا بساتين و فواكه، و ليس بإفريقية أعدل هواء من رقادة و لا أرق نسима، و لا أطيب تربة. يقال إن من دخلها لم يزل يضحك مستبشرا مسرورا من غير

سبب. و ذكر أن واحدا من ملوك بنى الأغلب كان قد أصابه أرق شديد، و شرد عنه النوم أياما، فعالجه اسحاق المتطبب، و هو الذى ينسب إليه الأطرفيل، فأمر الملك بالخروج و التنزه و المشى. قيل فلما وصل إلى موضع رقادة نام، فسميت رقادة من يومئذ، و اتخذت موضع فرجة و منتزها للملوك. و يقال إن الملك الذى بنى مدينة رقادة هو إبراهيم بن أحمد بن [محمد بن] الأغلب [٢٦١-٢٨٩-٨٧٤-٩٠٢]، فجعلها دار مملكته و مسكنه. قيل و منع بيع النبيذ بمدينة القيروان و أباحه بمدينة رقادة بسبب جنده و عبيده، فقال فى ذلك بعض الشعراء:

يا سيد الناس و ابن سيدهم و من إليه القلوب منقادة

ما حرّم الشرب فى مدينتناو هو حلال بأرض رقادة

و فيها بويع عبيد الله الشيعى، ذكره ابن الجزار فى تاريخه، و الله أعلم.

مدينة سفاقس: هى مدينة أزية عليها غابة كبيرة من الزيتون.

و زيتها أطيب من كل زيت إلا الشرقى، و من الناس من يفضله عليه، و منها

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١١٧

يمتاز أهل إفريقية الزيت، و تحمله المراكب إلى بلاد الروم، و عليه معول أهل صقلية، و إبطالية، و أنكوردية، و قلورية، و جميع سواحل الأرض الكبيرة، لكثرتة و طيبه. و قد كانوا ملكوا هذه الجهات الساحلية إلى أن أخرجهم منها أمير المؤمنين سنة ٥٥٥ هـ [١١٦٠].

مدينة المهديّة: و هى مدينة عظيمة بناها عبيد الله الشيعى إذ قام عليه [أبو] عبد الله الداعى و هو الذى أقامه و نصره، و دخل عليه سجلماسة و أخرجه من سجن ابن مدرار ثم استحال عليه، و أراد خلعه. و أعانه على ذلك أشياخ كتامة، و كان يقول للناس إنه هو يهودى وضعته مكان العلوى الفاطمى حتى يأتى، و أبحث عنه حتى أجده فإنه صاحب هذا الأمر، و قد آن وقته و خبرهما مشهور. و بين مدينة المهديّة و القيروان ٦٠ ميل و البحر قد أحاط بمدينة المهديّة من جميع جهاتها إلا من الجانب الغربى، و فيه بابها. و لها ربض كبير يسمى زويلة، و فيه الأسواق؛ و للمهديّة أسواق مبنية بالصخر الجليل.

و لها بابان من حديد لا خشب فيهما زنة كل واحد منهما ١٠٠٠ قنطار و طوله ٣٠ شبرا؛ و فيها صور الحيوان و هى من أعجب ما عمل فى الإسلام. و فى المهديّة ٣٦٠ ماجلا لماء المطر سوى ما جرى إليها من القناة التى جلبها إليها عبيد الله من قرية مشانس، و هى على مقربة

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١١٨

من المهديّة. و للمهديّة مرسى للمراكب من عجائب العالم، فإنه منقور فى حجر صلد، يسع ٣٠ مركبا، و كان على المرسى برجين بينهما سلسلة حديد من أغرب ما عمل. و إذا أرادوا أن تدخل سفينة أو مركب، أرسل حراس البحر السلسلة حتى تدخل السفينة ثم مدوها كما كانت، و ذلك تحصينا لئلا تتطرقها مراكب الروم من صقلية و غيرها، كما كان فى أيام الحسن الذى دخلها الروم عليه؛ و ذلك مشهور فى جميع الأقطار.

و من المهديّة إلى قصر لخم، و هو المعروف بقصر الكاهنة، ١٨ ميلا.

و ذكر أن الكاهنة حصرها عدوها فى هذا القصر، فحفرت سربا فى صخرة صماء من هذا القصر إلى مدينة ملقطة يمشى فيه العدد الكثير، و بينهما ١٨ ميلا. و يقال إن أخت الكاهنة كانت فى ملقطة، فكان الطعام يجلب إليها فى ذلك السرب على ظهور الدواب. و قصر لخم عجيب البنيان، قد بنى و أحكم بحجارة طول الحجر منها ٢٥ شبرا؛ و ارتفاع القصر فى الهواء ٢٤ قامة. و هو من داخله كله مدرج إلى أعلاه؛ و أبوابه طاقات بعضها فوق بعض.

مدينة تماجر: هى بغرب المهديّة، كبيرة أزية فيها آثار للأول؛ و بينها و بين المهديّة الوادى.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١١٩

مدينة جلولا : مدينة قديمة أزلية لها حصن، و عين سرّة فى وسطها، و هى كثيرة البساتين و الأشجار، غزيرة الفواكه و الثمار و الأزهار، و الرياحين بها كثيرة جدا و أكثر رياحينها الياسمين؛ و بطيب عسلها يضرب المثل لكثرة ياسمينها و حرش نحلها له، و أكثر فواكه القيروان تجلب إليها من جلولا.

مدينة سوسة : مدينة أزلية قديمة فيها آثار للأول، و هى على ساحل البحر، و فيها بنيان عظيم يسمى الملعب، و هو من أغرب البنيان فيه أقباء معقودة بحجر التّشف الذى يطفو فوق الماء، المجلوب من بركان صقلية. و داخل سور المدينة هيكل عظيم يسميه البحرىون الفنتاس، و هو أول ما يرون من البحر إذا قصدوا من صقلية و غيرها؛ و سوسة فى سند عال ترى دورها من بحر صقلية. و هى مخصوصة بكثير الأمتعة و جودة الثياب الرقاق، و قصارتها.

و جميع أشغال الثياب الرفيعة من طرزها، و كمدها لا يصنع ببلد مثل صنعته بهذه المدينة. و الثياب السوسية معلومة لا يوجد لها نظير، لها بياض رائق و بصيص لا يوجد فى غيرها. و منها تجلب الثياب الرفيعة مثل عمائم المعمور و غيرها، تساوى منها العمامة ١٠٠ دينار و أزيد؛ يحمله التجار إلى جميع البلاد شرقا و غربا؛ و يباع الغزل بها زنة المثقال بمثقالين.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٢٠

و لحم سوسة من أطيب لحوم بلاد إفريقية لطيب مراعيها. و بالقرب منها محرس المنستير الذى جاء فى الأثر، و هو حصن عالى البناء متقن العمل، و فيه جماعة من الصالحين الذين حبسوا أنفسهم فيه منفردين عن الأهل و العشائر؛ و أهل تلك البلاد يخرجون إليهم الصدقات .

و بقربه نحو ٥ محارس متقنة البناء معمورة بالصالحين.

مدينة تونس : مدينة عظيمة بينها و بين القيروان مسيرة ٣ أيام؛ و بينها و بين البحر نحو ٤ أيام؛ و بينها و بين قرطاجنة نحو ١٠ أميال و مرساهما واحد يسمى رادس. و يقال إن ببحر رادس خرق الخضر عم السفينة؛ و كان الملك المذكور فى القرآن، الذى كان يأخذ كل سفينة غصبا، ملك قرطاجنة و كان يسمى أوجلندا. و بين المرسى و تونس بحيرة يقول أهل تونس إنها كانت [من] نحو ١٠٠ سنة أرضا لهم، كثيرة الجنات و المياه و الزرع طيبة الفواكه، فغلب عليها ماء البحر؛ و هم يعرفون موضع ضياعهم فيها إلى الآن. و مدينة تونس مدينة قديمة البناء لها سور عظيم و يدور بها حفير، يقال إن دورها ٢٤ ألف ذراع و بها جامع متقن البناء مليح الصنعة مطل على البحر، بناه عبيد الله بن الحبحاب هو و دار الصناعة، و أنفذ إليه البحر، و هو من عجائب الدنيا. و مدينة تونس فى سفح جبل، و بها مبان عجيبة، و أكثر عضادات أبواب دورهم رخام أبيض: لوحان قائمان و ثالث معترض مكان العتبة.

و من الأمثال بإفريقية: دور تونس أبوابها رخام و داخلها سخام. و هى دار علم

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٢١

و فقه، و أهلها موصوفون بالقيام على الولاية؛ يعد لأهلها القيام على أمرائهم نحو ال ٢٠ مرة، لأنها أكثر البلاد باعة و غوغاء؛ و إن سلامتها من شقى ميورقة لمن براهين هذا الأمر العالى، و ما ذلك إلا لسعادة سيدنا و مولانا أمير المؤمنين أيداه الله.

و بالقرب من تونس بنحو ال ١٠ أميال نهر كبير يسمى بجرده، و هو على الطريق إلى المغرب؛ و يقال إن من شرب من مائه قسى قلبه فأكثر الناس يجتنبون شربه. و مدينة تونس أشرف مدن إفريقية و أطيبها ثمرة و أنفسها فاكهة، فمن ذلك اللوز الفريك، يفرك بعضه بعضا دون أن تمسه يد لرقه بشرته، و كذلك الرمان و الأترج و السفرجل و التين و جميع الفواكه؛ لا يوجد لها نظير.

و فيها من أجناس الحوت البحرى ما لا يحصى كثرة. و كان اسمها فى القديم ترشيش، و إنما سميت تونس فى أيام الإسلام. و ذلك أن المسلمين إذ فتحوا إفريقية على الروم كانوا يضربون على بلادها، و كان يقرب ترشيش هذه صومعة راهب، فكانت سرايا المسلمين تنزل بإزاء تلك الصومعة، و تأنس بصوت الراهب، فيقولون هذه الصومعة تؤنس فلزمها هذا الاسم، فسميت تونس.

مدينة قرطاجنة : بينها توبين و نس ١٠ أميال و مرسهما واحد.

و هى من المدن المشهورة، فيها من الآثار و عجائب البنيان ما ليس فى بلد شرقا و لا غربا، و قيل لو دخلها إنسان و مشى فيها عمره يتأمل آثارها لرأى فيها كل يوم أعجوبة لم يرها قبل ذلك. و يقال إن ملكها كان ملكا عظيما جبارا، و كان ملك أكثر الأرض و كان يسمى أنبيل، فدخل بلاد الروم، و قتل ملوكها، و أخذ بلادهم، و بعث لقرطاجنة من خواتم الملوك الذين قتل ٣ أمداد. و يقال إنه نازل مدينة رومة الكبرى التى هى دار مملكة الروم،

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٢٢

فلما حاصرها و ضيق على ملكها، و أفسد أقطارها، أرسل ملك رومة قائدا من قواده، فحشر من كان ببلاده من الروم و الجيوش، و أمرهم بالوصول إلى بلاد إفريقية؛ و نزلوا على قرطاجنة و لم يكن فيها من يعاونهم، فأرسلوا إلى ملكهم أنبيل يعلمونه بما حل ببلادهم من البلاء من أهل رومة، و يسألونه الإسراع لأغاثتهم. قال فعجب من ذلك ملك قرطاجنة، و قال: أردت قطع رسم الرومانيين من الدنيا، و أظن إله السماء أراد غير ذلك. ثم رجع إلى بلاده مسرعا، فزحف إليه شبيون قائد صاحب رومة، فهزمه مرارا عديدة حتى قتله و استأصل عسكره، و دخل فى قرطاجنة فهدمها و أحرقتها؛ و خرب المسلمون بقيتها و ذلك مشهور. و ليس يسكن منها الآن إلا قصر واحد، يسمى بالمعلقة، و بناؤه من أغرب ما يكون من البناء، مفرط العظم و العلو، أقباء معقودة بعضها فوق بعض طبقات كثيرة؛ و هو مطل على البحر، و هو حصن عظيم.

و بقرطاجنة دار الملعب و يسميه أهل تلك البلاد بالطياير، هو كله أقباء معقودة على سوارى رخام، و عليها مثلها نحو أربع مرات، و قد أحاطت بالدار. و الدار دائرة من أغرب ما يكون من البناء، و لها أبواب كثيرة و قد صور على كل منها صورة نوع من الحيوان؛ و قد صور فى الحيطان صور جميع الصناعات بأيديهم آلاتهم. و فى هذه الدار من الرخام ما لو أجمع أهل إفريقية على نقله ما قدروا عليه لكثرتة. و كان فيها قصران يعرفان بالأختين، ليس فيهما حجر سوى الرخام، و رخام الواحد لا يشبه رخام الثانى؛ و يوجد فيها لوح رخام طوله ٣٠ شبرا و عرضه ١٥ شبرا؛ و يقال إنه وجد فى غريبها بيت من لوح واحد. و الناس ينقلون من رخام هذين القصرين، لحسنه على قديم الزمان، و ما فرغ إلى الآن. و بهذين القصرين ماء مجلوب من ناحية الجوف لا يعرف منبعه؛ و كانت عليه نواعير و سواقي تسقى

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٢٣

بسائتهم. و كان بها قصر عظيم مطل على البحر يسمى قومس، و هو من أعجب ما فيها، لأنه مبنى على سوارى رخام مفرطة الكبر و العظم - يجلس على رأس السارية ١٢ رجلا بينهم سفرة طعام أو شراب - و هى مشطبة، كالثلج بياضا، يكون دور السارية منها نحو ال ٣٠ شبرا فى علو مفرط، و عليها سوارى أخر معترضة. و قد بنى القصر على أقباء معقودة بعضها فوق بعض بأغرب صناعة و أحكم بناء، فكان هذا القصر حصنا و إنما هدم من عهد قريب؛ و ذلك أنه تحصن فيه قوم من القطاع، فكانوا يقطعون بتلك الجهات، و يلجأون إليه، فخرج إليهم أهل تونس و قتلوهم و هدموا القصر.

و بقربه موضع فيه أقباء و دهاليز تحت الأرض يهاب الدخول فيها؛ و فيها جثث الموتى على حالها، فإذا مست تلاشت لقدمها. و داخل ميناء المدينة تدخله المراكب بقلوعها. و فيها مواجل كثيرة للماء، و بعضها تسمى مواجل الشياطين، بسبب [أن] من يقرب منها يسمع فيها دوياء. و الناس يتقايسون فى الدخول فيها، فمن جسر على الدخول فيها، علم أنه جرى قوى القلب. و قد دخلتها بالنهار مع أصحاب لى، فرأيت منظرا هائلا، من تكلم فيها بأدنى كلمة يسمع لها دوى عظيم؛ و أغرب ما رأيت فيها الماء باق إلى الآن. و ليس يدخلها ماء المطر و ذلك لاحكام سطوحها؛ و هى ١٨ صهريجا منقودة بعضها إلى بعض، فى ارتفاعها نحو ال ٢٠٠ ذراع، فى عرض كبير. و فيها من الماء نحو ال ٦ قيام، و لا يعلم من أين يدخل ذلك الماء. و كذلك ذكر أبو عبيد [الله] البكرى، فى كتاب المسالك و الممالك، أن أغرب ما فى قرطاجنة الماء الذى فى المواجل المعروف بمواجل الشيطان، الذى لا يعلم له عهد.

و من عجائب الدنيا ببيان القناة التي كان يأتي فيها الماء المجلوب من عين جفان إلى مدينة قرطاجنة على مسيرة ٥ أيام؛ و هي قناة عظيمة كان يأتي عليها ماء كثير ب ٥ أرحاء أو أكثر. و عرض القناة نحو ٨ أشبار، و ارتفاع مائها

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٢٤

نحو القامة و نصف، تغيب مرة تحت الأرض فى المواضع المرتفعة، فإذا جازت على المواقع المنخفضة، تكون على قناطر فوقها قناطر حتى تساوى السحاب علوا، و هي من أغرب بانيان الأرض. و فى وسط المدينة صهريج كبير حوله، فى وقتنا هذا، نحو ١٧٠٠ حنية سوى ما تهدم منها؛ و كان يقع فيه الماء المجلوب فى هذه القناة؛ و يخرج من هذا الصهريج إلى بعض تلك المواجل. و رأيت فى بعض أرجل تلك القناطر كتابه فى حجر، قيل إنها ترجمت فوجدت: «هذا من عمل أهل سمرقند»؛ فانظر إلى سعة مملكة هذا الملك الذى جلب هذا الماء، و قيل إن ذلك الماء جلب فى ٤٠ سنة، و لو قيل فى ٤٠٠ سنة لكان أعجب.

قال أبو جعفر أحمد بن ابراهيم المتطبب، فى كتاب مغازى إفريقية، إن موسى ابن نصير لما فتح جزيرة الأندلس، قال لهم: «دلونى على أسن شيخ عندكم».

قال، فأتى بشيخ قد رفعت حاجباه عن عينيه بعصابة من الكبر، قال له موسى:

«من أين أنت يا شيخ»، قال: «من إفريقية من مدينة قرطاجنة». فقال له موسى:

«فما الذى سيرك هنا و كيف كان خبر قرطاجنة»، قال له الشيخ: «بناها قوم من بقية العاديين، فسكنوها ما شاء الله، ثم خربت ألف سنة، فبناها أرمن الملك ابن الأزدي بن عمرو الجبار، و جلب إليها الماء بالقناطر على الأودية، و شق لها الجبال حتى أوصلها إلى مدينة قرطاجنة، فسكنها قومي ما شاء الله أن يسكنوها، إلى أن حفر إنسان أساس تلك القناطر، فوجد حجر عليه كتابة هي:

«ان هذه المدينة ستخرب إذا ظهر فيها الملح». قال الشيخ فبينما نحن فى ندى قومنا جلوسا، إذا ملح على حجر قد عقد عليه؛ قال: «فتأملنا فإذا ذلك فى جميع المدينة، فعند ذلك رحلت إلى هنا». و روى الثقات عن عبد الرحمن بن زياد ابن أنعم قال: «كنت أمشى مع عمى بقرطاجنة نتأمل آثارها، و نعتبر

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٢٥

عجائبها، فإذا بقبر عليه مكتوب بالحميرية: أنا عبد الله رسول الله صالح، بعثنى الله إلى أهل تلك القرية أدعوهم إلى الله، فقتلوني ظلما، فحسبهم الله و هو نعم الوكيل. فهذا لا شك خراب قرطاجنة.

مدينة بنزت: هي مدينة على البحر، بينها و بين تونس نحو يومين، و فيها آثار للأول و سور صخر قديم، و لها نهر كبير يصب فى البحر، و فيه حوت كثير. و بالقرب منها بحيرة كبيرة تنسب إلى بنزت، يدخل إليها ماء البحر، و هي ملحّة و فيها من أنواع الحوت ما لا يحصى، يصطاد فيها فى كل شهر من الشهور الأعجمية نوع من الحوت لا يوجد ذلك النوع إلى ذلك الشهر بعينه فى العام القابل؛ و لها غلة عظيمة فإن منها يحمل الحوت إلى جميع بلاد إفريقية.

و أكثر حوت تونس إنما هو من بنزت؛ و أجناس هذا الحوت و أنواعه تنصبر، فتبقى أعواما صحيحة الجرم لذيذة الطعم. و أكثر ما يتمكن من صيد الحوت ما بين البحر و هذه البحيرة، و ذلك أن الحوت يتوالد فى البحر و يخرج منه صغيرا كالذر فيترى فى هذه البحيرة، ثم يرجع فى وقت سفاده و ولادته إلى البحر، فيصطاد فى البحر الذى بينهما؛ و منه ما يصطاد بالنقازة كما يصطاد الحمام. و هذه النقازة، هي أنثى الحوت المعروف بالبورى. فيأتى التاجر إلى الصياد، فيتفق معه على عدد معلوم، فيخرج النقازة و يرسلها و قد ربط خيطا فى خرص و وثيق فى شفتها؛ فتسير فى البحر و يتبعها بزورقه و شبكته، فتدور عليها الذكور فيطرح عليهم شبكته و يخرج ما قدر له؛ و يعيد أبدا حتى يستوفى أربه. و على مقربة من هذه البحيرة إلى جهة البر بحيرتان:

إحدهما حلوة و الأخرى ملحّة من غير أن يدخلها ماء البحر، تنصب كل واحدة منها بالأخرى ستة أشهر على التوالى لا يتغير لواحدة منها طعم، فلا الحلوة تصير ملحّة و لا الملحّة تصير حلوة.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٢٦

مدينة طبرقة: هى مدينة قديمة فيها آثار كثيرة للأول، وهى على نهر كبير. بقرب البحر، تدخل السفن حتى إلى باب المدينة. و بالقرب منها مرسى الحزر، وهى مدينة قديمة قد أحاط بها البحر من كل جهة إلا مسلك لطيف، وربما قطعه البحر فى زمن الشتاء، و عليها سور قديم، و بها كانت تنشأ المراكب لغزو بلاد الروم. و فيها يخرج المرجان، و منها يحمل إلى بلاد الدنيا.

و هناك قوم لهم مراكب و زوارق ليس لهم حرفة إلا إخراج المرجان من قعر البحر؛ و هو نبات مشجر له أغصان. و صورة إخراجها من البحر [أن] لهم خشبا قد صلب بعضها على بعض، و يلقون عليها جرات الكتان أو القنب، يثقلونها بمراسم، و يلقونها فى البحر و يمشون بالزوارق، فينجر ذلك الكتان على قعر البحر فينكسر المرجان و يتعلق بالكتان، فيتفقدونه و يأخذون ما تعلق منه. و يقال إن المرجان إذا كان فى قعر البحر إنما هو رطب لين فإذا مسه الهواء اشتد. و يخرج منه فى ذلك البحر كل سنة من القناطر؛ و هو أنفوس مرجان الدنيا، و هو أنفق شىء بالهند و الصين. و يكون فى بحر الرقاق بساحل قرية بليونش من قرى سبتة؛ و هو مثل هذا فى الطيب أو أجل، و يكون فى بحر الأندلس، و يكون فى بعض جزائر البحر الأخضر، و هذا أنفدها.

و بالقرب من مدينة طبرقة، بينها و بين مدينة باجة، بحيرة عظيمة فى دورها نحو أربعين ميلا تصب فى البحر، و يصب البحر فيها، و ماؤها لأمح و لالحلو و فيها أنواع كثيرة من الحوت. و بها بورى ليس له فى الدنيا نظير، يقال إنه يوجد فى الحوت الكبير منها ١٠ أرتال و أزيد؛ و أهل تلك النواحي يستخرجون دهنه و يستعملونه فى مصابيحهم .

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٢٧

مدينة بونة: مدينة قديمة من بناء الأول و فيها آثار كثيرة؛ و هى على ربوة مشرفة على فحوصها و قراها؛ و هى من أنزه البلاد و أكثرها لبنا و لحما و عسلا و حوتا. و البحر يضرب فى سورها، و فيها بئر على ضفة البحر منقورة فى حجر صلد، ماؤها أعذب ماء و أنفقه؛ و منها يشرب أكثر أهلها لعذوبة مائها. و بغرب هذه المدينة ماء سائح يسقى بسايتها و أرضها؛ و موضع جنايتها منتزه حسن مشرف على البحر. و يطل على مدينة بونة جبل زغوغ و هو كثير الثلج و البرد، و من العجائب أن فيه مسجدا قديما لا ينزل عليه شىء من ذلك الثلج؛ فإذا عم الثلج الجبل كله رأيت المسجد فى وسطه كأنه شامة. و بغربى مدينة بونة بركة فى دورها نحو ١٠ أميال، و فيها سمك كثير جليل. و فيها طائر يعرف بالكيكل و يسمى بالحواص، و هو يعيش على وجه الماء و يفرخ، فإن أحس بحيوان أو إنسان يروم أخذه، رفع عشه بفراخه برجليه حتى يصيره فى وسط البركة حيث يأمن. و هو طائر حسن و هو الذى يسمى بمصر بالخواص، و يتخذ بمصر من جلوده ثياب للينها و جمالها؛ و تباع بالأثمان الغالية. و مرسى مدينة بونة يسمى مرسى الأرقاق، و هو من المراسى المشهورة. و بونة فى جون من البحر يسمى جون الأرقاق، و هو صعب، و فيه عطب مركب القيطانى و مركب الفخرى و مراكب كثيرة.

مدينة القل: مدينة قديمة فيها آثار كثيرة للأول من الروم؛ و هى على ضفة البحر، و هى مرسى مدينة القسطنطينية. و هى كثيرة الفواكه و الخيرات و العنب فيها كثير، و فيها تفاح جليل؛ و لها نظر و جباية عظيمة و هى برية بحرية.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٢٨

مدينة جيغل: مدينة قديمة على البحر و كان لها سور قديم يضرب البحر فيه؛ و هى على نظر كبير. و هى كثيرة العنب و التفاح و الفواكه، و منها تحمل الفواكه و العنب و الرّب إلى مدينة بجاية. و على هذه المدينة جبل كتامة، و يسمى جبل زلدوى، و هو كثير الخصب فيه قبائل كثيرة من البربر؛ و فيه كانت دعوة [أبى] عبد الله الداعى. و بين جيغل و بجاية، على ساحل البحر؛ موضع يسمى بالمنصورية عليه جبل عظيم، مما يلى البر منه حافة مثل الحائط، فيها ثقب فى غلط حجر الربع الموزون به، ينبعث منه ماء فى كل وقت من الأوقات المعهودة بالصلوات الخمس، يسمع قبل انبعاثه دوى كدوى الرحي الفارغة، ينبعث الماء هكذا ليلا و نهارا فى أوقات الصلاة خاصة.

أخبر بذلك من شاهده و سهر الليل كله.

مدينة بجاية : هى مدينة عظيمة على ضفة البحر، و البحر يضرب فى سورها. و هى محدثة من بناء ملوك صنهاجة، أصحاب قلعة أبى طويل، و تعرف بقلعة حماد اليوم. و كان سبب بنائها، أن العرب لما دخلوا إفريقية و أفسدوا القيروان و أكثر مدن إفريقية، هرب منهم صاحب القيروان الصنهاجى، و تحصن بمدينة المهديّة. و كان ابن عمه صاحب القلعة، المنصور بن حماد، أشد الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٢٩

شوكه من صاحب القيروان و أكثر جيشا، فخرج لنصرة ابن عمه و جيش جيشا كبيرا. فلقيته العرب بجملتها بفحص سيبه، على مقربة من القيروان، فكان بينهم يوم عظيم حتى هزم المنصور و قتل أخوه و أكثر صنهاجة. و ذلك أن أخاه كان أسن منه فنهاه عن مقابلة العرب، و قال له: «أقم أنت ببلادك و ابعث إليهم و صانعمهم يأتوك خاضعين و فى جباك طامعين، فهذا من خلق العرب قديما فلا تلقاهم». فلما كان ذلك اليوم، و هزم، قال له أخوه. «ألم أنهك أن تلقاهم بنفسك، و لكن اعطنى تاجك و الراية أقم على الجيش، و انج بنفسك، فإن كانت السلامة فمن الله، و إلا بقيت أنت للناس، فليس منك الخلف».

و هذا من أغرب ما يصنع الأبخ مع أخيه و الولي مع وليه. فأعطاه عمامة و رايته و كانت مشهورة، فسار بالجيش حتى لحق و قتل. و كانت لملوك صنهاجة عمائم شرب مذهبه يغلون فى أثمانها، تساوى العمامة ال ٥٠٠ دينار و ال ٦٠٠ دينار و أزيد. و كانوا يعمونها بأقن صناعه فتأتى تيجانا و كان ببلادهم صناع لذلك، يأخذ الصانع على تعميم عمامة منها دينارين و أزيد. و كانت لهم قوالب من عود فى حوانيتهم، يسمونها الرؤوس، يعممون عليها تلك العمائم.

فلما نجا المنصور إلى القلعة، نزلت عليه جيوش العرب و ضيقوا [عليه] ببلادها، فكان يصانعمهم حتى ضاق ذرعا بهم، و كان لا يقدر على التصرف فى بلاده؛ فطلب موضعا يبنى فيه مدينة و لا يلحقه فيها العرب فدل على موضع بجاية و كان مرسى. و يقال إنه كانت فيه آثار قديمة و إنها كانت مدينة فيما سلف، فبناها المنصور، و سماها المنصورية، و انتقل ملكهم من القلعة إلى بجاية، و اتخذها دار مملكتهم؛ و بينها و بين قلعة حماد مسيرة أربعة أيام.

و هى مدينة عظيمة، ما بين جبال شامخة قد أحاطت بها، و البحر منها فى ٣ جهات: فى الشرق و الغرب و الجنوب. و لها طريق إلى جهة المغرب يسمى بالمضيق على ضفة النهر المسمى بالوادى الكبير، و طريق القبله إلى قلعة حماد على عقاب و أوعار، و كذلك طريقها إلى الشرق. و ليس لها طريق

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٣٠

سهلة إلا من جهة الغرب، فلم يكن للعرب إليها سبيل، و لا كان يدخل من العرب إلا من يبعث إليه الملك لمصانعه على بلاد القلعة و غيرها؛ فيدخلها أفراد و فرسان دون عسكر. فبقى صاحب بجاية فى ملك شامخ و عزباذخ يضاهاى فى ملكه صاحب مصر، فإن بجاية على نظر كبير و فائد عظيم. و بجاية معلقة من جبل و قد دخل فى البحر يسمى مسيون، و عليها سور عظيم، و البحر يضرب فيه. و لها داران لصناعة المراكب، و إنشاء السفن، و منها تغزا بلاد الروم فإنها ليس بينها و بين صقلية غير ٣ مجار .

و هى مرسى عظيمة تحط فيه سفن الروم من الشام و غيرها من أقصى بلاد الروم، و سفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر و بلاد اليمن، و الهند، و الصين، و غيرها. و مدينة بجاية كثيرة الفواكه و الأثمار، و جميع الحيرات.

و هى مشرفة، نزيهة، و مطله على البحر و على فحوص قد أحاطت به جبال دوره نحو ١٠ أميال، تسقيه أنهار و عيون، و فيه أكثر بساتينهم. و لها نهر كبير يقرب منها بنحو المليون أو دونهما، و عليه كثير من جناتهم، و قد صنعت عليه نواعير تسقى من أنهر، و له منتره عظيم. و فى بجاية موضع يعرف باللؤلؤة، و هو أنف من الجبل قد خرج فى البحر، متصل بالمدينة، فيه قصور من بناء ملوك صنهاجة لم ير الرأون أحسن منها بناء، و لا- أنزه موضعا؛ فيها طاقات مشرفة على البحر عليها شبابيك الحديد و الأبواب المخرمة المحنية، و المجالس المقرصة المبنية حيطانها بالرخام الأبيض من أعلاها إلى أسفلها؛ قد نقشت أحسن نقش و أنزلت بالذهب و اللازورد، و قد كتبت فيها الكتابات المحسنة، و صورت فيها الصور الحسنه، فجاءت من أحسن القصور و أتمها منترها و جمالا. و هذا

الجبل مسيون ، الذى فيه بجاية، جبل عظيم عال قد ذهب فى الجو، وقد خرج فى البحر، وفيه مياه سائحة، و عيون كثيرة و بساتين، و هو كثير القردة؛ و يكون فيه الحيوان المشوك المسمى بالذرب .

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٣١

قال الناظر: لما كانت هذه المدينة على ما وصفت، و كان فيها بقية صنهاجة الموتورين ، جعلوا يداخلون أمثالهم ممن و ترت دنياه و أخراه، كأهل ميورقة المنقطعين فيها من أبناء جنسهم، فدهم بجاية منهم على بن اسحاق بن حمو بن غانية المسوفى سنة ٥٨٠ - [١١٨٤] أول ولاية الخليفة أمير المؤمنين أبى يوسف، أيد الله أمره و أعز نصره. و عاث فيها و فى ذواتها و درج منها إلى قسطنطينية فطردته منها عساكر الموحدين، فتوغل فى بلاد الجريد، و عاث فيها، و سفك الدماء، و أخذ الأموال، و أباح الحریم، و فعل ما هو لائق بجذته و وخامة مولده . فسارع لغزوه أمير المؤمنين، و استأصل شأفته ، و مات- لعنة الله عليه- برشقة سهم على توزر، عقب سنة ٥٨٤ - [١١٨٩] .

مدينة مرسى الدجاج : مدينة أزلية على شاطئ البحر، و البحر يضرب فى سورها. و هى قديمة البناء و فيها آثار عجيبة للأول، و لها بساتين و جنات، و بها الطير المسمى بالسمانى كثير من البحر، و يقابلها جزيرة ميورقة.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٣٢

مدينة جزائر بنى مزغناى : مدينة أزلية على ضفة البحر، و البحر يضرب فى سورها. و هى قديمة البناء أزلية فيها آثار عجيبة تدل على أنها كانت دار مملكة لسابق الأمم؛ و فيها دار ملعب قد فرش صحنه بحجارة ملونة مثل الفسيفساء، فيها صور الخيل و الحيوان بأحكام صناعة، و أبدع عمل. و يتصل بجزائر بنى مزغناى فحصى كبير يسمى فحصى متيجة، و هو فحصى عظيم كثير الخصب و القرى و العمائر تشقه الأنهار؛ و هو مرحلتين فى مثلها قد أهدقت به جبال مثل الإكليل. و فى آخر هذا الفحص جبل عليه الطريق، و هو و عر المجاز، يسمى حلق و اجر ، و يسميه أهل البلاد باب الغرب؛ و ليس يدخل إلى بلاد الغرب إلا منه. و كانت بمدينة بنى مزغناى كنيسة عظيمة فيها عجائب من البنيان، بقى اليوم منه جدار هو قبلة الشريعة للعديدين ، و هو كثير النقوش و الصور. و مرساها مأمون، و فيه عين عذبة يقصد إليها أصحاب السفن؛ و يقابل هذا المرسى من الأندلس مرسى شكله. و تليها بجهة الغرب مدينة لغانية.

مدينة لغانية : هى مدينة كبيرة قديمة فيها آثار كثيرة للأول؛ و هى غير مسكونة، و لها نهر يصب فى البحر. و يقابل هذا المرسى - فى بر الأندلس - مرسى مدينة دانية أو هو أوسع بوسطه فى هذا البحر.

مدينة شرشال : مدينة كبيرة فيها آثار للأول، و هى غير مسكونة.

و فيها بنيان عجيب يسمى محراب سليمان قد علا فى الهواء؛ و يقابله من الأندلس مرسى ألاقنت .

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٣٣

مدينة تنس : بينها و بين البحر ميلان؛ و هى مدينة مسورة حصينة، و داخلها قصبة صعبة المرتقى ينفرد بسكانها عامل تنس لمنعتها. و بها مسجد جامع و أسواق حافلة كثيرة؛ و لها نهر يسمى تامن يأتيها من جبال القبلة مم يستدير بها من جهة الشرق و الجوف، و يصب فى البحر. و هى كثيرة الزرع، رخيصة الأسعار، منها يحمل الطعام إلى الأندلس و إلى بلاد إفريقية و إلى بلاد المغرب لكثرة الزرع عندهم. و لكنها و بيته، من يدخلها لا يسلم من المرض، و كثيرا ما يموت بها الغرباء. و لذلك قال بعض الشعراء فيها:

أيها السائل عن أرض تنس بلد اللؤم لعمرى و الدنس

بلد لا ينزل القطر بهالندى فى أهلها حرف درس

فصحاء النطق فى لا أبدأو هم فى نعم بكم خرس

ماؤها من قبح ما خصت بهنجس يجرى على أرض نجس

فمتى تلعن بلادا مرة فاجعل اللعنة اذا بالنس

و أعلمنى الثقة أن بها فيران ضخمة.

مدينة قصر الفلوس : هى مدينة كبيرة، مرسى للمراكب، فيها آثار كثيرة للأول تنبىء أنها كانت دار مملكة؛ وهى اليوم خراب. وفيها ماء مجلوب على قناطر بأغرب ما يكون من البناء القديم.

مدينة وهران : هى مدينة على ضفة البحر بناها جماعة من الأندلسيين البحرين بسبب المرسى، بالاتفاق مع قبائل البربر المجاورين لها؛ فسكنوها مع قبائل من البربر يقال لهم بنو مسكين نحو ٧ أعوام. ثم إنه

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٣٤

زحف إليهم قبائل كثيرة من البربر يطلبون ثارا بينهم وبين بنى مسكين فأبى من كان فيها من الأندلسيين، و كان عندهم جماعة منهم، فنصبوا عليهم الحرب.

فلما ضيقوا عليهم هربوا بنى مسكين فى الليل؛ و تغلب البربر المحاصرون لها عليها و أخرجوا من كان فيها، و أضرموا نارا فخربت و هران عند ذلك، و بقيت سنين خربة؛ ثم تراجع الناس إليها و بنوا فعاتت أحسن مما كانت. و هى مدينة كثيرة البساتين و الثمار، و لها ماء سائح و أنهار كثيرة و أرحاء و عيون، و هى من أعز البلاد. و لها نظر كبير فيه قرية كبيرة فيها آثار قديمة؛ و أهلها موصوفون بعظم الخلق و كمال القامة و الإباء و الشدة.

قال أبو عبيد البكرى: أخبرنى غير واحد ممن دخل هذه القرية و رأى أهلها أن الرجل الكامل من غيرهم يكون إلى منكب الرجل منهم. و أنه كان.

رجل منهم أراد أن يقيم بيتا، فاقتطع ألف كلخة و حملها على ظهره و سوى منها بيتا كبيرا و سكنه. و لوهران مرسى كبير، مشتى للسفن، يكن من الريح لأنه فى حوز جبل مظل على و هران مرتفع.

مدينة أرشجول : مدينة قديمة أزلية فيها آثار كثيرة؛ و هى على نهر تأفىنى و هو نهر كبير تدخل فيه السفن. و المدينة قريبة من البحر تصل إليها المراكب اللطاف. و هى ساحل تلمسان، بينها و بين تلمسان فحوص زيدور لحرث القمح و هو مبارك مشهور البركة. مدينة أسلى : و هى بشرقى أرشجول بمقربة منها؛ و كانت مدينة قديمة عليها سور من صخر؛ و كانت حصينة، و لها نهر يسقى بساتينها و ثمارها.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٣٥

مدينة فكأن : هى مدينة أزلية كبيرة فيها آثار كثيرة للأول، ثم إنها خربت، فبعث إليها المنصور بن أبى عامر من بناها و عمرها. و هى قريبة من البحر.

حصن زيان : له نهر كثير الثمار و الأشجار؛ و بالقرب منه حصن الفروس و هو على قنة جبل على ضفة البحر؛ و بالقرب من هذا الحصن، الوردانية، و حصن و هنين، و مرساه مقصود و له بساتين كثيرة.

مدينة ندرومة : من طرف جبل تاجرا؛ و هى مدينة حسنة كثيرة الزرع و الفواكه رخيصة الأسعار. و لها بساتين خصيبة و مزارع كثيرة؛ و بينها و بين البحر نحو ١٠ أميال. و بساحلها نهر ماء يسيل؛ و هو نهر كثير الثمار، و له مرسى مأمون مقصود، و عليه رباط حسن فيتبرك به. و قيل إنه من أتى [فيه] منكرا لم تتأخر عقوبته؛ و قد عرف ذلك من بركته، و حسن صنع الله فيه.

مدينة ترنانا : كانت مدينة كبيرة مشهورة على ساحل البحر، و كانت محطا للسفن و مقصدا لقوافل سجالماسه و غيرها. و كان سكانها من قبائل البربر و مطغرة؛ و هم أعدل من هناك من البربر. و على هذا الساحل مدن كثيرة قد خربت، و كانت فى سالف الأزمان أهلة كثيرة الخصب، مثل مدينة تامجريت و هى ساحل، و به مدينة مليلة، و هى مدينة قديمة

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٣٦

مشهورة و لها سور صخر و داخلها قصبه مانعة. و دخلها الناصر سنة ٣١٤ [٩٢٦]، و بنى سورها.

مدينة عجود : مدينة قديمة على البحر فيها آثار كثيرة و مرسى مقصود.

مدينة نكر : و هى مدينة كبيرة، بينها و بين البحر نحو ١٠ أميال؛ و هى بين رواب و جبال، و لها نهران أحدهما يسمى نكر و به سميت، و مخرجه من بلاد كزنايه من جبل كوين ؛ و من هذا الجبل ينبعث النهر المعروف بورغة، و هو نهر كبير مشهور من أنهار المغرب. و مدينة نكر كثيرة البساتين طيبة الفواكه لاسيما الكمثرى و الرمان، فليس يوجد مثلها فى بلد. و هى قديمة أزيه افتتحها سعيد بن إدريس بن صالح الحميرى، و هو المعروف بالعبد الصالح، فى أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان. و كان دخل أرض المغرب فى الافتتاح الأول قبل موسى بن نصير، و على يديه أسلم البربر المجاورين لهذه المدينة، و هم صنهاج و غمارة. ثم ارتد منهم بشر كثير لما ثقلت عليهم شرائع الإسلام، ثم تلافاهم الله بهدايته ؛ و مات سعيد المذكور و دفن بقرية أقطى على شط البحر، و ولى ذلك البلد بنوه.

و كانت لهم حروب كثيرة مع قبائل البربر، و كانوا قد تصاهروا مع الحسنين من بنى إدريس ملوك المغرب. و يجاور مدينة نكر جبل غمارة، و تحته مراسى كثيرة، منها مرسى باديس ، عليه عمارة كثيرة من البربر، و فيه السعر رخيص و منه تحمل المراكب الطعام. الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٣٧

مدينة تيطوان : و هى مدينة قديمة كثيرة العيون و الفواكه و الزرع، طيبة الهواء و الماء.

مدينة سبتة : و هى على ضفة البحر، و هو بحر الزقاق؛ و البحر قد أحاط بها شرقا و جوبا و قبله؛ و ليس لها إلى البر غير طريق واحد من ناحية الغرب، لو شاء أهلها أن يقطعوه لقطعوه . و لها بابان أحدهما محدث .، و لها من جهة البحر أبواب كثيرة. و فى آخر المدينة بشرقها جبل كبير فى شعراء كثيفة يسمى جبل المينا ، و قد كان محمد بن أبى عامر أمر أن يبنى بهذا الجبل مدينة و ينقل إليها أهل سبتة، فبنى سورها و مات و لم يتم ما أراد؛ و السور باق إلى وقتنا هذا كأنه مبنى بالأمس؛ و هو يظهر من بر الأندلس لبياضه. و من غريب ما فى ذلك السور أن فيه شقة مستطيلة بأبراجها مبنية بالزيت عوضا من الماء، و كان غرضه إتمام عمله على هذا لولا الإنفاق الكثير، فان البناء بالزيت أصلب و أبقى على مرور الدهور و الأزمان، فلم يساعده الأجل رحمه الله.

و مدينة سبتة مدينة قديمة سكنها الأول، فيها آثار كثيرة و كان لها ماء مجلوب من نهر قرية أو يات على ٣ أميال منها، يجرى الماء فى قناة مع ضفة البحر القبلى الذى يعرف ببحر بسول ، و كان يدخل كنيستها التى هى اليوم جامع سبتة. و أمر الخليفة أمير المؤمنين أبو يعقوب رضى سنه ٥٨٠ [١١٨٤] بجلب الماء إليها من قرية بليونش المذكورة ، على ٦ أميال من سبتة، فى قناة تحت الأرض

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٣٨

حسب ما جلبه الأوائل فى قرية قرطاجنة و غيرها. و شرع العمل فعرضت أمور أوجبت التريص إلى حين يأذن الله تعالى بذلك، و الرجاء الآن مؤمل و نحن فى سنة ٨٧ [٥] [١١٩١]. و على قرية بليونش المذكورة جبل عظيم فيه القردة، عبر من تحته موسى بن نصير إلى ساحل طريفه فسمى به و هو الصحيح. و كان عليه حصن هدمه مصمودة المجاورون له، ثم بناه الناصر عبد الرحمن المروانى، فهدموه ثانية. و تحته أرض خصيبة فيها مياه عذبة، و منه إلى مرسى باب اليم ، و عليه قرية تعرف بقصر مصمودة، و لها نهر يصب فى البحر عذب؛ و منه يقرب الجواز إلى جزيرة طريفه ١٨ ميلا.

مدينة طنجة : هى مدينة كبيرة أزيه، فيها آثار كثيرة للأول و قصور و أقباء و غيرها. و كان فيها ماء مجلوب فى قناة كبيرة، و بخارجها ماء طيب يسمونه برقال حمل شناعه الحمق فهم يعيرون بشربه؛ فيقال لمن تهافت منهم: «شربت ماء بر قال لا جناح عليك»؛ و فيه يقول الشاعر:

بطنجة عين ماء وسط رمل لذيذ ماؤه كالسلسيل

خفيف وزنه عذب و لكن يطير بشاربه ألف ميل

و كان فيها رخام و صخر منجور جليل؛ منها كانت القنطرة على بحر الزقاق إلى ساحل أندلس التى لم يكن فى العالم مثلها. و كانت تمر عليها القوافل و العساكر من ساحل طنجة إلى ساحل الأندلس؛ فلما كان قبل فتح المسلمين جزيرة الأندلس بنحو ٢٠٠ سنة، طغى ماء البحر و خرج من البحر المحيط إلى بحر الزقاق، فغرق هذه القنطرة و غيرها من المواضع المجاورة لها. و يذكر أن طولها كان ١٢ ميلا، وسعة المجاز اليوم فى موضعها ٣٠ ميلا و نحوها. و تبدو هذه

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٣٩

القنطرة للمراكب فيتحفظون منها؛ و يقال إنها تنكشف فى آخر الزمان و يجوز عليها الناس، و الله أعلم بغيبه.

و قيل إن طنجة آخر حدود إفريقية فى المغرب؛ و مسافة ما بين طنجة و القيروان ١٠٠٠ ميل. و هى طنجة البيضاء المذكورة فى التواريخ. و قيل إن عمل طنجة كان مسيرة شهر فى مثله، و إن ملوك المغرب من الروم و غيرهم من الأمم كانت دار مملكتهم مدينة طنجة، و ذلك من أجل القنطرة لثلا يفتجأ العدو إحدى الجهتين، و الله بغيبه أعلم. و إذا حفرت خرائب طنجة وجدت فيها أصناف الجواهر، فيدل ذلك على أنها كانت دار مملكة للأمم سالفه.

و قيل إنه يسامت طنجة فى البحر المحيط الأعظم الجزائر المسماة قرطناش و معناه السعيدة، سميت بذلك لأن أرضها تحمل الزرع دون حرث، و شعراؤها و غياضها كلها أصناف الفواكه الطيبة العجيبة دون غراسه، و فيها أصناف الرياحين العطرة بدل الشوك. و هى متفرقة فى البحر متقاربة بغربى بلاد البربر، يذكر ذلك أهل سواحل المغرب؛ و قد رأيت من امتحن فى طلبها. و يقال، لطنجة و تأتى فيه سيول عظام تذهب ببعض دورها.

مدينة أصيلا : كانت مدينة كبيرة أزية عامرة أهله كثيرة الخير و الخصب. و كان لها مرسى مقصود، و كان سبب خرابها أن المجوس إذا خرجوا من البحر الكبير فأول ما يلقون مدينة أصيلا، فينزلون بمساها و يخربون ما قدروا منها، فيجتمع البربر فيحاربونهم؛ فكانوا معهم على ذلك مع ما كان بين أهل تلك البلاد من الفتن. و يقال إن المجوس قصدوا إليهم مرة فاجتمع البربر لقتالهم، فقالوا لهم: «ما جئنا لقتال و إنما لنا ببلادكم أموال و كنوز، فتنحوا عنا حتى نستخرجها و نشاطركم فيها». فرضى البربر بذلك و اعترلوا عن الموضع الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٤٠

الذى ذكروا لهم، فحفر المجوس موضعا من تلك المواضع التى زعموا فوجدوا على الخبء مطامير من الدخن فاستخرجوه، فلما نظر البربر من بعيد إلى صفرة الدخن ظنوه تبرا، فبدروا إليهم و نقضوا عهدهم و هرب المجوس إلى مراكبهم. فلما أصاب البربر الدخن ندموا فرغبوا إلى المجوس أن يرجعوا إلى استخراج المال فأبوا؛ و قالوا: «قد رأينا منكم نقض العهد فلا نأمنكم أبدا».

مدينة تشمس : و هى مدينة قديمة أزية فيها آثار للأول؛ و هى على نظر واسع كثيرة الخصب و الزرع و الضرع. و هى تشبه بلاد الأندلس، و بقربها بحيرة كبيرة تسمى أمسنا، يصب فيها البحر ٧ أعوام و تصب هى فى البحر ٧ أعوام؛ و ينقطع البحر عنها فتظهر فيها جزائر بينها غدران يتصيد فيها أنواع السمك. و بين البحر و البحيرة مسجد مقصود يسكن حوله النساك و أهل الخيرة، و أمرهم مشهور بتلك الجهات معروف.

مدينة سلا : اسمها بالعجمى شلة؛ و هى مدينة أزية فيها آثار للأول. و هى معروفة بصفه الوادى، متصله بالعمارة التى أحدثها الخليفة الإمام أمير المؤمنين و أبأوه المكرمون. و قد كان اتخذ أبواب البلد العشريون و أولياؤهم مدينة بالعدوة الشرقية، و هى المعروفة الآن بسلا، فيها ديارهم بحومة الجامع؛ و لم يبق منه سوى المنار، و أما السقف كله فتهدم و احتمى الغرباء فى بنائه فى سنة ٥٧٤ [١١٧٨]. و أمر الخليفة أبو يعقوب رضه ببناء مدينة كبيرة متصله بالقصبه التى أحدثها الإمام أمير المؤمنين، و فى هذه القصبه جامع و قصور، و صهاريج الماء أمام الجامع و هو مجلوب من نحو ٢٠ ميلا. و فى هذه المدينة المحدثه قيصارية عظيمة و حمامات و فنادق و ديار كثيرة و مياه مطردة و سقايات و منافع

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٤١

أعدت لورود المحلات عليها- إذ [أن] وضعها على المجاز و المعبر - إلى حضرة مراكش كالأها الله. و على هذا المعبر قنطرة مركبة على ٢٣ معديئة، مدت عليها أوصال الخشب و صلبت عليها الألواح و الفرش الوثيق الذى لا يؤثر فيه الحافر، تجوز عليها العساكر و المسافرين؛ و حولها يتصيد أنواع السمك و الشابل . و يمد البحر فترتفع القنطرة و يتغطى الجسر، فتعوم عليه المراكب و ترسو دونه الأجناف الكبار؛ و قل ما تسلم عند دخولها و خروجها لصعوبة المدخل، و هو مشهور عند أهل صنعة البحر. و يقابله من مراسى بر الأندلس وادى شلب ، و بينهما فى البحر يوم و ليلة. و هذه المدينة قد شرفها هذا الأمر العزيز و كرمها بما أحدثه فيها من المباني الرفيعة و المنارة البديعة، و ما هى وقت مرور المحلات عليها إلا من عجائب منتزهات الدنيا، لا سيما فى الأعوام الخصبه و الفصول المعتدلة. و ناهيك من ساحل طوله نحو الميلين و عرضه نحو الميل مملوء بالبشر، و الزوارق فى الوادى بركابها، و المنارة المطله، و علاقات الثمار، و عقد الزيتون، و جدر الكرمات، و قبب الجلوس للسادات أيدهم الله ظاهرة، و قبلة الجامع و أكثر منارة ذلك الحصن المشرف ظاهرة من المدينة.

و ما هى فى أوقاتها إلا أملح من ديار مصر، و ما يحكى عن دجلة و الفرات؛ فإننا لله على الفناء و الممات؛ و لله در من قال:

الناس مثل حباب و الدهر بركة ماء

فعالم فى طفوو عالم فى انطفاء

و قد ذكرت البلاد الساحلية و التى تقرب من الساحل أو دونهما، مثل القيروان، للضرورة الباعثة على ذلك. و من الناس من يرى أن طنجة آخر بلاد الساحل، و يعتقد أن بحر أفاش إنما مدخله من هناك حيث أشبر تبال؛ الإستبصار فى عجائب الأمصار؛ النص؛ ص ١٤١

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٤٢

و أنا أقول إن مدخل هذا البحر إنما هو من طرف اغير الذى خلفه بلد نول؛ و يقابله طرف الريحانة حتى لو قطعه مركب بريح مصطحبة لأخذ أحدهما من مقابله .

ذكر البلاد الصحراوية و التى تقرب من الصحراء بمرحلة أو أكثر من الإسكندرية إلى آخر بلاد المغرب

مدينة المنى : هى أول مدينة تلى الاسكندرية على طريق الصحراء، و هى ٣ مدن قائمة البناء خالية، فيها قصور شريفه فى صحراء رمل، يقطع فيها العرب على القوافل. و يسكن فى بعض تلك القصور الرهبان؛ و بعدها كنيسة غريبة البناء فيها عجائب من الصور و النقوش، توقد قتاديلها ليلا و نهارا لا تطفأ؛ و فيها صور الأنبياء عليهم السلام و صورة مريم عم فى عمود من رخام. و خارج الكنيسة صور جميع الحيوان و الصناع و التجار، و من جملتها صورة تاجر الرقيق، و بين يديه خريطة مفتوحة فى الأسفل، تنبىء أن التاجر فى الرقيق لا ربح له. و فى وسط الكنيسة قبة فيها ٨ صور يزعمون أنها صور الملائكة، و فى جهه من الكنيسة مسجد محرابه إلى القبلة يصلى فيه المسلمون. و بقربها مدينة خربها الروم فيها قصور تعرف بقصور أبى معد، يسكنها من قريش نحو ٢٠ بيتا، و حوالها قبائل كثيرة من العرب من بنى مذجح و غيرهم؛ و قبائل كثيرة من البربر. و يذكر أن كثيرا ما تتبدل صورة المولود عندهم الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٤٣

فيصير فى خلق الغول و السعلاة، و إن عاش يعدو على الناس حتى يغل و يقيد. و لأجل ذلك يشتم أهل تلك البلاد و أهل إفريقية بعضهم بعضا يقولون: يا مبدول . و قد أخبر الثقات أنهم عاينوا ذلك و تحققوه.

مدينة برقة : و هى مدينة كبيرة أزلية قديمه، فيها آثار كثيرة للأول؛ و هى فى صحراء حمراء التربة و المباني فتحمر لذلك ثياب ساكنيها و المتصرفين فيها؛ و على ٦ أميال منها جبل كثير الخصب و الفواكه و المياه السائحه. و أرض برقة كثيرة الخصب تصلح

السائمة فى مراعيها؛ وأكثر ذبائح أهل مصر والإسكندرية من غنم برقة لعظم خلقها وكثرة شحمها ولذة لحمها. واسمها باللغة الإغريقية بنطابلس، تفسيره ٥ مدن. ويذكر أن فى تلك الخرائب التى ببرقة والآثار القديمة دار منقورة فى حجر صلد، عليها باب من حجر صلد كذلك، من أغرب ما يكون فى الدنيا، لا تدخل الذرة بين العضادة والباب، ولا بين العتبة والباب؛ ولا يفتح الباب إلا للدخل، ولا يقدر أحد على الخروج منه إلا أن يدخل عليه آخر، ويقال إنه كان مفتوحاً لا قفل له.

وأخبرنى بعض من دخل ذلك الطريق أن رجلاً دخل فيه ليرى الدار، فرأى داراً منقورة فى حجر صلد، وفيها من عظام الناس كثير، فهاله ذلك فأراد الخروج فوجد الباب قد انغلق ولم يقدر على فتحه، وأيقن بالهلكة حتى طلبه بعض أصحابه فجاء إلى ذلك الباب فسمع صوته يستغيث بفتح الباب، ففتحه فخرج الرجل.

وفى تلك الآثار عجائب لمن يتأملها.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٤٤

مدينة أجدابية: هى مدينة كبيرة فى صحراء صفا، وآبارها منقورة فى ذلك الصفا؛ طيبة الهواء والماء وبها عين تائرة عذبة، ولها بساتين ونخل يسير؛ وبها جامع حسن البناء بناه الشيعى، وله صومعة مثمثة بديعة العمل.

وبها حمامات وفنادق كثيرة، وأسواق حافلة مقصودة، وأهلها ذو يسار وأكثرهم أقباط، وبها نبد من صرحاء لواته. وليس لمبانيها سقوف من خشب، وإنما هى أقباء من الطوب لكثرة الرياح بها. ثم كذلك قبائل البربر والعرب إلى جبل نفوسة وطوله من المشرق إلى المغرب ٦ أيام؛ وبينه وبين القيروان ٦ أيام، وفيه مدن كثيرة. وفى هذا الجبل مواضع كثيرة فيها آثار قديمة للأول، عجيبة فيها غرائب لمن تأملها. وصل عمرو بن العاص - رحمه الله - إلى جبل نفوسة وافتتحه وكان أهله نصارى، وفى جبل نفوسة رجع بكتاب عمر بن الخطاب رضه. وفى وسط هذا الجبل مدينة جادوا [وهى] مدينة كبيرة لها أسواق حافلة وأكثر أهلها يهود، وهى أم قرى جبل نفوسة.

مدينة شروس: وهى مدينة كبيرة جليدة قديمة، فيها آثار للأول، وأهلها إباضية، وليس بها جامع ولا فيما حولها من القرى؛ وفى نظرها أزيد من ٣٠٠ قرية. ولا يرون فى مذهبهم الجمعة، وفى هذا الجبل أمم كثيرة على مذاهب شتى، وأكثرهم إباضية. وليس لهم أمير يرجعون إلى أمره وإنما

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٤٥

لهم شيوخ وفقهاء فى مذاهبهم يرجعون إلى أمرهم، ولهم رخص كثير فى مذاهبهم.

أخبرنى الثقة قال: رأيت رجلاً دخل بلادهم فرأى إنساناً قد أراد التطهر، فنزل على ماء ونزع ثيابه وجعل يشرب كأنه يغتسل، وكأنه يتوضأ، وكأنه يريق على رأسه وعلى جسده الماء. فقال له الرجل ما هذا، فسكت عنه حتى فرغ، فأخذه الرجل الغريب وحمله إلى حاكم البلد، وقال له رأيت هذا يفعل كيت وكيت.

فقال له الحاكم: من أين أنت، فقال من المغرب؛ فقال والله لولا أنك غريب ببلدنا لأدبتك، وما يدريك لعل له عذرا؛ قال الله تعالى: «يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر». وهذا أفضل مذاهبهم فإن فيهم من لا يرى الاغتسال بالماء جملة؛ وإذا كان على أحدهم غسل يتمرغ فى التراب ويتمم مكان الوضوء؛ وبلاد إفريقية من هذا المذهب كثير. والزنا الحرام بجبل نفوسة فى مذهبهم: ما منهم رجل غنى إلا وله وصائف كثيرة يلبسهن فاخر الثياب ويحليهن بالحلى، ويبرزهن على الطريق للفواحش؛ ولهم ديار معدة لذلك، وهذا عندهم معروف لا ينكر. ومن جبل نفوسة إلى بلد غدامس ٧ أيام فى الصحراء؛ والماء منها على مسيرة ٣ أيام وأكثر. وبلد غدامس بلد كبير ونظر واسع كثير النخل والمياه؛ وأهلها بربر مسلمون لا يلتزمون على عادة بربر الصحراء من لمتونة ومسوفة وغيرها.

مدينة غدامس: مدينة لطيفة قديمة أزلية، وإليها ينسب الجلد الغدامسى. وبها دوامس وكهوف كانت سجوناً للملكة الكاهنة التى

كانت بإفريقية؛ وهذه الكهوف من بناء الأولين، فيها غرائب من البناء والآزاج المعقودة تحت الأرض ما يحار الناظر إليها إذا تأملها، تنبىء أنها آثار ملوك سالفه

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٤٦

و أمم دارسه؛ و أن تلك الأرض لم تكن صحراء و إنما كانت خصيبة عامرة. و أكثر طعامهم التمر، و الكمأة تعظم بتلك البلاد حتى تتخذ فيها اليرابيع و الأراب أحجارا. و من غدامس يدخل إلى تادمكة و غيرها من بلاد السودان.

مدينة زويلة: مدينة كبيرة قديمة أزيه في الصحراء، تقرب من بلاد كاتم و هي من السودان؛ و قد أسلموا بعد ال ٥٠٠ من الهجرة [- ١١٠٦] و هي مجتمع الرفاق و إليها يجلب الرقيق، و منها يخرج إلى بلاد إفريقية و غيرها من البلاد. و لما فتح عمرو بن العاص برقة و جبل نفوسة بعث عقبه بن نافع حتى بلغ زويلة و افتتحها؛ و صار ما بين برقة و زويلة للمسلمين. و بلد زويلة كثير النخل و الثمار، و بقربها قصر و اجان، و هو قصر عظيم على رأس جبل فى طرف المغازة، و هو مثل المدينة؛ فسار إليه ١٥ يوما فنزل عليه و حاصره نحو شهر، فلم يقدر. فمضى أمامه على قصور كوار ففتحها، و أخذ ملكها فقطع أصبعه؛ فقال: لم فعلت فى هذا؛ قال عقبه: إذا نظرت إلى أصبعك لم تقا تل العرب. و فرض عليهم ٣٦٠ رأسا ثم سألهم: هل وراءكم أحد فلم يعلموا ما وراءهم، فكر راجعا على قصور و اجان و لم يتعرض له و لا نزل عليه، و سار ٣ أيام. فلما رأوا أنه لم يتعرض لهم أمنوا و انبسطوا، فأقام عقبه بموضع يسمى اليوم ماء الفرس، فنفذ ماؤهم و أصابهم العطش حتى كاد يهلكهم.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٤٧

قال فصلى عقبه بأصحابه ركعتين و دعوا الله تعالى، فجعل فرس عقبه يبيح بيده فى الأرض حتى انكشفت صفاة تنبعث ماء؛ فنادى عقبه فى الناء أن يحتفروا، فاحتفروا فوجدوا ماء معينا زلالا يسمى ماء الفرس.

و كان يقال له عقبه المستجاب لأنه قل ما دعا فى نيل شىء إلا استجيب له ثم كر راجعا إلى قصر و اجان من غير طريقه الذى أقبل منه، فلم يشعروا حتى طرقتهم ليلا فوجدتهم مطمئين، فاستباح ما فى مدينتهم من ذرارى و أموال و نساء، و قتل مقاتليهم ثم انصرف راجعا إلى زويلة. و من زويلة كر إلى غدامس بعد خمسة أشهر، و سار متوجها إلى المغرب. و جانب طريق الجادة، و أخذ أرض مزاته و هم قبيل كبير من البربر، فافتتح قصورهم إلى قفصة فافتتحها و افتتح بلاد قسطنطية، ثم انصرف إلى القيروان. ثم مضى فى بلاد المغرب حتى انتهى إلى أقصى بلاد السوس، ثم انصرف راجعا فتوفى شهيدا بتهودة من بلاد الزاب.

بلاد الواحات: و هي بلاد كثيرة فى الصحراء ما بين بلاد إفريقية و بلاد مصر؛ و لولا قلة الماء فى هذه الصحراء لكان الطريق من إفريقيا إلى مصر على الواحات أقرب. و الدخول إلى بلاد الواحات من أوجلة، و زلى، و غيرها، التى فى صحراء مدينة طرابلس. و بلاد الواحات كثيرة التمر و النخل، و فيها مدن كثيرة مسورة و غير مسورة؛ و كل مدينة منها لها اسم يعود إلى الواح: الإستبصار فى

عجائب الأمصار، النص، ص: ١٤٨

أريس الواح، و تيس الواح، و الواح الخارج، و الواح صبروا؛ كلها لها اسم مثل هذا و أهلها مسلمون. و هي آخر بلاد الإسلام، بينهم و بين بلاد النوبة مراحل. و فى بعض مدن الواحات قبائل من لواته، و إنما أهلها أقباط.

و زعموا أن فى أقصى بلاد الواحات بلد يقال له واح صبروا، لا يقع عليه إلا من ضل فى الصحراء، و فى النادر من الزمان. و أنه بلد عظيم كثير الخيرات من النخل و الزرع و جميع الفواكه و معادن الذهب، و أنه أخصب بلاد الدنيا و أن الواقع عندهم يكون فى أخصب عيش؛ فإذا أرادوا خروجه من بلادهم، أروه طرف بلاده فتاقت نفسه إليها، فلم يلبث عندهم و رحل كيفما استطاع. و قد وقع فى هذا البلد رجل من عرب بنى قره، و بقى فيه مدة و رجع إلى بلاده، و أخبر بما رأى فيه من الخيرات و بما فى أيدي أربابه من الأموال، و ليس لها مدافعة و لا بصر بالحرب و لا سلاح لأنهم لم يعهدوا الحرب. فأهاج ذلك أمير بنى قره و كان اسمه مقرب بن ماض، و عزم على النهوض إليهم. فأعد أزودة كثيرة و ماء كثيرا، و ذهب فى الصحراء يطلب واح صبروا، و ضل به الرجل الذى دخل

ذلك البلد فوصل مدينة الواح الخارج فسأل عن واح صبروا. فقالوا كلهم: ما نعرف له طريقا ولا يجده إلا من ضل فى الصحراء فى النادر من الزمان، و هو كما ذكر لك و أكثر.

فخرج من الواح الخارج يطلب واح صبروا؛ فبقى يجول فى الصحراء مدة فلم يجده ولا قدر على الوصول إليه، فخاف نفاد الزاد فكر راجعا. فنزل فى رجوعه ذات ليلة ربوة من الأرض فى بهاء تلك الصحراء، فوجد بعض أصحابه فى نواحي تلك الربوة بيتا للأول، فبحثوا عليه فإذا هو لبن من نحاس أحمر، فزادوا فى البحث فوجدوا أساس سور من نحاس أحمر للأول. فأوقروا جميع ما عندهم من الظهر من تلك اللبن، و ساروا حتى أتوا مدينة الواح الخارج فباعوا

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٤٩

ذلك النحاس بأموال كثيرة. ثم أرادوا أن يرجعوا إلى الربوة التى وجدوا فيها النحاس، فلم يقدرُوا عليها و ضلوا طريقها؛ و لو وجدوها لكان فيها غناهم إلى آخر الدهر.

قيل أتى رجل من أهل الواح الخارج إلى مقرب بن ماض فأخبره أنه دخل حائط نخل كان له فوجد أكثر تمره قد أكل، و وجد فيه أثر قدم إنسان لا- يشبه هذا الخلق فى العظم. قال فاحترسه هو و أهله ليل حتى طرقهم ذلك الشخص فرأوا خلقا عظيما لم يعهد مثله، فجعل يأكل التمر، فلما هموا به فاتهم فلم يعلموا به أمرا. قال فنهض معهم حتى وقف على أثر ذلك الشخص فاستعظمه، و أمرهم أن يحفروا زبية فى الموضع الذى كان يدخل فيه، و غطوا أعلاها بالحشيش و يرقبوه. ففعلوا ذلك و رقبوه ليل متتابعة؛ فلما كان ذات ليلة أقبل ذلك الشخص على عادته، فتردى فى الزبية فبادروا إليه بجميعهم و غلبوه بكثرتهم حتى أخذوه، فإذا بامرأة سوداء عظيمة الخلقة مفرطة الطول و العرض لا يفقه منها كلمة. فرآها مقرب بن ماض فهاله أمرها، فكلموها بكل لغة علموها من لغات السودان فلم تجاوب بواحدة منها، و تكلمت بكلام لا- يفهم. و بقيت عندهم أياما يأترون فى أمرها، فقال لهم مقرب: نرى أن ترسل، و تركب الخيل العتاق السوابق و النجب العشار فى إثرها إلى أن يوقف على موضعها و يعلم حقيقة أمرها. فلما أرسلت، فاتت الخيل و النجب و بارت الرياح فلم يقفوا على حقيقة خبرها. و يذكر أن بين بلاد الواح و بلاد الجريد من إفريقية رمال عريضة فيها بقاع تعرف بالجزائر و هى كثيرة النخل و العيون، لا- عمران فيها، و لا- أنيس بها. و يقال إنه يسمع فيها أبدا عزف الجن، و لا- شك أنها كانت بلادا عامرة. و يتكدس هناك من التمر تحت النخل أكوام لا- يقع عليها أحد إلا- الطير و الوحش، و ربما انتجعه الناس فى السنين الجديبة و عند الضرورة.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٥٠

قال الناظر: و صح عندنا أن قبيلة سليم المنقطعين فى صحراء طرابلس ينتجعون تمر هذه المواضع، و منها يتعيشون، و إليها يلجأون عند المطلة لهم و فيها يعتصمون؛ و سمعت هذا قبل الوقوف عليه بمنه.

ذكر بلاد الجريد من إفريقية

إشارة

و إنما سميت بلاد الجريد لكثرة النخيل بها؛ و هى مدن كثيرة و أقطار واسعة و عمائر متصلة، كثيرة الخصب و التمر و الزيتون و الفواكه و جميع الخيرات. و هى آخر بلاد إفريقية على طرف الصحراء.

و فيها المياه السائحة و الأنهار و العيون الكثيرة. فأولها من جهة الساحل مدينة قابس و قد ذكرناها فى البلاد الساحلية. مدينة حامة مطماطة: و هى مدينة قديمة مسورة، و عليها هزم الخليفة أبو يوسف- أدام الله تأييده- شقى ميورقة و أستأصل شأفته؛ و سكانها قوم من البربر يعرفون بمطماطة. و هى كثيرة التمر و الزيتون و الفواكه؛ و فى المدينة عين كبيرة شديدة الحرارة فإذا استقى منها

الماء برد لحينه، و منها يشربون و يسقون غابتهم و غلاتهم.

مدينة قفصة : مدينة كبيرة قديمة أزلية، كان لها سور حصين من صخر جليل بأحكام صناعة يخال لرائيه أنه كما فرغ من عمله. و يقال إن الذى بناه شيبان غلام النمرود بن كنعان الجبار، و كان اسمه منقوشا على باب

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٥١

من أبوابها؛ و كانت له أربعة أبواب. فلم تزل أهواء أهلها تضطرب و قلوبهم تنقلب من حين توحيدهم بزعمهم سنة ٥٥٥ [- ١١٦٠]، فثاروا على الموحدين و سفكوا دماءهم و قدموا على أنفسهم رجلا منهم يعرف بعلى بن الرند ، فملكهم إلى سنة ٧٦ [٥] - [١١٨٠] و أخرجه منها الخليفة أبو يعقوب بن الإمام الخليفة أمير المؤمنين و ولاه عمل مدينة سلا، فمات بها. و بقى أهل قفصة إلى سنة ٨١ [٥] [١١٨٥] فمر عليهم الغاوى الشقى الميورقى، فأدخلوه البلد و ملكوه.

و ترك بها جماعة من الأغزاز المواليين له، فحصرهم بها الخليفة أبو يوسف - رضى الله عنه - فرغبوا فى عتق رقابهم على أن يكونوا عبيدا للأمر العزيز ممالিকা للخليفة، و أسلموا من سواهم، فعفا الخليفة عن جرمهم و أعتقهم، و ترك أهل قفصة فى بلدتهم، و قتل المارقين الميورقين لنفاقهم و شقاقهم كما قيل:

يا ذلة التلثيم عند الكر إذ يبتغون عودة للأمر

و لما تقرر نفاق أهلى قفصة و ترددهم و شكهم و عتوهم و إفكهم، رأى الإمام أمير المؤمنين رضه أن كف شرهم و خسف مكرهم لا يكون إلا بهدم سورهم، و كشف ستورهم. فأمر للحين بهدمه فلم يكن فيه للمحلة إلا من ظهر يوم العصر الثالث منه، و لم يبق إلا أساسه و برج بقرب برج بن زواج شاهدا

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٥٢

على عتاقه بنيانها و عظم شأنها ، و إنه لمن آيات هذا الأمر العزيز التى تتبين بها عظمته لذى الفحص و التزليم .

و كان اسم مدينة قفصة مدينة الحثية لأن فيها بنيانا قديما مثل الحنية فكانت تسمى بها؛ و هى متوسطة بين القيروان و بين مدينة قابس. و فى داخلها عيون كثيرة منها عينان كبيرتان معينتان ليس لهما نظير فى عذوبة مائهما و صفائه و كثرته؛ إحداهما عند باب الجامع تسمى بالوادى الكبير، و هى عين عظيمة مبنية بالصخر الجليل من بانيان الأول سعتها نحو ٤٠ ذراعا فى مثلها، و فوقها عين أصغر منها تسمى رأس العين، و بينهما قنطرة من بانيان الأول، و لا شك أن ماءهما واحد. و ماء هذه العين الأولى أزرق شديد الصفاء يرئى قعر العين من أعلاها و فيها الماء نحو ٧ قيام؛ و العين الأخرى تحت قصر قفصة و تسمى بالظرميد، عليها بانيان عجيب قديم؛ و يازائها مسجد يعرف بمسجد الحواريين. و منبع هذه العين من حجر صلد من ثقب وسع فم الإنسان ، و ينبعث منه بقوة عظيمة. و قد بنى له صهريج عليه دكاكين مبنية بالحجارة و عليه أقباء، و قد بنى فوقه مسجد عظيم. فإذا اجتمع ماء هذه العين مع ماء العين الكبيرة، التى عند الجامع، جاء منها نهر كبير تطحن عليه أرحاء كثيرة، و يسقى نصف غابة قفصة و نصف أرضها و مزدرعاتها. و النصف الثانى من غابة قفصة يسقى من عين عظيمة خارج المدينة يسمى عين المنستير، و هى عين كبيرة معينة عذبة يخرج منها نهر كبير. و هذه العين من أحسن ما يرى من العيون، و هى فى جانب النهر الكبير المسمى بوادى بايش ، و هو يشق غابة قفصة و يسقى بعض بساتينها، و هو نهر مشهور يأتى من جبال شرقى قفصة لكنه فى أيام الصيف يقل جريانه و لا ينشع ، و أرض هذا الوادى كله تنشع . و فيه تورد العرب إبلها، تحفر فيها احساء فتخرج ماء عذبا معينا. و لأهل قفصة فى سقى جناتهم هندسة عظيمة و برشام شديد و تدقيق حساب. يقول أهل قفصة: إذا رأيت قوما يتخاصمون و قد علا بينهم الكلام

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٥٣

فتعلم أنهم فى أمر الماء. و كان على أحد أبوابها كتابة منقوشة فى حجر من عمل الأول ترجم فإذا هو: هذا بلد تحقيق و تدقيق.

و كذلك ليس بإفريقيه حريم أجمل من حريم قفصة مع ملاحه أخلاقهن و رخامة منطقتهن ؛ و يسمون الماء الذى يخرج من المدينة

فيسقى نصف جناتهم «الماء الداخلى»، و يسمون الماء الذى خارج المدينة، و هو عين المنستير و ماء وادى بايش «بالماء الخارج». و لهم مياه غير هذه تسمى بالماء الصغير ، و هى عيون كثيرة بقرب المدينة تسقى بعض جناتهم. و سقيهم بها بالساعات؛ و ترى خدام تلك الجنات و البساتين أعرف الناس بأوقات النهار. إذا سألت رجلا منهم لا يفقه شيئا عما مضى من ساعات النهار، وقف و نظر إلى الشمس و اكتال بقدميه فى موضع ظله، و يقول لك مضى كذا و كذا ساعة و كذا و كذا سدس من الساعة. و أهل قفصة يتنافسون فى هذه المياه، و يتابعون سقيها بأغلى ثمن. و لمدينة قفصة غابة كبيرة قد أحاطت بها من كل ناحية مثل الإكليل، فى تكسير دائرتها نحو ١٠ أميال ، فيها من المنازل التى تعرف بالقرى ١٨ منزلا. و على الغابة و المنازل و الكل حائط يسمونه «سور الغابة». و فى ذلك السور أبواب عظام عليها أبراج مسكونة، يسمون تلك الأبواب: الدروب. و غابة قفصة كثيرة النخل و الزيتون و جميع الفواكه التى ليس فى بلد مثلها: فيها تفاح عجيب جليل زكى الرائحة يسمونه السدسى، لا يوجد فى بلد مثله؛ و كذلك الرمان و الأترج و الموز لا يوجد مثلها فى بلد. و فيها نوع من التمر يسمى بالكسبا، ليس مثله فى بلد و هو أكثر تمرهم؛ يكون فى التمرة فتر فى جرم بيض الدجاج، تكاد تنفذها ببصرك لصفاء لونها ورقه بشرتها. و هم يجعلونه فى أزيار، فإذا أخرجه منها بقى فى قعر الزير غسل ألد من غسل النحل و أعطر؛ و هم يصرفونه فى طعامهم كما يصرف العسل عندنا و تعمل منه الحلوات . و قفصة أكثر البلاد فستقا حتى إننى أظن أنه ليس بإفريقية فستق إلا فيها؛ و منها يجلب إلى إفريقية و بلاد المغرب، و بلاد الأندلس و بلاد مصر. فإن الذى يجلب من بلاد الشام صغير الجرم ليس مثل

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٥٤

القفصى، فإن القفصى يكاد أن يكون فى جرم اللوز. و هو إذا كان فى شجرة أجمل ثمرة خلقها الله تعالى، فإنه يكون عناقيدا مثل عناقيد العنب، و هو زكى الرائحة حتى إنه لا يقدر أحد أن يسرق منه شيئا، فإنه تشتم عليه رائحته. و فى بساتين قفصة من الرياحين كثير: مثل الآس و الياسمين و النارج و النرجس و السوسان و البنفسج و غير ذلك. و وردها أكثره أبيض، و ماؤه أزكى ماء يكون للورد، يشبه الجورى الذى يجلب من بلاد مصر. و يصنع بقفصة أردية و طيالس و عمائم من صوف فى نهاية الرقة تضاهى ثياب الشرب ؛ و تصنع بها أوان للساء من خزف تعرف بالريحية، شديدة البياض فى نهاية من الرقة ليس يعلم لها نظير فى جميع البلاد. و يصنع بها زجاج حسن، و أوان عجيبة و أوان مذهبة غريبة. و هى حاضرة فى جميع أمورها، و أهلها ذوو يسار و فيهم خير كثير و لهم صدقات، و هم يعظمون يوم عاشوراء تعظيما كثيرا و هو عندهم مثل الأعياد؛ و لهم فيه صدقات كثيرة و كساء للمساكين. و كانت مدينة قفصة أعظم بلاد إفريقية نظرا: كان حولها نحو ٢٠٠ قصر أهله عامرة، فيها الأشجار و النخل و الزيتون و الفستق و جميع الثمار؛ و فيها العيون و الأنهار و الآبار ، و تسمى قصور قفصة. و من قصورها مدينة طوارق ، و هى فى منتصف الطريق من قفصة إلى فج الحمار و أنت تريد القيروان؛ و كانت مدينة أهله كبيرة فيها جامع. و كانت القوافل إذا خطرت بين هذه القصور تكم إبلها و دوابها لثلا ترعى ورق الشجر لكثرتة على ذلك الطريق. و هى اليوم خربة لا أنس (ط) بها من وقت دخلت العرب بلاد إفريقية، و أفسدت بلاد القيروان و غيرها من البلاد و القرى و العماثر و كثيرا من المدن بإفريقية .

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٥٥

ذكر كورة قسطلية من بلاد الجريد

و هو قطر كبير فيه مدن كثيرة قاعدتها توزر كلاها الله. و هى المدينة السعيدة التى هلك عليها عدو الله شقى ميورقة. رشقه سهم فى ترقوته ففضى نجه. و لها هذه الفضيلة التى اختصت بها. و كان قد انتقم من أهلها سنة ٨٢ [٥] - [١١٨٦]، و حصرها مدة و ضيق عليها حتى دخلها ثم أخرجه عنها الأمر العزيز، و فر إلى الصحراء على وجهه و أتصل ببني قره فعند قفول المحلة المنصورة عن بلاد إفريقية

أقبل إليها و ظن أن كل بيضاء شحمة، فأتاه الموت من حيث لم يحتسب. وقيل إنه كان سهم قوس اللولب .

وهى مدينة كبيرة قديمة عليها سور مبنى بالحجارة و الطوب، و حولها أرباض واسعة، و لها ٤ أبواب و عليها غابة كبيرة. و هى أكثر بلاد الجريد تمرا و منها تمتاز جميع بلاد إفريقية و بلاد الصحراء التمر لكثرة بها و رخصه. و لأنها على طرف الصحراء لا يعلم ما وراءها و لا قدر أحد على الدخول فى الصحراء التى فى قلبتها؛ و يقال إن فى تلك الصحراء وادى رمل يجرى كما يجرى الماء؛ و هذا مستفاض. و أهلها من بقايا الروم الذين كانوا قبل استفتاح المسلمين لها؛ و كذلك أكثر أهل قسطنطية و بلاد الجريد، لأنهم فى حين دخول المسلمين إفريقية أسلموا على أموالهم. و فيهم من العرب الذين سكنوا فيها من المسلمين عند استفتاحها. و فيهم من البربر الذين دخلوها فى قديم الزمان عند خروجهم من بلادهم و انجلائهم عنها. و ذلك أن بلاد البربر إنما كانت أرض فلسطين من ديار الشام، و ما جاور تلك الأصقاع، و كان ملكهم جالوت الجبار العنيفة، و جالوت سمه لسائر ملوك البربر، إلى أن قتل داود عم جالوت كما ذكر الله تعالى فى محكم كتابه، و دخلت بلادهم تفرقوا فى البلاد. فمشى أكثرهم نحو المغرب و نزل بعضهم بالقرب من بلاد مصر، و تفرقت البرابر فى بلاد إفريقية و بلاد المغرب حتى و صلوا إلى أقاصى بلاد المغرب، على أزيد من ١٠٠٠ ميل من بلاد القيروان، و استوطنوها إلى وقتنا هذا. و كانت بلاد إفريقية للفرنج فأجلتها البربر عنها إلى جزائر

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٥٦

من البحر مثل صقلية و غيرها ثم تراجعت الإفرنجة إلى مدنها و عمائرها على موادعة و صلح مع البربر، و اختارت البربر سكنى الجبال و الرمال و البرارى و أطراف البلاد، فصارت الروم بالمدن و العمائر حتى افتتح المسلمون إفريقية فانجلت الروم أمام المسلمين مرة ثانية إلى جزائر البحر و غيرها إلا- من أسلم و بقى فى بلاده على ماله مثل أهل قسطنطية و غيرهم من البلاد. و أهل توزر يبيعون زبل مراحضهم و هم يعيرون بذلك لأنهم لا- يدخلون المراحض بالماء لثلا يفسد الزبل؛ فإذا دخل أحدهم المراحض مشى إلى بعض السواقي التى تشق مدينتهم أو الوادى فاغتسل. و يمشى عندهم دلال المراحض بالزبل فى الإناء، فإذا كان جافا حرص عليه، و إذا كان رطبا زهد فيه. و يضعون فى جناتهم مراحض على الطرق العامرة لمن كان مضطرا أو غريبا ليس من أهلها. و أما البلدى فلو أمسك ذلك يوما أو يومين ما رماه إلا فى مراحضه. و إنما ذلك لتدمين أرضهم لأنها فى غاية الجفوف لقربها من الصحراء؛ و تتفاضل بلاد الجريد فى رطوبة الأرض و دهنتها و توزر أيسها.

و من بلاد قسطنطية مدينة نفضة : بينها و بين توزر ٢٠ ميلا.

وهى مدينة كبيرة قديمة عليها سور من بناء الأول، و لها غابة كثيرة النخل و البساتين و جميع الفواكه. و هى كثيرة الخصب و لها نهر يسقى بساتينها؛ و هى قديمة خصيبة و أهلها ذو و يسار. و هم من بقايا الروم كما ذكرنا.

و من بلاد قسطنطية بلد تقيوس : و هى ٤ مدن متقاربة عليها أسوار، يكاد يكلم بعض أهلها بعضا لتقاربها. و لهم غابات كثيرة النخل و الزيتون و جميع الفواكه؛ و هى أكثر بلاد قسطنطية زيتونا و أكثر جباية و أحسن هواء؛ فيها العيون الكثيرة العذبة، و المياه السائحة.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٥٧

و من بلاد قسطنطية مدينة الحامية : و تعرف اليوم بحامة بنى بهلول، و بنى بهلول من سادات بلاد قسطنطية بل هم أغنى من فيها، و هم من بقايا الروم الذين أسلموا على أموالهم. و عندهم كرم كثير و بر بالأضياف و حرص على التضييف، و هو الذى رفع ذكرهم فى تلك البلاد. و هذه المدينة لها حصن يسمونه القصر؛ و هو مختص ببنى بهلول و حاشيتهم. و لها أرباض واسعة يسكنها الناس؛ و هى كثيرة التمر و الزيتون و جميع الفواكه؛ و من مدن نفزاوة ما يضاهاها. و مياه هذه المدينة كلها حارة حارة. و ليس ببلاد الجريد أكثر عبا منها و لا أطيب، و شرابه أطيب من كل شراب و أعطر. و يزعم أهلها أنه يسرج به السراج كما يسرج بالزيت. و فيها نوع من التمر يسمونه الخنفس، و هو أسود اللون شديد الحلاوة كبير الجرم. و فى قسطنطية قصور كثيرة و عمائر متصلة أعرضنا عنها و عن ذكرها. و من بلاد الجريد بلاد نفزاوة : و هو قطر مثل قسطنطية فيه مدن و قصور و عمائر كثيرة متصلة أهله.

فمن مدن نفزاوة مدينة طرّة : و هى مدينة مسورة حصينة، لها غابة كثيرة النخل و الزيتون و جميع الفواكه.

و من مدن نفزاوة أيضا مدينة بشرى : و هى مدينة مسورة قديمة، لها غابة كبيرة كثيرة النخل و الزيتون و جميع الفواكه.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٥٨

و من مدن نفزاوة أيضا مدينة أيتلين : و هى مدينة لطيفة حصينة لها أرباض و لها غابة نخيل و زيتون و جميع الفواكه. قال بعض الأدباء:

ايتلين سبعة أحرف على لطفها و خمول ذكرها، و مصر ثلاثة أحرف على عظمها و سمو ذكرها.

و بنفزاوة مدن و قصور و عمائر مثل قسطلية، و هى كثيرة النخل و البساتين كثيرة الخصب. و فى بلد نفزاوة عين كبيرة تسمى بالبربرية تاورغى ، و هى من بناء الأول؛ و ليس ببلاد الجريد عين أعظم منها، لا يدرك لها قعر. و بقرب نفزاوة مدينة أزية غير مسكونة فيها آثار كثيرة للأول تعرف بالمدينة . و بين نفزاوة و قسطلية مرحلة، و الطريق بينهما فى أرض سواحة و سبخ و ملاحات لا يهتدى للطريق بها إلا بخشب قد نصبت فى دهس تشبه الصابون فى الرطوبة. فإن أخطأ أحد طريق تلك الخشب المنصوبة على الطريق سلك فى تلك السبخ. و قد هلك فيه العساكر و الجماعات على قديم الزمان؛ ممن دخلها و لا يعرف أمرها أو خاتمة تلك الخشب و تلك السبخ لا يعلم لها آخر، إنما هى قد اتسعت فى تلك الصحارى، و لا يسلك منها إلا الطريق إلى توزر، و إلى بلاد قسطلية ما يقرب من البر بتلك العلامات. و يقال إنها متصله ببلاد غدامس. و هذه السبخ كلها ملاليج و فيها موضع بين نطفة و الحامة يعرف «بالسبع سبخ». و فى وسط الطريق المار من مدينة توزر إلى نفزاوة جزيرة صغيرة فيها عين عذبة يشرب منها من يسير على ذلك الطريق. و إذا دخل المسافرون هذا الطريق فى أيام الصيف يكادون يهلكون من حرارة الملح و يرجع مأوهم و هو فى الزقاق ملحاً، و لا تقدر على شربه إلا أن يمزج بسكر أو بعسل؛ رأيت ذلك و شاهدته.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٥٩

قال الناظر: و عندها هزم الخليفة أبو يوسف رضى الله عنه الشقى الميورقى بظهر مدينة حامة مطماطة المذكورة، فر الشقى منهز ما بخديعة الذهن آخذاً على هذه السبخ، فتبعه الموحدون أعزهم الله، سالكين أثره قاصين خبره حتى أشرفوا على مدينة توزر، فلقوه قد توغل فى صحرائها. و خاطب الخليفة رضى الله عنه بلاد المغرب معلماً بذلك. فمن فصل من الرسالة : «... نهض الموحدون - أعزهم الله - من قابس - كلاًها الله - آخذين على صحرائها و قاصدين إلى البلاد الجريدية من ورائها على طرق لا عهد لها بالعساكر، و لا علم فيها لعابر، و لا - منفذ أمامها لوارد و لا - صادر، بحيث منقطع التراب، و متصل القفر الياب، و لا ماء ينبع فى الأرض و لا يستقر من صوب السحاب ، و إن سلوكها لمن العجائب العجيب ، و آيات هذا الأمر الميسر للطلاب ...».

و آخر بلاد الجريد مدينة درجين : و هى مدينة قديمة بقرب نطفة، و هى مدينة كبيرة و فيها تصنع الكسى الدرجينى، و هو يشبه السجلماسى فى ثوبه و لونه، و لكنه دونه فى الجودة. و بالقرب منه بلد سوف، و لا يعرف خلفه عمران و لا حيوان إلا جبال من رمل يصاد فيها الفنك الذى لا يوجد لجلده نظير فى الدنيا. و أهل تلك البلاد يخبرون أن قوما أرادوا معرفة ما وراء قسطلية مثل توزر و غيرها، فاستعدوا بالأزودة و المياه، و ذهبوا فى تلك الصحارى و الرمال أياماً، فلم يروا أثراً لعمران و هلك أكثرهم فى تلك الرمال. قال الناظر: ركب هذه الرمال، و شق صحراءها هذا الشقى فى حين طلب الموحدين له، أيام إقامة أمير المؤمنين على قفصه، و إنما نبه على ركوبها ما تعوده أيام كونه مع أبيه بميورقة، فإن من أفعال عدو الله ركوب ظهر اللجج طول النهار، فإذا أقبل العشى طلب أهل البر للفرضه. و كذلك فعل الشقى،

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٦٠

ركب هذه الصحراء طول إقامة الخليفة ببلاد إفريقية، فلما أقبل عنها، رجع إلى أقرب البلاد لها و هى توزر فقضى نحبه عليها، و إنها من براهين هذا الأمر العلى، و أخذه الله تعالى بذنوبه المتقدمة من سفك الدماء و إباحة الأموال و الحریم فى بلاد إفريقية. قال

المؤلف: و أهل الجريد يأكلون الكلاب و يستطيعونها، و هم يسمونها، و يعلقونها بالتمر، فيزعمون أن لحمها يأتي ألد اللحوم . و لا يجذم أحد ببلاد الجريد، و إن دخلها مجذوم توقفت عنه علته. و يقول أهل بلاد الجريد إن التمر إذا أكل أخضرا، و هو الذى يسمى البهر يفعل ذلك، و إنه من بدت به علته الجذام، فأكثر من أكل البهر و طبخه و شرب مائه برا بأذن الله.

و من مدن إفريقية المشهورة مدينة باجة: و هى مدينة كبيرة أزلية قديمة فيها آثار للأول. و لها حصن حصين أزلى مبنى بالصخر الجليل، أتقن البناء، يقال إنه من عهد عيسى عم. و مدينة باجة على جبل شديد البياض، يسمى الشمس لياضه، و هى كثيرة الأنهار و العيون؛ و من تلك العيون عين كبيرة تسمى عين الشمس، و هى تحت سور المدينة؛ و باب المدينة بإزاء العين و يسمى الباب باب عين الشمس. و مدينة باجة رخيصة الأسعار جدا، فإذا أخصبت البلاد لم تكن للحنطة بها قيمة. و تسمى باجة هري إفريقية، فإن بها تمتاز جميع البلاد، عربها، و بربرها، لكثرة طعامها و رخصه. و باسمها سميت باجة الغرب بجزيرة الأندلس. و باجة إفريقية على مقربة من فحس قل المشهور بكثرة الزرع، و أرض هذا الفحص أرض مشققة سوداء، يوجد فيها جميع البذر، و يكون فيه حمص و فول قل ما يوجد مثله فى موضع.

و مدينة باجة نظر كبير، و لها قرى كبيرة عامرة و من بعض قرى باجة، قرية تعرف بالمغيرية و هى كبيرة و بها آثار كثيرة للأول، من كنائس قائم

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٦١

البنيان، محكمة العمل، كأنها رفعت عنها الأيدي بالأمس؛ و كلها مفروشة بالرخام النفيس. و فى هذه الكنائس أعجوبة، يجتمع على حيطانها من الغربان عدد لا يحصى، يظن الرائي لها أن غربان الأرض قد جمعت هناك. و يقال إن لها بها طلسم. و كان الولاة يتنافسون فى ولاية بجاية، و يقولون من يترك قمح عنده و سفرجل دانه و عنب باطه و حوت درنه. و ذرته بحيرة كبيرة ما بين مدينة باجة، و مدينة طبرقة. و على الطريق من القيروان إلى قلعة أبى طويل و هى قلعة حماد، مما يلى بلاد الصحراء، مدن كثيرة خربت بها العرب عند دخولهم بلاد إفريقية، منها

مدينة سبيبة: و هى مدينة قديمة أزلية، ذات أنهار، و مياه سائحة تطحن عليها أرحية. و كانت على نظر كبير و مز درعات كثيرة و قرى عامرة.

و فيها اليوم بعض سكنى لقبائل من البربر و العرب، و يسمى اليوم ذلك النظر القرى . و لم يكن بإفريقية أخصب أرضا منها، و لا أكثر بساتينا و ثمارا و عيونا جارية. و لمدينة سبيبة عين عظيمة كبيرة، و هى من بنيان قديم، من عمل الأوائل، و يقال إن فيها أخباء كثيرة . و من أغرب ما يهتف به أهلها، أنهم يقولون إنه يوجد فيها فى رأس كل شهر دينار كبير، زنته عشرة مثاقيل ، و لا يجده إلا من يعرف رقية العين، و يقولون إن رجلا كان يعرف رقية العين المذكورة، فكان يبخر ببخور، و يرقى بكلام غير مفهوم، فكان يجد فيها كل يوم دينارا من تلك الدنانير، حتى كسب من ذلك مالا كثيرا.

مدينة مجانة: و تعرف بمجانة المطاحن ، لأن بها معدنا لقطع حجارة الأرحاء ليس على الأرض مثله؛ و هى مدينة قديمة أزلية ذات مياه و عيون.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٦٢

مدينة مرما جنة: كانت مدينة كبيرة قديمة أزلية. فيها آثار كثيرة للأول و لها عيون سائحة، و هى على نظر واسع كثير الزرع و الخيرات.

مدينة تسبا: و هى مدينة قديمة أزلية، فيها آثار كثيرة للأول و مبان عجيبة، ما بإفريقية بعد قرطاجنة أعظم منها. فيها دار ملعب قد تهدم أكثره، أغرب ما يكون من البناء. و فيها هيكل يظن الرائي انه كما رفع اليد عنه، ما يكاد يعرف الفرق بين أحجاره ، و لو غرست الإبرة بين حجرين من أحجاره ما وجدت منفذا. و فى داخله أقباء معقودة بعضها فوق بعض، و بيوت تحت الأرض و أزاج كثيرة لها منظر

هائل. و يقال إن ذلك الهيكل كان لاستتزال الروحانيات، لأن فيه أثر الدخان، و فيه صور جميع الحيوانات و صور شاذة لا يعلم ما هى. و فى وسط المدينة هيكل عظيم، مبنى على سوارى رخام عظام، و قد صور خارج حيطان هذا الهيكل من صور جميع الحيوانات بأغرب ما يكون من التصوير، و يقال إنها كلها طلاس. و توجد فى خرائبها طلاس، و لقد دخلتها فأعطاني إنسان من أهلها طلسما، و هو على صورة أسدين من نحاس أحمر، عجز الواحد منهما إلى عجز الآخر، قد صورتا بأعجب ما يكون من التصوير. و أخبرنى أن بلدهم تبسًا كان لا- يدخلها عقرب، و لو أدخل فيها مات، حتى حفر إنسان أساس داره، فوجد قدر نحاس فيها عقارب من نحاس، فسبكها، و صرفها فيما يحتاج، فدخلت حينئذ العقارب المدينة، و أضرت بالناس فيها. و المسكون اليوم من تبسا إنما هو قصرها، و عليه سور من حجر جليل، متقن العمل كأنما فرغ منه بالأمس، و هو حصن عظيم. و فى مدينة تبسًا أقباء تدخلها الرفاق بدوابهم فى أيام الشتاء، يسع القبول منها ألفى دابة و أكثر. و بقرب مدينة تبسا، واد يعرف بوادى

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٦٣

ملان. و هو يقل فى أيام الصيف؛ و هو صعب المجاز كثير الدهس، و عليه جبل يسمى ملان يرى على مسيرة أيام لعلوه، و ذهابه فى الجو. و على مقربة من تبسا جبل يعرف بالكتف، و فى أعلاه مغارة لا يقدر على الوصول إليها لا من فوق الجبل، و لا من أسفله. و يقال إن فيها مالا عظيما، فإن الطير إذا نزلت فى تلك المغارة و طارت عنها سقطت منها دنانير كبار من ذهب نفيس، و هذا متعارف فى تلك البلاد. و لمدينة تبسا بساتين كثيرة، و فواكه عجيبة، و يوجد فيها الجوز حتى يضرب به المثل بإفريقية مدينة باغاية: و هى مدينة عظيمة جليئة، فيها آثار للأول، و لها أنهار عامرة، و عيون، و مزارع، و مسارح. و هى تحت جبل أوراس، و هذا الجبل يشق بلاد المغرب و إفريقية: فطرفه من البحر الغربى يغريطوق على البحر المحيط، حيث انتهى عقبه المستجاب، رحمه الله؛ و طرفه الثانى فى البحر الشرقى بقرب الإسكندرية، و هو المسمى بطرف أوثان الذى إذا عبرته المراكب استبشرت بالسلامة. و مبدؤه بالمغرب، و هو جبل المصامدة المسمى بجبل درن، و هو جبل جزولة المسمى بانكسيت و هو جبل أوراس هذا، و يسكنه لواته، و هو جبل نفوسة. و يدخل طرفه فى البحر نحو ١٠٠ ميل و أزيد. و له جون عظيم فإذا أدخلت الرياح سفينة من السفن فى هذا الجون، و عدمت الرياح التى تخرجها منه فلا تجد هناك مرسى لأنه جبل صلد أملس مثل الحائط، و هذا الجون من أحد عجائب الدنيا.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٦٤

و بقرب باغاية قبر مادغوس و هو قبر مثل الجبل العظيم مبنى بآجر رقيق معقود بالرصاص، و بنيت بجانبه طبقات صغار و صورت فيه جميع الصور من الإنس و الطير و الوحش. و هو مدرج النواحي؛ و قد رام كثير من الأمم هدم هذا القبر فلم يقدرُوا على ذلك لقوة بنيانه، و لمانع يمنع عنه. و لا يعلم على الحقيقة ما هو: هل هو قبر أو هيكل. إنما هو بناء قديم لا يعلم له أول، و هو مجمع لكل طائر؛ و يقال إن لهم هناك طلاس.

و من الجبال المشهورة بإفريقية جبل أوراس: و هو جبل خصيب فيه مدن كثيرة و فيه آثار كثيرة للأول و مدن خربة مثل مدينة طنفة. و كانت مدينة قديمة فيها آثار عجيبة. لقد رأيت فيها بيتا له عضادتان من حجرين مثل جبلين و عليهما عتبة من حجر واحد مثل الجبل الضخم قد قرضت و نقشت على النوع الذى يعمل عندنا فى العمود بأقن صناعة و أغربها، و إنما العجب كيف رفعت تلك العتبة أو زحزت من الأرض.

مدينة الموس: فيها كذلك آثار عجيبة و مباني غريبة تنبئ أنها كانت مدينة عظيمة كبيرة.

مدينة شقبنارية: و هى مدينة كبيرة فيها آثار عظيمة و هى على طرف هذا الجبل أوراس. و كانت فيما يقال من أعظم مدن إفريقية، و كان لها ماء مجلوب و بقى فيها اليوم مواجل عظام ما تغير منها شئ، و فيها عين عظيمة عذبة

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٦٥

و لها سرب كبير تحت الجبل يمشى فيه الفارس بأطول ما يكون من الرماح فلا يلحق سماك ذلك السرب. و يقال إن فيه كنوزا و

أموالا كثيرة؛ و يقال إنه كان بمدينة شقبنارية كنيسة و فيها مرآة صنعت من أخلاط عجيبة؛ إذا اتهم الرجل أهله بأحد، نظر فى تلك المرآة فىرى وجه الرجل المتهم. فيقال إنه كان فى تلك الناحية رجل بربرى يدعى أنه من أهل الخير و الصلاح، فاتهم ملك شقبنارية أهله بذلك البربرى فنظر فى المرآة فرأى صورة البربرى مع امرأته، فأوقف على ذلك الشهود و أخذ البربرى فقتله، فغضب لذلك أهل البربرى و دخلوا تلك الكنيسة فكسروا تلك المرآة و نزعوها. و فى هذا الجبل مدن قديمة كثيرة خربة فيها آثار عظيمة و هو كثير العمائر و القرى و هو بلد الزرع و الضرع.

و مما يقرب من هذا الجبل من المدن المشهورة بإفريقية مدينة قسنطينة :

و هى مدينة كبيرة عامرة قديمة أزلية، فيها آثار كثيرة للأول. و كان لها ماء مجلوب يأتيها على بعد على قناطر تقرب من قناطر قرطاجنة؛ و فيها مواجل عظام مثل الذى بقرطاجنة. و مدينة قسنطينة حصينة فى نهاية من المنعة و الحصانة لا يعرف بإفريقية أمنع منها، ليس لها فى المنعة نظير غير مدينة رندة بالأندلس، فإنها تشبهها فى وضعها و الخندق المحيط بها و الحافة المحدقة بها شبا كثيرا. و لكن قسنطينة أعظم و أكبر و أعلى، على جبل عظيم من حجر صلد، و قد شق الله تعالى ذلك الجبل فكان فيه خندق عظيم يدور بالمدينة من ٣ جوانب. و نهرها الكبير يدخل على ذلك الخندق و يدور بالمدينة فيسمع لجريانه فى ذلك الخندق دوى عظيم هائل و صوت مفزع لمن يقرب منه. و قد عقد الأولون على هذا الخندق قنطرة عظيمة بل هى ٣ بعضها على بعض. و [هى] بالجو قربت من أعلى الخندق، و عليها الدخول إلى باب المدينة و هى متصلة بالباب. و قد بنى على طرف القنطرة مما يلى باب المدينة بيت على أقباء يسميه أهل المدينة «العبور» يعنون الشعرى لأنه معلق فى جو السماء، فإذا كنت فى وسط هذه القنطرة تعبر إلى

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٦٦

الضفة الثانية نظن أنك تطير فى الهواء، و ترى ماء النهر الكبير فى قعر الخندق البعيد المهوى مثل الجدول الصغير. و هذه المدينة من عجائب العالم قد دخلتها مرارا و تأملت آثارها و دخلت مواضع كثيرة فيها آثار للأول فتأملتها، و كان لى فى ذلك غرض. و هى على نظر واسع و قرى كثيرة عامرة أهله، و هى كبيرة الخصب و الزرع و لها بساتين كثيرة الفواكه، لكنها شديدة البرد و الثلج كثيرة الرياح لعلوها و ارتفاعها. و أقرب بمدينة القسنطينة من رأس البحر مدينة القلّ بينهما نحو المرحلتين أو أقل.

مدينة ميله : مدينة أزلية فيها بعض آثار للأول تدل على أنها كانت مدينة كبيرة. و هى الآن عامرة أهله كثيرة الخصب رخيصة السعر، على نظر واسع و قرى عامرة. و ميله كثيرة الأسواق و المتاجر، عليها سور صخر جليل من بناء الأولين. و فى وسط المدينة عين خراة عذبة من بناء الأوائل لها سرب كبير يدخل فيه فلا يوجد له آخر، و لا يعلم من أين يأتى ذلك الماء. و يقال إنه مجلوب من جبل بالقرب منها يسمى تامروت، و تعرف هذه العين بعين أبى السباع. و بالقرب من ميله جبل العنصل يسمى اليوم جبل بنى زلدوى و هم قبائل كثيرة من البربر سكنوا بذلك الجبل، و لهم خلاف كثير على الولاة بسبب منعة جبلهم؛ و فيه مدن و عمائر و قرى كثيرة و هو أخصب جبال إفريقية؛ فيه جميع الفواكه من التفاح الجليل و السفرجل الذى لا يوجد مثله فى بلد و الأعناب الكثيرة. و على الطريق من مدينة ميله إلى قلعة أبى طويل و هى قلعة حماد، مدينة سطيف، بينها و بين ميله مرحلة. و هى مدينة قديمة أزلية كان عليها سور صخر قديم خربه كتامة مع أبى عبد الله الشيعى.

و مدينة سطيف رخيصة الأسعار كثيرة الفواكه و الثمار، غزيرة المياه و الأنهار و البساتين و الأشجار.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٦٧

مدينة الغدير : و هى مدينة كبيرة أزلية بين جبال قد أهدقت بها، و لها نهر يجتمع من العيون فى موضع دهس يخرج منه هذا النهر، و يسمى نهر سهر و يمشى من هناك إلى مدينة المسيلة و هو نهرها. و المسيلة من بلاد الزاب، و سيأتى ذكرها عند ذكرنا بلاد الزاب إن شاء الله. و يقرب مدينة الغدير فحص عجيسة، و هو فحص مديد، كثير الزرع و الضرع إلا أنه شديد البرد و الثلج. و لقد دخلت هذا الفحص فى زمان الصيف فرأيت الجليد ينزل فيه بالغدو. و من أمثال تلك البلاد، برد بلد عجيسة فى الصيف و أما الشتاء فسكرات

الموت و عندهم النيلة المشهورة .

مدينة قلعة أبى طويل : و هى قلعة حماد و هى مدينة عظيمة قديمة أزلية على نظر عظيم كثير الزرع و جميع الخيرات. و هى فى جبل عظيم، و هى حصينة منيعه لا تمكن بقتال. و كانت دار مملكة بنى حماد من صنهاجه، و هم كانوا ملوك إفريقية [أيام بنى عبيد] فلما رحلوا إلى بلاد مصر، و لوا على إفريقية [بلجين بن زيرى بن مناد الصنهاجى، فكان كذلك على طاعتهم إلى أن مات ثم ولى بعده ابنه حبوس فكان كذلك على طاعتهم إلى أن مات فولى بعده ابنه باديس؛ ثم ولى بعده ابنه المعز و هو الذى خلع طاعة الشيعة و قتلهم بإفريقية قتلا ذريعا. و كان سبب ذلك أن هذا المعز بن باديس كان يضم حب الصحابة رضه، و كان يظهر التشيع و القليل من أهل إفريقية سنه لكون

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٦٨

الدولة للشيعة ، فليل إن المعز كان ماشيا يوما بالقيروان، و كانت دار مملكة إفريقية، إذ كبت به دابته فقال «أبو بكر و عمر»، فلما سمع منه أهل القيروان ذلك قاموا على الشيعة فقتلوهم حيث ما وجدوهم و قتلوا فى جميع إفريقية؛ و يقال إنه قتل منهم بالقيروان و أحوازها نيف على ٢٠ ألفا. و ملك بنو زيرى ابن مناد الصنهاجى بلاد إفريقية إلى أن دخلها عليهم العرب، فرجع صاحب القيروان يسكن مدينة المهديه. و قد كان حماد بن حبوس قام على ابن عمه باديس بهذه المدينة، فسميت قلعة حماد؛ و نزل عليه ابن عمه فى جيوش لا تحصى فما قدر عليه، و رجع عنه خاسرا؛ و يقال إنه مات عليها و حمل منها إلى القيروان.

و ولى بعده ابنه المعز و هو لم يبلغ الحلم فعند ذلك عظم ملك حماد بقلعة أبى طويل، و أخذ كثيرا من مدن إفريقية. فلما دخل العرب إفريقية هرب منهم صاحب القيروان إلى المهديه، و خرج المنصور من بنى حماد لنصرة ابن عمه و هزم الهزيمة المشهورة على مدينة سيبه، و قد ذكرنا ذلك فى أخبار بجايه، و عظم ملك بنى حماد بجهة القلعة، و بجايه، و تلك البلاد.

و لبنى حماد بالقلعة مبان عظيمة و قصور منيعه متقنه البناء عاليه السناء منها قصر يسمى بدار البحر، و قد وضع فى وسطه صهريج عظيم تلعب فيه الزوارق، يدخله ماء كثير من ماء مجلوب على بعد. و هذا القصر مشرف على نهر كبير و فيه من الرخام و السوارى ما يقصر عنه الوصف، و فيه قصور غير هذا و مبان عجيبه؛ و فيها آثار للأول عجيبة. و يقال إن حماد بن مناد صاحب القلعة التى تنتسب إليه كان له دهاء و فطنة و تجربه فى الحروب، و كانت له فرائسه حسنة و ذكاء و له أخبار مشهورة محفوظة. فمن المحفوظ عنه من الذكاء و الفطنة أن رجلا شيخا خرج مع امرأته من بعض البلاد يريد القلعة فصحبه فى الطريق فتى شاب و كان له جمال، فكلفت به المرأة و كلف بها فتواطأ على أن يدعى فى زوجيتها و تفعل هى كذلك، و يسقط الشيخ، فلما و صلوا القلعة فعلا ذلك. قال فتعرض الشيخ إلى حماد و شكاه إليه

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٦٩

ما دهاه. و كان الشيخ مولعا بالمرأة فأمر حماد بإحضار الفتى و الجارية، فسألها عما ذكره الشيخ فأنكر ما قال الشيخ و تعارفا أمامه بالزوجة. فجعل حماد يسأل الشيخ من صحبه فى الطريق، أو هل له بينه أو شبهة؛ فقال له الشيخ ما صحبنى و امرأتى غير هذا الكلب، خرج معنا من البلد الفلانى، و هو تربيتنا؛ فأمر حماد بربط الكلب إلى شجرة، ثم أمر المرأة أن تحله، فقربت منه فهش الكلب إليها، فحلته، ثم أمرها فربطته ثم حلته، و الكلب فى ذلك كله يهش إليها و لا ينكر شيئا مما تفعل به. ثم قال للفتى قم إلى الكلب و حله و اربطه فلما دنا منه خججه الكلب و أنكره و لم يقدر على الدنو منه. فقال حماد للشيخ قم إلى الكلب، فقام إليه فهش الكلب كما هش للمرأة، فأمر بضرب عنق الفتى، و قال للشيخ شأنك و الجارية. و كان له من هذا الباب كثير. و يذكر أنه قال : ما تدهى على أحد قط و لا خدعنى غير امرأة و كعاء من البربر.

قيل له و كيف كان ذلك؛ قال كان لى صاحب من البربر نشأت معه بالقيروان و لم يفرق بيننا ريب الزمان، و كنت خالطته بنيه نفسى و جعلته محل أنسى، فلما صرت إلى ما أنا فيه من الرياسة، فقدته، فجعلت أطلبه فلا أقدر عليه، فلما نزلت على مدينة باغايه، و دخلتها

عنة و استبحت جميع ما فيها فإذا أنا فى صبيحة ذلك اليوم بصائح يصيح: «أنا بالله و بالأمير»؛ فقلت: «مالك و من أنت». فقال أنا فلان، فإذا بصاحبى الذى كنت أطلب مع أهل باغاية، قد حبسه عنى نسكه، و غلب على هواه و ورعه؛ فأظهرت البشر بمكانه و الجزل بشأته، و لو شفع إلى فى أهل باغاية لشفعته. فجعلت أوانسه و هو كالوالد فسألته عن أمره، فقال إنه فقد بنتا كانت له فيمن فقد من النساء؛ فقلت له و الله لو خرجت إلى بالأمس لحقنت دم أهل بلدك لحرمتك عندي؛ فقال القدر غالب و المحروم خالب. قال حماد ثم أمرت القواد فأحضروا جميع ما كان فى أخبثتهم من النساء، فعرف الرجل أن ابنته فيهن. قال حماد فأمرت بسترها و ترفيها و حملها مع أبيها فى أحسن حال، قال فرفعت صوتها قائلة، و الله يا حماد لا

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٧٠

رجعت مع أبى و لا- مع الذى غصبنى، قال فقلت لها فما الذى تريد؟ قالت إنى لا أصلح إلا للملوك فلا حاجة لى بسواهم، فلما سمع ذلك أبوها سكن ما كان فى نفسه لها من الإشفاق، و ظن أنها قد فتنت و فسدت. قال حماد و من أين تقولين أنك تصلحين للملوك؟ قالت، لأن عندي علما لا أشارك فيه و لا يدعيه غيرى، فقلت لها ألا أريتينا شيئا من علمك، قالت نعم تأمر بقتل إنسان و تحضر أمضى سيف عندك، أتكلم عليه بكلمات تمنع من تأثيره فى أحد و يعود فى كف حامله أكل من قبله. قال حماد فقلت إن الذى يجرب هذا فيه لمغرور، فقالت لى، أ و يتهم أحد فى قتل نفسه؟ قلت لها لا، فقالت إنى أريد أن تجرب ذلك فى حتى تروا عجا. قال فأتى بسيف ماض فتكلمت عليه و أشارت إلى السماء مرارا و مدّت عنقها، فضربها السيف ضربة أبان رأسها من جسدها؛ فاستيقظت من غفلتى، و علمت أنها تدهت على، و كرهت العيش بعد الذى جرى عليها و استبان لأبيها ذلك فجعل يلقي نفسه عليها، و يتمرغ فى دمها اغتباطا بما رأى من عظيم أنفاسها، إذ اختارت الموت على ما نزل بها، و قال لا شك أن إشارتها إلى السماء إنما كان ذكرا للشهادة و الدعاء لله تعالى أن يغفر لها. و تصنع بمدينة قلعة حماد أكسية ليس لها مثل فى الجودة و الرقة إلا الوجديّة التى تصنع بوجده؛ يساوى كساء عيد من عمل القلعة ٣٠ ديناراً.

مدينة أشير: بناها زيرى بن مناد الصنهاجى و تعرف بأشير زيرى، و كانت مدينة قديمة فيها آثار عجيبة، و إنما بنى زيرى سورها و حصنها و عمرها فليس فى تلك الأقطار أحسن منها. و هى بين جبال شامخة محيطة بها. و داخل المدينة عينان لا يبلغ لهما غور و لا يدرك لهما قعر من بناء الأول، و بالقرب من المدينة بنيان عظيم يعرف بمحراب سليمان لم ير بنيان أعظم منه و لا أحكم، فيه من الرخام و الأعمدة و النقوش ما يقصر عنه الوصف.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٧١

مدينة مليانة: قريبة من مدينة أشير، و هى مدينة كبيرة من بنيان الروم جدها زيرى بن مناد أيضا و فيها آثار قديمة. و هى مدينة حصينة فى سفح جبل يسمى نكار، و شعراء هذا الجبل كلها ريحان، و ينبعث من هذا الجبل عين خراة عظيمة تطحن عليها الأرحية لقوتها. و لمدينة مليانة مياه سائحة و أنهار و بساتين فيها جميع الفواكه، و هى من أخصب بلاد إفريقية و أرخصها أسعارا. و مدينة مليانة مشرفة على فحوص واسعة و قرى كثيرة عامرة و مزارع واسعة؛ و حولها قبائل كثيرة من البربر. و يشق تلك الفحوص نهر شلف و هو نهر كبير مشهور. و على نهر شلف مدينة قديمة أزلية فيها آثار أولية تسمى شلف، و إليها ينسب النهر الكبير، و هى اليوم خراب. مدينة الخضراء: و إنما سميت الخضراء لكثرة بساتينها، و كانت مدينة كبيرة قديمة فيها آثار أولية و هى على نهر إذا حمل دخل بعضها، و أظنه نهر شلف.

ذكر بلاد الزاب: و هى على طرف الصحراء، فى سمت بلاد الجريد، و هى مثلها فى حر هوائها و كثرة نخلها. و هى مدن كثيرة، و أنظار واسعة و عمائر متصلة، فيها المياه السائحة و الأنهار و العيون الكثيرة.

مدينة المسيلة: أقرب بقلعة حماد من بلاد الزاب مدينة المسيلة، و هى فى بساط من الأرض على نهر كبير يسمى بسهر، و منبعه من مدينة

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٧٢

الغدیر و قد ذكرناه. مدينة المسيلة أحدثها أبو القاسم إسماعيل بن عبید الله الشيعى منذ سنة ٣١٣ [-٩٢٥] و كان المتولى لبنائها على بن حمدون بن سماك المعروف بابن الأندلسى، فلم يزل بها أميرا حتى مات فى فتنه أبى يزيد، و بقى ابنه جعفر أميرا فيها، و لى على بلاد الزاب كلها. و هذا جعفر ممدوح محمد بن هانى الأندلسى الشاعر المشهور، له فيه مدائح كثيرة حسان، و كان من أكثر أهل زمانه إحسانا. و مدينة المسيلة كثيرة النخل و البساتين تشقها جداول المياه العذبة، و كانت مدينة عظيمة على نظر كبير، و حوالها قبائل كثيرة من البربر من عجيسة و هواره، و بنى برزال. مدينة نقاوس: مدينة كثيرة الأنهار و الثمار و المزارع، كثيرة شجر الجوز، منها يحمل الجوز إلى قلعة حماد و إلى بجاية و إلى أكثر تلك البلاد.

مدينة طنبه: و هى مدينة كبيرة قديمة عليها سور من طوب و لها حصن قديم عليه سور من صخر جليل ضخم متقن البناء من عمل الأوائل، و لها أرباض واسعة و هى مما افتتح موسى بن نصير حين دخل بلاد إفريقية و المغرب و بلاد الأندلس فبلغ سببها ٢٠ ألف رأس. و يشق مدينة طنبه جداول الماء العذب و لها بساتين كثيرة النخل و الثمار و لها نهر يشق غابتها، و قد بنى له صهرج كبير يقع فيه و تسقى منه جميع بساتينها و أرضها، و لم يكن من القيروان إلى سجلماسة مدينة أكبر منها

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٧٣

مدينة بسكرة: و هى مدينة كبيرة، و حوالها حصون كثيرة و قرى عامرة و هى قاعدتها، و لها غابة كبيرة كثيرة النخل و الزيتون و جميع الثمار، ببسكرة النخل لكثرت بها، و فى جميع البلاد إنما يصيحون عليه «بسكرة».

و أكثر تمرها الجنس المعروف بالكسبا و هو المعروف ببلاد المشرق و بمدينة الرسول عم و غيرها بالسيمانى، و ببسكرة أيضا جنس من التمر يعرف بالليارى و هو أبيض أملس و كان صاحب القيروان يأمر عماله بالمنع من بيعه، و بعث ما هناك منه إليه لطيبه و حسنه. و يشق غابة بسكرة نهر كبير ينحدر من جبل أوراس يسقى بساتينها و نخلها، و هو نحو ٦ أميال فى غابة متصلة بالمدينة يشق غابتها و قراها. و بسكرة دار فقه و علم، فيها العلماء. و من قرى بسكرة قرية تسمى ملسون، و منها كان أبو عبید الله الملسونى، و كان عالما فقيها يحمل عنه العلم، و هو الذى أخبرنى أن فى طريق بسكرة جبلا و فيه كهف فيه رجل قتيل لم يعرف أحد من أى عهد هو، و لم تغيره الدهور و لا تقادم الأزمان كأنما جراحه تقطر دما كأنه قد قتل من يومين، و تخبر الكافة عن الكافة و الخلف عن السلف، أنهم كذا عرفوه منذ كانوا؛ و قد نقله أهل تلك النواحي و دفنوه بأقبيتهم تبركا به ثم لم يلبثوا أن وجدوه فى الكهف على حاله، يحدث بذلك ثقات أهل النواحي، و يقال إنه من الحواريين. ذكر محمد بن يوسف فى كتابه أن هذا القتل فى شق جبل بشرقى عين أو بان، و هذه العين عظيمة بين مدينة مرماجنة و بين مدينة سبييه، و ذكر أنه يخيل لرأيه أنه كما ذبح من يومه و إنه هناك من قبل فتح إفريقية و لم يذكر أمر نقله و دفنه. و قد ذكر المسعودى رحمه الله، هذا القتل و الله أعلم بحقيقته أمره.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٧٤

مدينة تهودة: بالقرب من بسكرة مدينة تهودة و هى مدينة كبيرة قديمة أزلية عليها سور عظيم مبنى بالحجر الجليل، و لها رياض كبيرة و لها أرباض كثيرة يدور بجمعها خندق، و لها نهر كبير ينصب إليها من جبل أوراس، فإذا كانت بينهم و بين أحد حرب، و خافوا النزول إليهم أجروا ماء ذلك النهر فى الخندق المحيط ببلدهم فامتنعوا منه. و هى كثيرة البساتين و الزرع و النخل و جميع الثمار. و فى هذه المدينة خير مشهور عن رسول الله صلعم، يروى عن شهر بن حوشب أن النبى صلعم نهى عن سكنى هذه البقعة الملعونة التى يقال لها تهودة؛ و قال له سوف يقتل بها رجال من أمتى على الجهاد فى سبيل الله ثوابهم كثواب أهل بدر و أهل أحد، و الله ما بدلوا حتى ماتوا. و كان شهر بن حوشب يقول:

وا شوقاه إليهم، و قال شهر سألت جماعة من التابعين عن هذه الصحابة التى ذكرها رسول الله صلعم، فقالوا ذلك عقبه بن نافع و

أصحابه قتلهم البربر و النصرارى بمدينة يقال لها تهودة، فمنها يحشرون يوم القيامة و سيوفهم على عواتقهم حتى يقفوا بين يدى الله تعالى. و روى أبو المهاجر قال: قدم عقبه بن نافع مصر و عليها عمرو بن العاص فى خلافة معاوية بن أبى سفيان فنزل منزلا من بعض قرى مصر و معه جماعة من أصحاب رسول الله صلعم فيهم عبد الله بن عمرو بن العاص فوضعت بين أيديهم سفرة فيها طعام فلما تناولوا من الطعام، ضربت حداة على ما بين أيديهم من الطعام فأخذت منه عرقا، فقال عقبه اللهم دق عنقها، قال و أقبلت منفضة حتى ضربت بنفسها الأرض فأندقت عنقها، فأسترجع ابن عمرو فسمعه عقبه يترجع فقال: ما لك يا أبا عبد الله، فقال بلغنى أن قوما يغزون إلى هذه الناحية فيستشهدون بها جميعا، فقال عقبه اللهم أنا و منهم، و كان مستجاب الدعوة. قال ثم إن عقبه بن نافع خرج فى أيام يزيد بن معاوية على جيش كبير غازيا إلى بلاد المغرب، فمر على عبد الله بن عمرو بمصر فقال له:

«يا عقبه لعلكم من الجيش الذى يدخل الجنة»، قال أبو المهاجر فافتتح عقبه بلاد المغرب حتى وصل إلى أقصاها و على ضفة البحر المحيط، و قد ذكرناها.

و يقال إنه أدخل فرسه فى البحر حتى بلغ تلييب سرجه، و قال اللهم إنى

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٧٥

أطلب السبب الذى طلب عبدك ذو القرنين، فقيل له يا ولى الله و ما السبب الذى طلب، قال ألا يعبد فى الأرض إلا الله وحده، و انصرف إلى إفريقية.

فلما دنا منها تفرق أصحابه عنه فوجا فوجا، فلما وصل إلى مدينة طنبه من نظر الزاب، أذن لسائر جيشه و بقى فى عدة يسيرة من أصحابه، و قد كان فى دخوله بلاد المغرب خطر على مدينة تهودة و على مدينة بادس، فرأى فيها قوة كثيرة من النصرارى و البربر، و كانت فى ذلك الوقت أعظم مدن المغرب. فلما رجع قال أمر على مدينة تهودة و بادس، أعرف ما فيهما من القوة و الجيش، فلما انتهى إلى مدينة تهودة اعتمده كسيلة بن أقدم و كان أميرها فى جيوش من الروم، و قد كان سمع تفرق جيش عقبه عنه، و أقبلت عليه عساكر من البربر، فلما رآهم عقبه و أصحابه كسروا أجفان سيوفهم و رجعوا إليهم فقاتلوا حتى قتلوا جميعا رحمهم الله؛ و قبر عقبه اليوم بمدينة تهودة على مقربة منها بمرحلة.

مدينة بادس: و هى مدينة كبيرة، لها حصنان و أرباض واسعة و بسائط كثيرة و مزارع جليلة يزدرعون فيها الشعير مرتين فى السنة على مياه سائحة و نخل كثير و جميع الفواكه و الثمار. و هى مدينة قديمة فيها آثار للأولين و لها مياه و عيون كثيرة، و بالقرب منها قيطون بياضة و هو أول بلاد سماطة، و منه تفرق الطرق إلى بلاد السودان و إلى القيروان و إلى بلاد الجريد و طرابلس و غيرها. و قيطون بياضة قرية كبيرة كثيرة النخل فيها تجتمع الرفاق، و منها تخرج إلى جميع البلاد، و هى آخر بلاد الزاب.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٧٦

ذكر المغرب الأوسط

وفيه مدن كثيرة، و قاعدتها مدينة تلمسان، و حيد المغرب الأوسط من وادى مجمع و هو فى نصف الطريق بين مدينة مليانة و مدينة تلمسان بلاد تازا من بلاد المغرب فى الطول، و فى العرض من البحر الذى على ساحل البلاد التى ذكرنا فى البلاد الساحلية، مثل مدينة وهران و مليلة و غيرها من البلاد الساحلية إلى مدينة تنزل، و هى مدينة فى أول الصحراء و هى على الطريق إلى سجلماسة.

مدينة تلمسان: مدينة عظيمة قديمة فيها آثار كثيرة أزلية تنبئ أنها كانت دار مملكة لأمم سالفه، و هى فى سفح جبل أكثر شجره الجوز، و كان لها ماء مجلوب من عمل الأوائل من عيون يسمى بوريط، بينها و بين المدينة ٦ أميال؛ و لها نهر كبير يسمى سطفيسف. و كانت تلمسان دار مملكة زناتة و حوالها قبائل كثيرة من زناتة و غيرهم من البربر. و هى كثيرة الخصب رخيصة الأسعار كثيرة الخيرات و النعم، و لها قرى كثيرة و عمائر متصلة و مدن كثيرة ترجع إلى نظرها.

و فى الجنب من مدينة تلمسان قلعة منيعة كثيرة الثمار غزيرة المياه و الأنهار و يتصل بها جبل تاورناية، و هو جبل كبير معمور فيه

القرى الكثيرة و العماثر المتصلة.

و فى الجنوب من مدينة تلمسان قرية كبيرة تسمى باب القصر، فوقها جبل يسمى البغل، كثير الخصب و العمارة ينبعث تحته نهر سلفسيف و يصب فى بركة

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٧٧

عظيمة منقورة فى حجر صلد من عمل الأولين فيسمع لوقوعه فى تلك البركة خريز شديد هائل على مسافة أميال، ثم يخرج من تلك البركة بحكمه مدبرة إلى موضع يسمى المهماز، فيسقى هناك مزارع و أولاجا كثيرة تسمى أولاج الجنان؛ و تلك المواضع من أجمل بقاع تلك البلاد؛ ثم يصب فى نهر أسر ثم يصب فى نهر ثافى و هو النهر الذى يتصل بمدينة أرشقول فى البلاد الساحلية. و مدينة تلمسان مدينة علم و خير و لم تزل دار العلماء و المحدثين.

و كان هذا المغرب الأوسط قد تملكه العلويون من بنى إدريس و أمرهم مشهور، و تملكوا بلاد الأندلس و تسموا بالخلافة.

مدينة و جدة: و هى مدينة كبيرة مسورة قديمة أزلية، كثيرة البساتين و الجنات و المزدراعات، كثيرة المياه و العيون طيبة الهواء جيدة التربة، يمتاز أهلها من غيرهم بنضارة ألوانهم و تنعم أجسامهم. و مراعيها أنجع المراعى و أصلحها للماشية، يذكر أنه يوجد فى الشاء من شياهم مائتى أوقية شحما، و يصنعون من صوفها أكسية ليس لها نظير فى الجودة مثل العبيدى، يساوى الكساء الجيد منها ٥٠ ديناراً و أزيد. و على مدينة و جدة طريق المار و الصادر من بلاد المشرق إلى بلاد المغرب و سجلماسة و غيرها.

مدينة أجر سيف: مدينة كبيرة لها بساتين كثيرة و هى على نهر ملوية و هو نهر كبير من الأنهار المشهورة، و كانت أجر سيف قرية كبيرة على نهر ملوية حتى خرج المثلثون من الصحراء فنزلوها و مدنوها، و بنوا عليها سورا من طوب.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٧٨

و من مدن المغرب الأوسط المشهورة، مدينة تاهرت: و هى مدينة مشهورة قديمة كبيرة، عليها سور صخر، و لها قصبه منيعه على سوقها تسمى المعصومة. و مدينة تاهرت فى سفح جبل يسمى قرقل، و هى على نهر كبير يأتيها من تاحية المغرب، يسمى منيه، و لها نهر آخر يجرى من عيون تجتمع يسمى تانس، [و منه] تشرب أرضها و بساتينها، و كان لها بساتين كثيرة فيها جميع الثمار، و فيها سفر جل يفوق سفر جل جميع البلاد حسنا و طعما و رائحة. و بلد تاهرت شديدة البرد، كثيرة الغيوم و الثلج، قال أبو بكر ابن حماد يصفها: ما أصعب البرد و ريعته و أظرف الشمس بتاهرت تبدو من الغمام إذا ما بدت كأنها تشر من تحت نفرح بالشمس إذا أشرقت كفرحة الدمى بالسبت

و يقال إن رجلا من أهل تاهرت حج فرأى توقد الشمس بمكة فقال لها و قد أحرقته: احرقى ما شئت فوالله إنك بتاهرت لذيلة.

و قرب هذه المدينة قلعة هواره: و هى قلعة منيعه فى جبل خصيب فيه بساتين و ثمار و أشجار و مزارع، و أعناب، و تحتها فحوص طوله نحو ٤٠ ميلا يشقه نهر سيرات و يسقى أكثر أرضه، يسمى ذلك الفحص سيرات بأسم النهر. و نهر سيرات نهر كبير مشهور يقع فى البحر عند مدينة أزواوا، و هى مدينة قديمة رومية. و فحوص سيرات يسكنه قبائل كثيرة من البربر،

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٧٩

و مطغرة و غيرهم من قبائل زناته، و زناته تتشعب على قبائل كثيرة، و بلادهم واسعة يخالطهم من جهة إفريقية بنو زغبة من العرب من بنى هلال بن عامر، و من جهة المغرب بلاد مسوفة، و هم القبائل كثيرة من صنهاجة، يسكنون بتلك الصحراء لا يستوطنون بلدا، و إنما عيشهم على اللبن و اللحم، و هم خلق كثير. و فى صحارى بلادهم جبل عظيم يعرف بقلقل و هو كثير الخصب و العيون و الأنهار، و فيه آثار عمائر كثيرة، و بيوت محصنة و قرى واسعة لا- أنيس بها و لا يسكنها خلق، و يقال إن الجن أخلت تلك العمائر و البلاد. و يرى فى تلك الصحارى بالليل نيران الجن، و يسمع عزفهم و غناؤهم و هم كثيرا ما يختطفون الأناس و يحملونهم معهم و ربما يفلت

الإنس من بينهم فيرجع إلى أهله فيحدث بما رأى عندهم، وهذا متعارف. و يقال إنهم يبدلون أولاد الإنس، و لذلك يقول أهل إفريقيا: يا مبدول، و قد ذكرنا السر فى ذلك. و بقرب تلك البلاد أرض فجيح، و هى بلاد خصبة، و فيها نخل كثير و تسكنها أمم شتى.

و للمغرب الأوسط مدن كثيرة قد ذكرنا أكثرها فى البلاد الساحلية، و هى كثيرة الخصب و الزرع كثيرة الغنم و الماشية، طيبة المراعى و منها تجلب الأغنام إلى بلاد المغرب و بلاد الأندلس لخصتها و طيب لحومها.

ذكر بلاد المغرب

إشارة

فيه مدن كثيرة، و أقطار واسعة، و عمائر متصلة، يحد بلاد المغرب من آخر المغرب الأوسط إلى بلاد تازا، إلى آخر بلاد المغرب على ساحل البحر الكبير الداخلى من البحر المحيط عند مرسى أزموط طولاً. و أما عرضاً من بلاد طنجة و سبتة إلى بلاد ملوية و أحوازها، و هو أول بلاد سجلماسة إلى الصحراء، و آخر بلاد المغرب.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٨٠

و قاعدة بلاد المغرب مدينة فاس - كالأها الله : هى أعظم مدينة من مصر إلى آخر بلاد المغرب، و مدينة فاس مدينتان كبيرتان مفترقتان، يشق بينهما نهر كبير يسمى بوادى فاس، يدور عليها سور عظيم. و بين المدينتين قناطر كثيرة، و تطرد فيها جداول ماء لا تحصى، تخترق كلتى المدينتين تسمى بالسوانى لا بد لكل دار من ديار المدينتين منها. و فيها عيون كثيرة لا تحصى عدداً، و فيها من أرحية الماء نحو ٣٦٠ رحى، و هى فى المزيد، و ربما وصلت ٤٠٠؛ و النهر الذى يخترق مدينة فاس ينبعث من عين عظيمة لها منظر عجيب، فيها نحو ال ٦٠ فواره، فى دائرة، يجتمع منها هذا النهر الكبير، بينها و بين المدينة نحو ١٠ أميال فى بسيط من الأرض، يكاد لا يتبين جرى الماء فيه لاستواء أرضه.

و مدينة فاس محدثة، أسست عدوة الأندلس فى سنة ١٩٢ [- ٨٠٨]، و عدوة القرويين فى سنة ١٩٣ [- ٨٠٩] فى ولاية إدريس بن إدريس الفاطمى؛ و من ذريته بفاس إلى اليوم و نحن فى سنة ٥٨٧ [- ١١٩١]. و مدينة فاس اليوم فى نهاية العمارة و الصلاح، قد بنيت أكثر جناتها الملاصقة لها دوراً، و أضيفت إليها.

و فيها اليوم ٣ جوامع للخطبة: جامع عدوة الأندلس، و هو جامع كبير متقن البناء، يقال إن ابن عامر زاد فيه، و جامع عدوة القرويين، جامع كبير أكبر من جامع الأندلس، و زيد فى هذه المدة فى هذا الجامع باب كبير مشرف جميل المنظر، [و] من جهة الجوف سقاية متقنة البناء ملاصقة له، ماؤها من الوادى، و جلب لها ماء عين هو فى أيام الحر فى نهاية البرودة، و فى أيام البرد فيها بعض الحرارة. و كذلك صنعت فى جوف جامع القرويين سقاية متقنة البناء، و مياه جارية مع عتبة الباب الجوفى، و فواره فى بيله مرتفعة نصف قامه داخل

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٨١

الصحن، و زيد فيه من جهة الغرب باب كبير، مرتفع البناء على السناء يسمى باب التجارين، كل ذلك فى حدود سنة ٥٧٨ [- ١١٩١]، فكملت منافع هذا الجامع المكرم و شرفت حومته بما شرفه الله تعالى به. و كذلك بقصبة السلطان جامع شريف معظم فيه الخطبة، و أحدثها فيه هذا الأمر العزيز - أدام الله اعتلاءه - لأن القصبة منحازة عن البلد بسور، فوجب أن يكون فيها جامع و فى كل عدوة شريعة لخطبة العيدين. و مدينة فاس كثيرة الخصب و الرخاء، كثيرة البساتين و المزدركات و الفواكه، و جميع الثمار، و لها أقطار واسعة متصلة العمائر. و عدوة القرويين من هذه المدينة أكثرها بساتين و أشجار و مياه و عيون من عدوة الأندلس، و كلاهما خصبة

عظيمة القدر، جليئة الخطر و يقال إن رجال عدوة الأندلس أشجع و أنجد من رجال عدوة القرويين، و نساؤهم أجمل من نساء القرويين، و رجال عدوة القرويين أجمل من رجال عدوة الأندلس. و يقال إن بعدوة الأندلس تفاح حلو يعرف بالأطرابلسى، جليل حسن الطعم و الرائحة، يصلح بها و لا يصلح بعدوة القرويين. و كذلك بعدوة القرويين أترج جليل، وجود بها و لا وجود بعدوة الأندلس، و كذلك سميد عدوة الأندلس أطيب من سميد عدوة القرويين. و هذه المدينة قصبه بلاد المغرب، بل و بلاد المشرق و الأندلس، لا سيما فى هذا الأمر العزيز- أيد الله دوامه- و منها يتجهز إلى بلاد السودان و إلى بلاد المشرق، و منها يحمل النحاس الأصفر إلى جميع الآفاق. قال الناظر هذه المدينة العظيمة، لما كانت على هذا الوضع المتقدم، و فاضت عليها بركة الواضع لها، و هو إدريس بن إدريس العلوى الفاطمى رضه، ترتب على هذا اتساع مكاسب أهلها، و رغد عيشهم، و كثرة تنعمهم، لجمال المدينة، و عظم حماماتها و كثرتها، و هى أصل التنعيم. قال الشاعر:

إذا زفر الحمام، و اشتد غيظه و هاجت لو اعيج به و حميم
رأيت نعيما فى الحميم و راحه و ذاك غريب فى الجحيم نعيم

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٨٢

فعطفت نفوس أربابها، و شمخت أنوفهم، و كبرت همهم. و كان فيها من الولاة المثلثين رجال عظام، عقلاء فضلاء، بادروا إلى مخاطبة الخليفة أمير المؤمنين رضه، و تساعدوا مع الوالى المتصرف بها، فأدخلوا الموحدين أعزهم الله، يوم الاثنين فى العشر الأول من ذى حجة سنة ٥٤٠ [٢٣ مايو ١١٤٥]، و سلمت لهم أملاكهم و أموالهم، و لم تزل أحوالهم تنعم، و أموالهم تتزايد مع الأمن و الدعة و السكون فى ظل أمن هذا الأمر العالى بهدى الله. و من شأن النفوس استدعاء الخيرات لذواتها، و جلب المكاسب و المنافع و المحاماة عليها، و الرغبة فى تحصيلها، و هذا كله من دواعى الشح، و البخل، و المنع، و قلة الجود، و ترك البذل، و لو كان الجود موجودا مع استجلاب المنافع الجسمانية، لما تمكن تحصيلها لطالبها، للمتابعة اللازمة بين الضدين. فلما أحس بهذا من له نباهة، و خاصة الأدباء أظهروا أساليب القوم و أفشوها و خلدوا فيهم عجائب القبائح، مثلما فعل أبو بكر البكى عفا الله عنه، فمن أعجب ما حكى الشيخ العالم الصوفى الزاهد أبو الحسن بن حرزهم رحمه الله عليه، عتبه على ما خلدته فيهم من القبائح، فأطرق البكى ساعة و أنشده.

رأيت جنان عدن فى منامى و حور العين فى أسنى لباس
فقلت بما أحصل بعض هذا فقال إذا هجوت لأهل فاس
فدع عنك الصلاح و كل برفهجوهم يؤمن كل باس

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٨٣

فانظر يا أختي تحديه و تهديه إلى استنزال الشيخ الزاهد بذكره لجنان عدن، و حور العين، إلى أن أصغى له حتى دس فى سمعه هذه الإبرة، و سرت إلى فهمه هذه السمعة الفاسدة، و لو كان عمل الشر مهلكا لفاعله لمجرد لهلك البكى لحينه بأقل منظوماته فيهم، لأن نفوس أهل المغرب مجبولة على الاستنصار، و قيل الحقد مغربى. و على الحقيقة فلا يجب أن يعاب أحد بشيء وضع فى جبلته و إنما يعاب المرء بما يحمله عليه نظره السيئ الفكرة و تخلقه العقبى الكسبى. فهؤلاء قوم وضعوا فى مدينة عظيمة النعيم، رغبة المعاش، و من شأن النفوس جلب المنافع لذاتها، و تحصيل شهواتها و لذاتها، فهم يتأبدون على التحصيل لجميع منافع الشهوانية الجسمانية، فمن كان مثلهم طلبهم بأن يسهموه منها و قدمنا [أن] المنع الجبلى فى طباع البشر، كما فى دفع المطالب له، فلزم طرده و زجره، فنتج من هذا تخليد هذه الشناعات، و قبلتها النفوس المناسبة لها فخلدت، و لو كان الذى يطلبهم غير مثلهم، لما عرج و لا ألتفت إليهم، و هو كما قيل:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالناس أعداء له و خصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسدا و بغيا إنه لدميم
و ذكرنا أنه كان فى الدولة اللمتونية رجال فضلاء، عقلاء علماء حلماء، و شهرتهم فيها أغنت عن ذكرهم . لكنى أردت أن أذكر شيئا
من المدح، و أوصاف المدح و الخير، و شيئا من الذم و أوصاف المذمومين، فمن محبيهم أبو بكر البكى، فهو ممن مدحهم، و
الجوزى، و غيرهم من الأعباء؛

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٨٤

و ممن هجاهم كثيرا و أكثرت الرواة لذلك. و قد قدمت السبب فى ذلك أن من شأن النفوس استدعاء الخيرات لذواتها، و جلب
المكاسب و المنافع، و المحاماة عليها، و الرغبة فى تحصيلها، و هذا كله من دواعى البخل و المنع و قلة الجود، و ترك البذل. قال
الشاعر:

قوم إذا أكلوا أخفوا كلامهم و استوثقوا برتاج الباب فى الدار

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأهمم بولى على النار

قال المؤلف، و موضع وادى فاس بوادى سبو على ٣ أميال من المدينة . و هذا الوادى نهر عظيم من أعظم أنهار بلاد المغرب، و منبعه
من جبل فى بلاد بنى وارتين ، و رأس العين فى بئر غامضة يهاب الدخول فيها، و هى دهسة عظيمة لا يدرك لها قعر . و للبربر
المجاورين لذلك الموضع تجارب منها أن المريض إذا أرادوا أن يعلموا هل هو يستريح أو يموت، حملوه لرأس العين بذلك
الموضع المهول، فيغطسونه فيه حتى يقرب أن يطفى، ثم يخرجونه، فإن خرج على فمه دم فيستبشرون بحياته، و إن لم يخرج من فمه
دم، أيقنوا بهلاكه؛ و هذا عندهم متعارف لا ينكر.

قال الناظر، و يتصيد فى هذا الوادى الشابل الكثير ، و يطلع إلى رأس العين أو قرب منه، و يدخل فى هذا الوادى الحوت الكثير، و
يتصيد فى بعض الأحيان البورى الكبير ؛ و ذكر الثقات أنه بيع واحد ب ١٣ درهما، و رطل كبير منه بدرهم و نصف. و يصل إلى
المدينة الحوت الكبير المسمى عندهم بالقرب يحمله الحمار؛ و أخبرنى الثقة أنه عاين لبيسا

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٨٥

تصيد فيه، زنته ٦٥ رطلا، و نازعنى فى القرب و الشولى فغلبته .

و أخبرنى الثقات أنه كان بمدينة فاس و مكناسة الحوت الذى يسمى بالشولى، و هو ألد ما يوجد من أنواع السمك، تصنع منه الألوان
بأنصاف البقل، فلا تشم له رائحة سمك. و لو كان هذا النهر يخرج فى البطاح، لكنت البلاد التى يسقيها أشرف البلاد و أخصبها، و ما
أسهل خروجه فى بعض المواضع لو تنبه له الأمر العالى، و هذا لا بد منه؛ و هو عنوان فتح ديار مصر، فنيل المغرب مفتاح نيل المشرق،
فيظهر العجائب، و نيلها بعد له قيوم .

قال المؤلف، و بوادى سبو فوق فاس نحو مسيرة يوم، مضيق ما بين جبلين، يسمى ذلك الموضع بتاغيت، معناه بلسانهم الحق ، و ذلك
المضيق نحو مسيرة يومين، و كان من يسكن بقرب تلك الحوافى، إنما يعبر الوادى فى زنبيل معلق بين الجانين فى جبل قد شد طرفاه
فى الحافتين، يسع ذلك الزنبيل نفسين و ثلاثة، و على ذلك المعبر جبل من الضفتين جميعا، فإذا دخل الزنبيل جذبته أهل الضفة
الأخرى إليهم، و بين الزنبيل و بين الماء مهوى بعيد. قال الناظر، و رأيت مضيقا فى وادى و انسيفن بين معدن عرام و بين قلعة مهدى
ببلد فزاز ، ينحدر الوادى كله فى سعة بلاط قدره ٢٠ شبرا أو نحوها، و عليه قنطرة محدثة و عليها لوح كبير؛ و هذا الوادى هو
المعروف بأم ربيع، و هو مثل وادى سبو، و لو عاينه أهل الأمر، أدام الله نصرهم، لأحدثوا عليه قنطرة على قوس واحد مثل قنطرة
السيف المشهورة . و بمثل هذه الآثار تفتخر الملوك، فهى من أعظم منافع البشر. قال الناظر، و بالقرب من مدينة فاس غربى عدوة

القرويين، موضع يعرف بالشيخ يقال إنه ساخ بأهله. الإستبصار فى عجائب الأمصار ؛ النص ؛ ص ١٨٥

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٨٦

و بالقرب منها أيضا قلعة يقال لها قلعة زيد، فيها مسجد يقال إن عقبه بن نافع بناها، و فيها شجر زيتون، يذكر من يسكن بقرب ذلك المسجد أن كل دابة من حمار أو ثور أو جمل أو غير ذلك من الدواب، إذا دخله و أكل من ورق الزيتون مات؛ لا يشكون فى ذلك، و هو عندهم متعارف.

و بين مدينة فاس و مدينة تلمسان، مسيرة عشرة أيام فى عمائر متصله. و قد ذكرنا أن آخر بلاد المغرب الأوسط و أول بلاد المغرب بلاد تازا، و هى جبال عظيمة حصينة كثيرة التين و الأعناب و جميع الفواكه، و أكثر شجرها الجوز، و هو يوجد بها كثيرا. و يسكنها قبائل من البربر يعرفون بغياتة و قد بنى ببلاد تازا فى هذه المدمة مدينة الرباط، و هى مدينة كبيرة فى سفح جبل مشرفة على بساطه، يشقها جداول المياه العذبة، و عليها سور عظيم، و قد بنى بالجير و الحصى، يبقى مع الدهر. و هى فى فسحة على ٦ أميال ما بين جبال ينصب إليها من تلك الجبال مياه كثيرة، و أنهار تسقى جميع بسايتها فى أعلاها و أسفلها، و لها نظر كبير، كثير الزرع و جميع الفواكه و الخيرات، و لا أعلم ببلاد المشرق و المغرب بلدا أخصب منها و لا أكثر فوائد. و أسست هذه المدينة من نحو ٢٠ سنة، فى حين توجه الخليفة رضى إلى فتح بلاد بنى الناصر و شيدت سنة ٥٦٨ [١١٧٢-١١٧٣] مدينة الرباط على الطريق المار من بلاد المغرب إلى بلاد المشرق، و تسمى مكناسة تازا. و مكناسة قبيلة كثيرة من البربر سكنوا هناك، يسمى الموضع بهم. و تحت مدينة الرباط بنحو الميل بركة كبيرة يذكر أنها تتصل بالبحر من تحت الأرض، و قيل إنه رثى فيها فى بعض الأزمان دابة من دواب البحر؛ و يقال إن ماء هذه البركة يحمر فى بعض الأوقات حتى يعود كالدم، أخبرنى بذلك رجل من الثقات الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص:

١٨٧

الساكين عليها. قال المؤلف، و من الجبال المشهورة ببلاد المغرب فازار، و هو جبل كبير تسكنه أمم كثيرة من البربر، و يطردهم الثلج عنه فينزولون إلى ريف البحر الغربى. و هم أهل كسب من الغنم و البقر و الخيل؛ و خيل هذا الجبل من أعتق الخيول لصبرها و خدمتها، و هى مدورة القدود حسنة الخلق و الأخلاق؛ و لحوم غنمها أطيب اللحوم و كذلك أسمانها. و فى هذا الجبل أنواع النبات من العقاقير التى تنصرف فى العلاجات الرفيعة، و فيه خشب الأرز العتيق العالى، و هى مأوى القرده، عاينتها تشب من الأرزة لأخرى و هى فى الجو الأعلى. و فى هذا الجبل قلعة كبيرة تنسب للمهدى بن توالى الجيفشى، و هى فى نهاية المنعة، أقام عليها عسكر اللمتونيين ٧ أعوام، و بناؤها بالألواح. و إليها كان تغرب المعتمد بن عباد، فقال متمثلا حزينا بنقض العهود لبلد أهله يهود، و بناؤه عود، و جيرانه قروود، و كان اليهود فى ذلك التاريخ أكثر سكانه، لأنهم سوقه فيلجؤون للحصن حيطه على سلعمهم.

و من نظر مدينة فاس إلى جهة الغرب مدينة مكناسة الزيتون :

و هى أربعة مدن و قرى كثيرة متصله بالمدن و الحصون. المدن منها تافرات و تفسيره المحلة، و هو محدث البناء و هو مشرف على بطاح و بقاع مملوءة نفيضات الثمار، و أكثرها الزيتون فسميت به. و هذه المدينة عليها سور كبير و أبراج عظيمة، و هى مدينة جليلة فيها أسواق حفيلة، و أحدث فيها الأمر العالى - أيد الله دوامه - بحائر عظيمة فى نهاية من الاتساع، و جلب لها ماء نهرها، و أمر بغرسها زيتونا و كروما،

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٨٨

فزيناها أكثر زيت فى جميع المغرب. و بعده زيت النظر الكبير المسمى بنى بسيل و مغيلة و جهاتها، و فيها اليوم تسع خطب: فى الحصن خطبة، و فى المدينة المسماة السوق القديم خطبة، و فى تاورا خطبة، و فى أولاد عطوش خطبة، و فى أولاد برونوس خطبة، و فى بنى موسى خطبة، و فى بنى زياد، و فى بنى ورزيعه و فى بنى مروان، و نحن فى سنة ٥٨٧ [١١٩١].

و هى من البلاد العتيقة المجيدة لو كان بها خدمة لغلاتها، فإن أرضها كريمة، طيبة المزارع كثيرة المياه، و بركات هذا الأمر العالى تعيش الموتى فكيف من فطر على الحياة الطبيعية. و هى من عز بلاد المغرب لها أنظار واسعة، و قرى عامرة، و عمائر متصله، تشقها الأنهار و المياه السائحة و العيون الكثيرة، و تطحن عليها الأرحية، و تحم بها الحمامات، إلا- أن فى صبيانها دعاره و سفاهة لأنهم

أكثرهم حاكة يصنعون أشغالهم فى بيوتهم، فإذا خرجوا إلى الفضاء الواسع حركتهم طباعهم الذميمة، فلا يعرفون إلا تجرد الشررة، سيما من كان منهم يجد زعامه فى نفسه أو نجده فى بدنه. و ميتها طعمة للجرذان .

قال المؤلف، و من المدن المعمورة و العمائر من فاس إلى طنجة بلد جنيارة : و فيه قرى كثيرة عامرة زرعاً و ضرعاً فى جبل سهل أبيض مثل الطيلسان، و يسمى الجبل الأشهب، و قل ما تخلف أرض جنيارة لا فى خصب و لا فى جذب . سأل رجل أراد أن يقتنى ضيعةً ببلاد المغرب شيخاً من العارفين، فقال له: عليك ببلد جنيارة فإنها مثل الدجاجة إن أصابها ديك أتت بالديك ، و إن لم يصبها ديك أتت بالبيض، تحتك بالغبار و تلد. و منه إلى نهر ردادت مرحلة، و هو نهر كبير فى أصل جبل و فى أعلاه.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٨٩

مدينة- كرت : و كانت مدينة كبيرة حصينة كثيرة الخير على نظر كبير، يعمرها قبائل من البربر يقال لهم بياتة، و هى اليوم قرية عامرة. ثم منها إلى مدينة البصرة ، مدينة كبيرة على ربوة مشرفة على بسائط و نظر واسع، كثيرة الزرع و الضرع ليس بتلك النواحي أوسع مرعى منها، و بكثرة ألبانها كانت تعرف ببصرة الألبان . و تعرف أيضا ببصرة الكتان، لأن أهلها كانوا يتبايعون بالكتان؛ و كانت تعرف بالحمراء لحمرة تربيتها. و كان عليها سور مبنى بالحجارة و الطوب يحمر من بعيد، و كانت لها ١٠ أبواب. و نساؤها مخصصات بالجمال الفائق، و الحسن الرائق، لم يكن ببلاد المغرب أجمل منهن.

مدينة قصر صنهاجة : و هى على تل و تحته نهر لكس تدخله المراكب، و تعرف بقصر عبد الكريم، و كان من أشياخ كتامة القاطنين هناك فرأس فيهم و أستوطن ذلك الموضع. و كانت فيه آثار قديمة، فبنى فيه داراً سميت قصراً لعدم القصور بتلك الجهات، و أحدث الأمر العالى فى موضعه فى هذه المدة فندقين عجيبين، و تمدن هذا الموضع، و شرف و قصده التجار و أستوطنوه. و مصب واديه فى البحر على ١٥ ميلاً- أو نحوها؛ على المدخل حصن كبير قديم يسمى تشمس قدمنا ذكره . و كان إدريس بن القاسم بن ابراهيم العلوى قد أحيا سمه و أظهره فهو إلى الآن معمور و يسكنه المتعيشون من البحر، و هو كثير الأمراض و بى الهواء و خم الماء، و منه تشحن المراكب بالزرع.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٩٠

قلعة ابن جندوب : و كانت مدينة كبيرة فيها أسواق، و لها جنات و أشجار، و هى كثيرة الزرع و الضرع و منها إلى طنجة و قد ذكرناها. قال المؤلف، و هذه البلاد كلها فى هذا الأمر العزيز بحمد الله مشحونة بالعمائر، متصلة المحارث و المزارع فى السهول و الجبال، منها جبل زالغ و هو مشرف على مدينة فاس، كان فيه حصن بناه المظفر بن المنصور بن أبى عامر.

ثم إلى عقبه الأفارق، ثم إلى نهر سبو حيث محجة القوافل، و هو نحو ال ٣٠ ميلاً فى عمائر متصلة، و قرى حصينة مانعة كثيرة الزرع و الضرع، ثم من نهر سبو إلى نهر ورغة إلى قصر كتامة المذكور فى عمائر متصلة. و طريق أخرى على جبل غمارة، و ذلك أنك إذا أقمت من وادى سبو، أخذت على يمينك فى عمائر متصلة إلى مدينة تاودا، و كانت مدينة كبيرة أسسها المثلثون، ليملكوا منها جبل عمارة لتتابع نفاقه عليهم، و كان يسكنها ولاة المغرب منهم بالعسكر. و كانت فى أيامهم معمورة بالمبانى الحسان و القصور المنيعة. و هى على وادى و ورغة و حوالها قبائل، و هى على قطر واسع كثير الزرع و الضرع، و عليها جبل منيف فيه حصن كبير من بناء المثلثين يسمى أمرجوا، و هو مبنى بالحجارة و الجير لا يقدر أحد على هدم شئ منه إلا بالمشقة؛ و فى أعلى الجبل الماء الكثير. و جبل عمارة من أخصب جبال المغرب، و هو من الجبال المشهورة، يسكنه قبائل كثيرة من غمارة و هم أمم لا تحصى؛ و فى هذا الجبل بسائط كثيرة لا تحصى للحرث، و مدن قديمة، و آثار كثيرة للأوائل، تنبئ أن عمارته قديمة أزلية. و طول هذا الجبل مسيرة ٦ أيام و عرضه نحو ٣ أيام، و هو الآن كثير العمارة تشقه الأنهار و المياه السائحة، ففيه غياض و أودية و منتزهات لا توجد فى غيره من الأماكن، و هو كثير الأعناب و الفواكه

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٩١

والعسل والضرع؛ وفيه جبال قد لحقت بأعنان السماء علواً، و حصون كثيرة تمتنع فيها غماره، و تنفق على الولاة، بذلك عرفوا حتى كسر الأمر العزيز شوكتهم، و أباد شرارهم و استأصل شأفتهم. و لأهل هذا الجبل مذاهب شتى، و سير مختلفة، و قد تنبأ عندهم إنسان يعرف بحاميم بن من الله و لقب بالمفتري . و الجبل الذى تنبأ فيه ينسب إليه و هو جبل حاميم على مقربة من تيطاوان، و أجابه بشر كثير من غماره، و أقرؤا بنبوته. و وضع لهم قرآنا بل شريعة أستهوهم برخصها، فرد لهم الصلاة صلاتين عند طلوع الشمس و عند غروبها، يسجدون على ظهور أكفهم . و وضع لهم قرآنا بلسانهم تفسيره: خلنى من الذنوب يا من يخلنى النظر ينظر فى الدنيا، خلنى من الذنوب يا من أخرج من موسى من البحر. و فيه : آمنت بحاميم و آمنت بأبى يخلف و هو والد حاميم و اسمه من الله، و فيه : آمنت بتاليت ، و كانت عمه حاميم كاهنة ساحرة. و كان لحاميم أخت تسمى دبو ، و كانت ساحرة كاهنة و كانوا يستغيثون بها فى كل حرب و ضيق. و كان حاميم فرض عليهم صوم يوم الخميس كله، و صوم يوم الأربعاء إلى الظهر، فمن أكل فيهما غرم ٥ أثوار لحاميم. و وضع لجمعهم صوم ٢٧ يوماً من رمضان، و جعل عيدهم فى ثانى يوم فطرهم، و فرض عليهم الزكاة العشر من كل شىء، و أسقط عنهم الحج و الطهر و الوضوء؛ و أحل لهم أكل أنثى الخنازير و قال لهم إنما حرم قرآن محمد الذكر، و حرم عليهم الحوت حتى يذكى، و حرم بيض كل طائر . و نظم عبد الله الكفيف الطنجى يهجو:

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٩٢ و قالوا افتراء إن حاميم مرسل إليهم بدين واضح الحق باهر

فقلت كذبتكم بدد الله شملكم فما هو إلا عاهر و ابن عاهر

فإن كان حاميم رسولا فإننى بإرسال حاميم لأول كافر

روى عن عجوز ذات إفك ذميمة تقارن فى أسحارها كل ساحر

أحاديث إفك حاك إبليس نسجها يسرّونها كتما و بئس السرائر

و جهز إليه الناصر المروانى من قرطبة عسكريا، فالتقت معه بأحواز طنجة سنة ٣١٥ [٩٢٧-] فهزم و قتل لعنه الله، و حمل رأسه لقرطبة. و يقال إنه كان فى بعض جبال مجسكة من بلاد غماره رجل كان من السحرة المهرة يعرف بأبى كسيه، و كان أهل موضعه يسمعون منه و لا يعصونه طرفه عين؛ فإن عصاه أحد منهم أو خالفه، حول كساه الذى يلتحف به فيصيب ذلك الإنسان فى ماله أو بدنه أو كليهما صائبة و عاهة، و إن كانوا جماعة أصابهم مثل ذلك، و كان يخيل إليهم كأن برق تلوّح من تحت كسائه. و لبيته اليوم و عقبه فى تلك الناحية مزية و حظوة على من سواهم.

و من عجائب غماره أن عندهم قوما يعرفون بالرقادة، يغشى على الرجل منهم يومين و ثلاثة فلا يتحرك و لا يستيقظ، و لو بلغ به أقصى مبلغ من العذاب حتى يقطع قطعاً، فإذا أستيقظ من غشيته كان كالسكران طول يومه لا يتجه لشىء و لا يخبر بشىء، فإذا كان بعد يوم، و صح ، أتى بعجائب و غرائب مما يكون فى ذلك العام من خصب أو جذب أو فتنة أو هدنة، و غير ذلك من الكوائن و الأحداث، و هذا عندهم مستفيض مشهور.

و كان ببلد غماره الموارد مشهورة متعارفة يفتخر بها نساؤهم ، و ذلك أن الرجل إذا دخل بامرأته البكر و اربها شبان أهل ناحيتها، فإن رآها جميلة حسنة احتملها و أمسكها عن زوجها شهراً أو أكثر ثم ردوها، و ربما فعل ذلك مرارا على قدر جمالها و مقدار الرغبة فيها. و لا يتم إكرام الضيف عندهم إلا بأن يؤنسه بنسائهم الأيامى منهن: بيت الرجل مع ضيفه أخته إذا كانت ثيبا أو ابنته أو من لم تكن ذات زوج من نسائه. و هم يرغبون فى الرجل الجميل أو الشجاع أن يأخذوا منه نسلا، و لا يتركون ذا عاهة يستقر ببلدهم،

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٩٣

و يقولون إنه يفسد النسل. و بلد غماره جميل كبير، و كانت لهم فيما سلف شعور طوال يسد لونها كشعور النساء، و يتخذونها ضفائر و يطبونها و يهتمون بها كثيرا حتى دخل الإسلام بلادهم و تخللها فألجأتهم الضرورة إلى التشمير و التوعر فى الجبال الشامخة فحلّقوا رؤوسهم، و ورث ذلك الأبناء عن الآباء .

قال المؤلف، و من المدن و العماثر من مدينة فاس إلى سجلماسة حرسها الله، مدينة صفروى : و هى مدينة لطيفة قديمة عليها سور، ذات أنهار و مياه جاربية و لها جنات كثيرة الفواكه و الأعناب، و أكثر شجرها اللوز و منها يحمل إلى فاس و غيرها. و منها إلى فاس مرحلة، و منها إلى تاسغمرت و هو بلد خصب فيه قرى كثيرة و عمائر متصلة، و منه يدخل إلى بلاد سجلماسة بعد أيام. و لها طريق آخر من قابس إلى لواتة مدين، و هو بلد خصيب على نهر سبو، و له قصبه منيعه، منها إلى فاس مرحلة؛ ثم إلى مغيلة القاط، و هو حصن كبير له سوق حافلة و جامع، و هو كثير الأنهار و منه يحمل التين المزبب إلى مدينة فاس و غيرها؛ و منه إلى مطماطة أمكسور، و هو بلد كبير على نهر ملوية، كثير الزرع و الضرع. و نهر ملوية كبير مشهور فى أنهار بلاد المغرب، و عليه نظر واسع، و فيه قرى كثيرة، و عمائر متصلة تسقى كلها من نهر ملوية، و بعده نظر سجلماسة. و كانت مدينة فاس دار مملكة بنى إدريس العلويين، و ملكوا منها بلاد المغرب إلى أقصى بلاد السوس طاعة فى معصية، و كانت فى أيامهم دولة برغواطة الذين تدينوا بديانة الغوى صالح بن طريف البرباطى، و سيأتى ذكره بعد هذا. و ملك العلويون بعض بلاد الأندلس، و تسموا فيها بأمر المؤمنين، و خطب لهم فيها بالإمامة .

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٩٤

دخول العلويين بلاد الغرب

ذكر أبو الحسن على بن محمد بن سليمان النوفلى أن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضه انهزم فى وقعة فخ سنة ١٦٩ [٧٨٦-]، فاستتر مدة، و ألح السلطان فى طلبه و ضاقت عليه المذاهب، و رغب فى الهروب من بلاد المشرق فخرج معه راشد، و كان من موالى العلويين، و أصله من البربر لثيوه فى قومه، و يأمن من عدوه. و كان راشد عاقلا شجاعا أبدا، ذا فهم و لطف و حزم، فخرج به فى غمار الحاج و غير زييه و ألبسه مدرعة من وحش الثياب و صيره كالغلام يخدمه، و إن أمره أو نهاه أسرع. فسار به مستخفيا من موضع إلى موضع حتى قربا من بلاد إفريقية، فترك الدخول به فى بلاد إفريقية، و سار به إلى بلاد البربر حتى انتهى إلى بلاد فاس و طنجة، فنزل به فى مدينة و ليلي، و كانت مدينة رومية قديمة بطرف جبل زرهون فى الغرب منه؛ و تسمى الآن تيسرة. فنزل بها على اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربى، و كانت أوربة آن ذاك من أعظم قبائل بلاد المغرب، و كانت لها مدن كثيرة منها مدينة سكوما، و كانت على مقربة من فاس، و كانت مدينة عظيمة لم يكن بالغرب أعظم منها. يقال إن موسى بن نصير لما دخل بلاد المغرب، نازل مدينة سكوما و حصرها حتى افتتحها عنوة، و أخذ فيها سبيا كثيرا، و كتب إلى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان يقول له: قد بعثت إليك بسبى مدينة سكوما، و هو مائة ألف رأس؛ قيل فكتب إليه الوليد بن عبد الملك: و يحك أظنها من بعض كذباتك، فإن كنت صادقا، فهذا حشر الأمم؛ و كذلك يقال إنه قتل فيها ما لا يحصى له عدد. و كان اسحاق الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٩٥

ابن محمد الأوربى معتزلى المذهب فوافقه إدريس على مذهبه، و أقام عنده، و أمر اسحاق قبيلته بطاعته و تعظيمه. و كان ذلك فى خلافة هارون الرشيد أمير المؤمنين، فوصله خبره، فغمه ذلك، فشكا ذلك إلى يحيى بن خالد، فقال له أنا أكفيك خبره يا أمير المؤمنين. ثم أرسل إلى سليمان بن جرير الجزيرى و كان رجلا من ربيعة متكلم ممن يرى رأى اليزيدية متعصبا لآل أبى طالب، و كان جلدا شجاعا، أحد شياطين الإنس و كانت له إمامة فى اليزيدية، و هو الذى جمع الرشيد بينه و بين هشام بن عبد الحكم حين ناظره فى أمر الإمامة، و لذلك قصة طويلة. قال فأرغبه يحيى بن خالد فى المال و وعده عن نفسه و عن أمير المؤمنين بمواعيد عظيمة، و دعاه إلى قتل إدريس، و التلطف فى أمره.

فأجابته إلى ذلك و أعطاه مالا جزيلا و دفع إليه قارورة فيها غالية مسمومة، و وجه معه رجلا من ثقافته. فانطلق سليمان مع صاحبه، فلم يزالا يتغلغلان فى البلاد حتى وصل إلى إدريس، و كان إدريس عالما برياسة سليمان باليزيدية، فلما وصل إليه قال: إنما جئتكم

بنفسى و حملتها على ما حملتها عليه لمذهبي فيكم أهل البيت، فجتتكم لا فى حاجة إليكم إلا لأنصرك بنفسى؛ فسرّ إدريس بقوله، و قبله أحسن قبول، فأحسن نزله و أكرم مثواه و أنس به. فكان سليمان يجلس فى مجالس البربر و يظهر الدعاء إلى ولد رسول الله صلعم، و يحتج لأهل البيت كاحتجاجة بالعراق. فأعجب ذلك إدريس منه، و مكث عنده مدة، و هو يطلب الغرة فيه و يرتصد الفرصة فى أمره، فدخل عليه سليمان و معه القارورة، فلما انبسط إليه إدريس و أخلى له وجهه، قال له سليمان:

جعلنى الله فداك، هذه القارورة فيها غالية ربيعة أو صلتها معى و أعلم أنه ليس ببلدك طيب فجتتكم بها، و وضعها بين يديه؛ ففتحتها إدريس و شمها و تخلق بها. و قيل أخرج سكيناً، و قطع به تفاحة، و أعطاه النصف الذى يلى الجهة المسمومة من السكين، ثم انصرف سليمان إلى صاحبه و قال له قم، قد تم مرادنا لنا، و قد كان أعد فرسين فركباهما، و خرجا يطلبان النجاة. فلما وصل السم إلى خياشيم إدريس، و تغلغل فى دماغه سقط مغشياً عليه لا يعقل، و لا يدري من يحتضر به من أهله و حاشيته ما شأنه. قال فبعثوا إلى راشد فجاء مسرعاً

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٩٦

و تشاغل فى معالجته، و تحيروا فى أمره. و قطع سليمان مع صاحبه بلادا كثيرة فى تلك المدة، قيل فبقى إدريس فى غشيته عامة نهاره و ليله، تضرب عروقه حتى مات رضى الله عنه. فتبين لهم أمر سليمان بن جرير، قال فركب راشد فى طلبه مع جماعة من أصحابه فجد السير حتى لحقهما جده، لأن فرسه صبر أكثر من خيل أصحابه فأدركهما؛ فشد عليهما راشد، ففر صاحب سليمان و لم يغن شيئاً، فضرب راشد سليمان ثلاث ضربات بالسيف على وجهه و رأسه، كل ذلك لا يصيب مقتلاً، مع دفع سليمان عن نفسه، و عجز فرس راشد عن إدراكه. فلما رجع عنه راشد، نزل فعصب جراحاته، و سار حتى لحق بالمشرق. قال أبو الحسن النوفلى: فحدثنى من رآه بالعراق بعد ذلك مكتع اليد. قال النوفلى: كانت مدة إدريس الواصل من المشرق التى أجابته فيها البربر إلى أن مات بوليلى سنة ١٧٥ [٧٩١ -] ثلاثة أعوام و ستة أشهر.

قال أبو الحسن: و مات إدريس و لا ولد له و ترك جارية من جواريه حبلى، فقام راشد بأمر البربر حتى ولدت الجارية غلاماً فسماه باسم أبيه، و قام بأمره، و أحسن تاديبه. و توفى راشد فقام بأمر الغلام أبو خالد يزيد بن الياس، و أخذ له بيعة البربر سنة ١٩٢ [٨٠٨ -]؛ ثم مشى إدريس بن إدريس نحو فاس فاستوطنها و اتخذها دار مملكة. و توفى إدريس بن إدريس و هو ابن ٣٣ سنة، و كانت منيته بحبة عنب اختق بها، فلم يزل مفتوح الفم سائل اللعاب حتى مات.

و ترك من الولد ١٢ ذكراً، فكان المتولى للأمر من بعده ابنه محمد بن إدريس، فاستوطن مدينة فاس؛ و فرق البلاد على إخوانه، و فعل ذلك برأى جدته كتره أم إدريس. و يقال إنه خالف عليه بعض إخوانه، و كانت بينهم حروب يطول وصفها. ثم توارث الملك بنو إدريس بالمغرب، يأخذه الخلف عن السلف؛ و جاز منهم إلى جزيرة الأندلس على بن حمود. و كان فيما يذكر يميل إلى الفتوة، فاغتاله فتيان من الصقالبة فى حمام قرطبة فقتلوه،

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٩٧

و قتلوا به. و ترك من الولد يحيى و إدريس، فولى عهده يحيى و كان صاحب بلاد المغرب: فاس و غيرها، و جعل إدريس بمدينة مالقة. فلما قتل على بن حمود و كان الابن غائبين، استدعى البربر أخاه القاسم بن حمود، و أدخلوه القصر بقرطبة، و بايعه الناس و خطب له بالخلافة، فوصل الجند إلى ابن أخيه يحيى و هو بالمغرب، فأنف من ذلك لما كان عهد إليه أبوه، فبعث إلى أخيه إدريس بمالقة و جاز إليه فتركه مستخلفاً بمدينة فاس و بلاد المغرب، و عبر يحيى إلى الأندلس لطلب حقه عند عمه القاسم. فلما قرب من قرطبة هرب عمه القاسم و بويع يحيى بقرطبة و يسمى بالمعتلى؛ ثم إن البربر اضطربوا فهرب من قرطبة إلى مالقة، و رجع عمه القاسم إلى قرطبة و تسمى بالمأمون.

ثم أخرجه ابن أخيه يحيى من قرطبة مرة ثانية، فمشى إلى إشبيلية، و سكن بها حتى أخرجه محمد بن عباد؛ فسار إلى شريش، و نزل

عليه يحيى، و حصره بها حتى أخذه بها مع بنيه و سجنه. و استوثق الأمر ليحيى بن على حتى قتل سنة ٤٢٧ [١٠٣٦-]، و قام زناته على أخيه إدريس بالمغرب، و ملكوا مدينة فاس و غيرها فسكن إدريس بسبته، فلما وصله موت أخيه يحيى خطب له بالخلافة و تسمى بالعزير بالله، ثم عبر البحر إلى مالقة، و خطب له بالخلافة فيها، ثم اتصلت الفتن حتى انقطعت دولة بني إدريس من بلاد المغرب.

ذكر ارتداد برغواطى و من دخل معهم من قبائل البربر فى الإسلام، و السبب فى ذلك

قال الناظر، دخل بلاد تامسنا رجل اسمه صالح بن طريف، و أصله من برباط الأندلس يهودى النسب من سبط شمعون، و كان رحل إلى المشرق، و قرأ على غيلان القدرى و رأى من السحر كثيرا، فدخل إلى بلاد تامسنا، فوجد فيها من زناته قوما جهالا، و كان ذلك سنة ١٢٣ [٧٤١-]. فأظهر الإسلام و النسك حتى استفز عقولهم، فولوه على أنفسهم، فلما ولى شرع الديانة التى أخذوها عنه، و أنا أذكرها.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٩٨

قال المسعودى و البكرى و غيرهما من المؤرخين إنه كان يقول إنه صالح المؤمنين الذى ذكره الله فى قرآن محمد. و عهد صالح إلى ابنه إلياس بديانته و علم شرائعه و فقهه فى دينه، و أمره بالأبى يظهر الديانة حتى يظهر أمره و ينتشر ذكره فيقتل حينئذ من خلفه، و أمره بموااة أمراء الأندلس. و خرج صالح إلى المشرق و وعد ابنه أنه يرجع فى دولة السابع من ملوكهم، و زعم أنه المهدي الأكبر الذى يكون فى آخر الزمان لقتال الدجال، و أن عيسى بن مريم يصلى خلفه، و أنه يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا.

و ذكر فى ذلك كلاما نسبه إلى موسى، و إلى سطيح الكاهن و إلى ابن عباس و زعم أن اسمه بالعربى صالح و كذلك فى السريانى، و أوربا بالعبرانى و ورى و رابا بالبربرى. و تأول قول رسول الله صلعم: «لا نبى بعدى» فأوله بضم الياء من نبى، و قال اسمى لا و أنا نبى بعده. فولى إلياس الأمر بعد خروج أبيه إلى المشرق بدعوة الإسلام و كتم الشريعة التى عهد إليه أبوه خوفا و تقيء، و لم يظهر شيئا من ديانته إلى سنة ٧٣ [١] [٧٨٩-٧٩٠]، فكان ملكه ٥٠ سنة. فولى بعده ابنه يونس، فأظهر ديانتهم و دعا إليها، و قتل من خالفها إلى أن مات سنة ٧٥ [١] [٧٩١-٧٩٢]، فولى بعده أبو عفير معاد بن يونس ابن إلياس بن صالح بن طريف، و أظهروا ديانتهم و اشتدت شوكتهم، و كانت له وقائع كثيرة فى البربر؛ و كانت له من الزوجات ٤٤ زوجة. و مات أبو عفير سنة ٢٣٠ [٨٤٤-٨٤٥] و ولى ابنه أبو جعفر حفص، و لم يزلوا يتداولون هذه الديانة إلى غزو عبد الله بن ياسين الجزولى إياهم، فملك منهم سبعة و فبت دولتهم سنة ٤٩٩ [١٠٥٧-]. و لما كان أصل هذا الشيخ الملعون من برباط قيل لكل من دخل فى دينه برباطى فأحالتها العرب بألسنتها فقالت برغواطى، فمن أجل هذا سموا برغواطى، و إنما أصلهم زناته و هم أعلم عباد الله بالسحر مما أخذوا عن أسلافهم.

و أما الضلال الذى شرع لهم فإنهم يقرون بعد الإقرار بالنبيين بنو صالح ابن طريف و من يتولى الأمر من بعده، و أن الكلام الذى وضع لهم وحي من الله لا يشكون فيه؛ و يصومون رجب، و يأكلون رمضان، و أن الفروض عليهم

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ١٩٩

خمس صلوات بالليل و ٥ صلوات بالنهار؛ و أن الأضحى واجبة فى ١١ من المحرم؛ و فى الوضوء غسل السرة و الخاصرتين، ثم الاستنجاء ثم المضمضة ثم غسل الوجه ثم غسل العنق و القفا ثم غسل الذراعين من المنكبين و غسل الرأس ٣ مرات، و مسح الأذنين ثم غسل الرجلين؛ و بعض صلواتهم إنما يسجدون و بعضها على هيئة صلاتنا. و يسجدون ٥ سجادات، و يرفعون جباههم و أيديهم عن الأرض و يضع يده اليمنى على اليسرى و يقولون باسم باكش تفسيره: باسم الله؛ مقر ياكش مقر يتجتن، تفسيره: العظيم الله العظيم الأعمال.

و يضعون أيديهم مبسوطة على الأرض طول ما يشتهون، و يقرءون نصف قراءتهم فى وقوفهم، و نصفا فى ركوعهم، و يقولون فى تسليمهم بالبربرية:

اللّه فوقنا لم يغب عنه شئ فى السماء ولا فى الأرض، ثم يقولون بعد التسليم:

الواحد اللّه، وردام ياكش معناه: لا شئ مثله. و يأخذون فى الزكاة العشر من جميع الثمار ولا يأخذون من المسلمين شيئاً؛ و يتزوج الرجل من النساء ما قدر عليه، ولا يتزوج من بنات عمه إلا ما يحلوا من النساء و يطلقون و يراجعون.

و يقتلون السارق الذى عندهم، و على من قتل فدية من البقر، و رأس كل حيوان عندهم حرام، و الحوت لا يؤكل حتى يذكى، و يرجم الزانى عندهم، كان بإقرار أو بشبهة. و الديكة عندهم حرام، و الدجاجة مكروهة إذا اضطر إليها. و لا إقامة للصلاة عندهم، و يقتدون فى الأوقات بصياح الديكة؛ و يبصق فى أيديهم فيتلقونه تبركا به و يحملونه إلى مرضاهم فيستشفون به.

و كان الضلال الذى وضع لهم هذا ٨٠ سورة منسوبة بأسماء النبيين و غيرهم ففيها: سورة آدم و سائر النبيين المشهورين، و فيها سورة أيوب، و سورة يونس و سورة فرعون، و سورة الديك و سورة الحجل، و سورة الجرادة و سورة الجمل، و سورة هاروت و سورة ماروت، و سورة الحشر، و سورة غرائب الدنيا، فيها علمهم؛ و صلوات اللّه و سلامه على أنبيائه و رسله و ملائكته تتجدد إلى يوم الدين.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٠٠

ذكر كلمات هى استفتاح كتابهم؛ فمما ترجم منه: بسم اللّه الذى أرسل رسله إلى الناس و هو الذى بين لهم مع أخباره علم إبليس، أبى اللّه أن يعلم إبليس ما علم اللّه رسله من شئ، و يقبل الألسن فى الأقولة ليس يقبل الألسن فى الأقولة إلا لا إله إلا اللّه، بقضائه نطق اللسان الذى أرسل اللّه بالحق إلى الناس، و به استقام الحق و أنار. محمد كان حين عاش استقام الناس للدين فلما مات فسد الدين، كذب من يقول إن الحق استقام و ليس ثم رسول. و هى سورة طويلة، و لولا- خروج الكتاب عن قصدنا لذكرنا قراءتهم، و شرحنا ديانتهم و بينا كفرهم.

ذكر القبائل الداخلىين فى هذه الديانة: برغواطية، و جراوة، و زغاوة، و زواغة، و البرانس، و بنو أبى قاض، و نجطية، و بنو و اعم، و مطغرة، و بنو يوزغ، و بنو دمر، و مطماطة، و بنو واكست، و بنو تاسليت.

و من تدين لهم من المسلمين: زناتة الجبال، و بنو تليت، و بنو وانسيت، و بنو تانيت. و لم يزالوا على تلك الديانة إلى عام ٤٥٢ [-] ١٠٦٠.]

مدينة تادلا: هى مدينة قديمة فيها آثار للأول، و بنى فيها المثلثون حصنا عظيما منيفا، و هو الآن معمور، فيه الأسواق و الجامع. و البلد كله كثير الخيرات و الأرزاق، و أحاطت به القبائل من كل الجهات، فهو حقيق بالمملكة؛ و الأمر العزيز أدام اللّه دوامه ملتفت له محتاط عليه.

مدينة ثلث: هى مبسوطة بين القبائل القبيلىة، و عليها تمر القوافل، و فيها حصن منيع رتبت فيه الجند، و عمره الوالى، و حوله الأعناب الكثيرة و الثمار، و المياه المطردة، و العمائر.

مدينة سجلماسة: مدينة عظيمة من أعظم مدن المغرب، و هى على طرف الصحراء لا يعرف فى قبليها و لا غربيها عمران؛ بينها و بين غانة صحراء

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٠١

مسيرة شهرين فى رمال و جبال غير عامرة قليلة الماء، يسكنها قوم من مسوفة رحالون لا يستقر بهم مكان، ليس لهم مدن و لا عمارة يأوون إليها إلا وادى درعة و بينه و بين سجلماسة ٥ أيام. و مدينة سجلماسة محدثة بنيت سنة ١٤٠ [-] ٧٥٧-٧٥٨، أسسها مدرار بن عبد اللّه و كان رجلا من أهل الحديث، يقال إنه لقى بإفريقيه عكرمة مولى بن عباس و سمع منه؛ و كان صاحب ماشية و كان كثيرا ما ينتجع سجلماسة و كان الموضع سوقا يجتمع فيه بربر تلك النواحي.

فاجتمع إلى مدار قوم من الصّيفرية فلما بلغوا ٤٠ رجلا قدموا على أنفسهم مدرارا و شرعوا فى بناء سجلماسة فبنوها ثم سورها أبو

المنصور بن أبى القاسم ابن مدرار، و لم يشركه فى الإنفاق فى بنائه أحد. أنفق فيه مدى ألف مدّ طعاما.

و ذكر آخرون أن رجلا حدادا اسمه مدرار و كان من ربيضة قرطبة خرج من الأندلس عند وقعة الربض فنزل منزلا بقرب سجلماسة، و موضع سجلماسة إذا ذاك سوق البربر بتلك النواحي، فأنشأ بها مدرار خيمة و سكنها فبنى الناس حوله، فكان ذلك أصل عمارتها، و كان رجلا أسود و أولاده قد هجوا بذلك.

و لمدينة سجلماسة ١٢ بابا، و لها بساتين و هى كثيرة النخل و الأعناب و جميع الفواكه، و زيب عنبها المعرش الذى لا تناله الشمس لا يذب إلا فى الظل و يسمى الطلى، و ما أصابته منه زبب فى الشمس. و هى على نهرين من عنصر واحد فى موضع يسمى أكلف، و تمده عيون كثيرة، و لهم مزارع كثيرة يسقونها من النهر فى حياض كحياض البساتين؛ و تزرع أرض سجلماسة عاما و يحصد من تلك الزريعة ٣ أعوام لأنه بلد مفرط الحر شديد القيط.

فإذا يبس الزرع تناثر عند الحصاد و أرضهم مشققة فيقع ما يتناثر من الحب فى تلك الشقاق، فإذا كان العام الثانى أخرجوا النهر على عادتهم لأن ماء المطر قليل فيها و حرثوا بلا بذر؛ و كذلك العام الثالث. و قمحهم رقيق الحب يسع مدّ النبى صلعم من قمحهم ٧٥ ألف حبة، و هم يأكلون الزرع إذا خرج شطئه و هو عندهم مستظرف و ذلك لغلبة الجذب عندهم. و من العجيب بمدينة سجلماسة أنها ليس بها ذئب و لا كلاب لأنهم يسمونها و يأكلونها كما يصنع أهل

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٠٢

الجريد: قسطنطينية و غيرها. و يسمون الكنافين عندهم المجرمين، و البنائون عندهم يهود لا يتجاوزون بهم هذه الصناعة؛ و كذلك كانوا ببلاد بنى الناصر.

قال الناظر كان هذا فى الزمان المتقدم، و أما الآن فهم تجار أهل هذه البلاد كلها و أغنياؤها و خاصة بمدينة فاس فإنى عاينت منهم من يقال إن عنده المال الممدود رجلا كثيرين. و قد كان تنبه لهم الأمر العالى أيد الله دوامه سنة ٨٢ [٥] - [١١٨٦] فلبس المرتشون و شوش المشوشون و خوف المفتشون، فأرجأ القدر السابق هذا إلى نهاية أمد عزهم و ابتداء نكستهم إن شاء الله و ذرهم و هى سنة ٥٧١ من الهجرة. و السبب فى تسخير أهل سجلماسة لليهود فى هاتين الحرفتين الرذيلتين كونهم محبين فى سكنى بلدهم للاكتساب لما علموا أن التبر بها أمكن منه بغيرها من بلاد المغرب لكونها بابا لمعدنه، فهم يعاملون التجار به ليخدعونهم بالسرقة و أنواع الخدائع. و لما علم منهم أبو عبد الله الداعى ما هم عليه من ذلك عند استخراج عبيد الله من سجن اليسع بن مدرار بها، و كان الذى نص عليه و نم به لليسع يهودى و حكى عبيد الله لأبى عبد الله ما جرى له معه، قتل منهم الأغنياء و أخذ أموالهم بالعذاب، و أمر من شاء أن يقيم منهم بالبلد فى أن يتصرف فى هاتين الخلتين، فمن دخل فى الكنافين من أصناف الناس سموهم المجرمين لاجترامهم على حرفة موقوفة على اليهود.

و قصرُوا البناء عليهم خاصة لأنهم خائفون أبدا من أن يخون أحدهم المسلم فيهلكه، فهم ينصحونهم فى البناء و يلزمون الخدمة دون خروج لفرائض الصلوات و لا لغير ذلك من ملازم العبادات، فتأتى خدمتهم موفرة سريعة.

و هم الآن قد مازجوا المسلمين و داخلوهم و هو العز الذى كانوا يرتقبونه فى سالف الأزمان، و بعده الزلة الدانية لهم القاصمة إن شاء الله لظهورهم، المستأصلة لشأفتهم عما قريب كما قدمنا.

ذكر السبب فى ثورة الداعى و دخوله سجلماسة: كان الداعى محققا لوجود الإمام المهدي، جاهلا لزمانه طامعا أن يصادفه لمحبة المرء فى نفسه.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٠٣

قال الداعى خرجت يوما إلى شاطئ دجلة لأتفرج، فجلست على ضفة النهر أقرأ سورة الكهف فإذا بشيخ حسن الملبس و المركب معه غلام ففرش له على ضفة النهر، فجلس و أنا أقرأ حتى انتهيت إلى قوله تعالى: «حتى إذا لقيا غلاما فقتله» إلى قوله: «فخشينا أن يرهقهما

طغيانا و كفرا» إلى آخر الآية. فقال لى الشيخ: أنت تزعم ممن يقول بالعدل و التوحيد؟ قلت له نعم. قال فكيف تقتل نفسا خشى أن يكون و أن لا- يكون؛ فقلت له إنى لعلم هذا لفقير؛ فقال لى سأعلمك إذا التقينا إن شاء الله. ثم ركب دابته و انصرف، فسألت غلامه من هو فقال لى: هو محمد بن اسماعيل بن الحسن بن على بن جعفر بن على ابن موسى بن جعفر بن على الصادق بن على زين العابدين بن الحسين بن على ابن أبى طالب رضه و عن جميعهم. قال الداعى فعند ما سمعت ذلك لم أتمالك أن قبلت رأس الغلام و تعلقت بركاب الشيخ، و ضرعت إليه أن يعلمنى السبيل إلى معرفة الإمام؛ فأشار إلى فى الوصول إلى منزله، فسرت معه فأدخلنى و جدت ولده عبيد الله و معه أحد عشر رجلا، فقال لهم هذا ثانى عشرتكم. فأنزلى أرفع منزله فلما استقرى المجلس قال لى: قدحان وقت ظهور الإمام و هذه الدعاء خارجة إلى الأقطار، و أنا أريد توجهها إلى المغرب لأن جعفر بن محمد الصادق زرع بالمغرب بذرا فأنت تحصده إن شاء الله؛ اذهب إلى مكة فإنك ستجد بها قوما من كتامة فاعرض نفسك لهم فى تعليم أبنائهم؛ فإذا وصلت معهم إلى بلادهم فأعلمهم بظهور الإمام و أن زمانه قدحان و خاطبنا. فإذا استوثق الأمر نهضنا إن شاء الله، و دفع إلى مالا و شيعة فأنصرفت و أنا متعجب من دعواه، و مرتاب فى أمره. فلما عاينت خروج الدعاء و حدهم احتسبت نفسى من جملتهم، فسرت إلى مكة- كرمها الله- فألفت كتامة، فعرضت نفسى عليهم، فتلقونى بالقبول، و سرت معهم إلى بلادهم فنزلت فى بجاية بالجبل المعروف ببني زلدوى. و جعلت أعلم أبنائهم، فقالوا نحن أحوج إلى التعليم منك من أبنائنا فجعل يقول لهم: هذا زمان الإمام المهدي الفاطمى قد حضر، و ذلك فى خلافة عبد الله سنة ٢٨٠-٨٩٣]. و كان الداعى يأخذ صدقاتهم، و عشوراتهم و أمرهم بالدعوة إلى ما دعاهم إليه، و قتل من خالفهم الى أن مات الشيخ والد عبيد الله، و هرب الولد فارا إلى مصر، فلم يعلم بدخوله فيها. و قد كانت

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٠٤

مخاطبات المعتضد نفذت إلى ابن طولون بمصر و إلى اليسع بن مدرار و الى سجلماسة فى طلبه. فلما خرج عبيد الله من مصر تنبه له فطلب فوجد راجعا قد طلب كلبا كان هرب لهم، فحمل إلى الوالى فذكر أنه صائد قد هرب له كلبه فطلبه، و شهدت له البينة بذلك و قيل أعطى للوالى ما كان معه من المال فأطلقه. و وصل لسجلماسة فنص عليه اليهودى كما قدمنا، و سجنه اليسع بن مدرار فى منزل أخته فى غرفة و كبله، و تبعه ولده القاسم فسجنه فى قرية بالقرب من سجلماسة؛ فخاطب أبا عبد الله الداعى و أعلمه بحاله من الأسر و الخوف و رغب إليه فى استنقاذه، فاستنفر الداعى قبائل كتامة و من استجاب لدعوته، و قصد سجلماسة فدخلها لحينه و فر اليسع فقتله طائفة من رعيته لحقد كانوا يجدونه له. و وصل الداعى من فوره لدار بنت مدرار و استخرج عبيد الله من سجنه و كسر كبله بيده و أركبه بغلة و كساه برنسه و قال لهم: هذا مولاي الإمام فهو مولاكم. فقال له عبيد الله: قل لهم هو المهدي بن المهدي سلافة الهداية، و سر من فورك و استخرج مولاك أبا القاسم من سجن عدو الله و عدو أوليائه. فنهض الداعى راحلا و استخرج أبا القاسم ابن عبيد الله و أركبه بغلة أخيه أبى العباس، و استخرج أهل سجلماسة من مواطنهم و قال لهم: لا يحل لكم أن تستوطنوا بلدا امتحن فيه الإمام؛ ففزعوا من سطوته لما عاينوا منه ما صنع باليهود كما قدمنا. فلما خرجوا معه أمر بسلبهم، ففتشوا كلهم رجالا و نساء و أخذ أموالهم و صرفهم: و قيل إنه تحصل له من التبر و من الحلوى و قر ١٢٠ جملا- أدخلها رقادة و بايع بها لعبيد الله و أقامه و أدخله القيروان و بنى المهديّة. فكان عبيد الله يتساكر و يقتل جواريه و يرمى بهن خارج القصر. و أظهر مذهبه الذى يزعم الشيعة أنه مذهب أهل البيت، فأنكر كتامة ذلك و اجتمعوا مع الداعى و أخيه أبى العباس و كان مصمما فقال لهم الداعى إن الدعاء لأهل بيت رسول الله صلعم واجب، و إن الإمام المهدي حق و إن الزمن مجهول عندي؛ و كنت ارتبت فى والد عبيد الله فكيف لا يرتاب

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٠٥

فيه، سيروا إليه و قولوا له: إن أبا عبد الله و أبا العباس قد شكّا فى الخاتم الذى ذكرت أنه بين كتفيك فأره لنا، فإن لم تعانوه فشانكم به. قال فعند ما وصلوا إليه، و قالوا له تلك المقالة، قال لهم أ لم يعلما كما قيل إنهما أيقنا به؟ قالوا نعم فقال لهم: الشك لا يزيل اليقين. و التفت إلى صاحب شرطته فقال له: يا عروبة آتى برأسيهما؛ ففى الحين نهض عروبة إليهما متنكرا فقال له أبو عبد الله و كان

له عليه حق مرتبته: ما الذى أتى بك يا عروبة؟ فقال الذى أمرتنى بطاعته أمرنى بقتلك. فقتلها و أتى برأسيهما بحضرة أشياخ كتامة، و أمر بالكتب إلى الأمصار أن أبا عبد الله أحدث حدثا فطهرناه بالسيف، و لم تكن تمنعنا رعاية الحق له من إقامة الحدّ عليه. و تمهد أمر عبيد الله. و هو الحقيقة كما ذكر أبو بكر محمد بن الطيب فى كتابه فى وصف القرامطة: أنه عبيد الله والده عبد الله بن سالم بن عبدان الباهلى، و أن جده سالم صلبه المهدي العباسى على الزندقة على ما قاله الذين فحصوا عن أمره. و مات عبيد الله بالمهدية سنة ٣٢٢ [٩٣٤-] و لى ولده أبو القاسم فأظهر مذهبه و سماه مذهب أهل البيت نسبة إلى جعفر ابن محمد الصادق و إلى على بن أبى طالب رضهما- و حاشاهما منه و العياذ بالله من هذا المعتقد. فمنه توريث البنت إذا انفردت بجميع المال كله، و الله تعالى يقول: «و إن كانت واحدة فلها النصف». و أسقط الرجم عن المحصنين فى الزنا، و أسقط المسح على الخفين، و أسقط من الأذان «الصلاة خير من النوم» و نادى فى الصبح «حى على خير العمل و على خير البشر»، و الصوم بالعلامة و الفطر بها لا بالرؤية فيأتى قبل صوم المسلمين بيوم و قبل فطرهم بيوم فى أكثر الأعوام.

و أحل المطلقة ثلاثا، و أسقط أيمن الحرج. و لولا خروجنا عما قصد إليه الواضع لشرحنا دياتهم و بينا كفرهم. و سماعهم الأخوة و المؤمنين و أمر ألا يقيم الحد أحد إلا أبوه أو ابنه أو أخوه أو قريبه. ثم أمرهم بالجهاد لمن خالف مذهبهم. فقام عليه أبو زيد مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان بن رويب بن سيران بن يفرن بن صره بن يورسيف بن جنا بن يحيى بن ضرليس بن جالوت. و كان على مذهب الصفرية النكار و قر على عمار الأعمى فى المشرق، و كان قيامه فى أول سنة ٣٣٢ [٩٤٣-].

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٠٦

ذكر المؤرخون أنه كان يعمل أكواما من رؤوس المسلمين رعية الشيعى و يأمر المؤذنين (بالآذان) عليها. و أخذ لشيخ من المسيلة ٥٠ ألف مثقال و ابنتين أباكارا فشغل الشيخ هم بنتيه عن ماله، فجعل يطلبهما فى المحلة حتى وجدهما عند باب خباء الشيخ الملعون- و كان يركب الحمار و تسمى بشيخ المؤمنين- فانكب على بنتيه و سألهما فقالتا له يا أبانا إن الملعون افتضنا فى فراش واحد، فمشى الرجل إليه و قال له: تسمى بشيخ المؤمنين و أخذت مالى و افتضت بنتى، أختين شقيقتين على فراشك دون استحياء من الله تعالى؟ فقال له: ذلك حلال لنا بملك اليمين و أمر بالرجل فضربت عنقه رحمة الله علينا و عليه. و قد كان هزم أبا القاسم الشيعى و هرب أمامه للمهدية فوصل أبو زيد فى أتباعه حتى ركز رمحه فى الباب، فأعلم أبو القاسم فقال لهم: و الله لا عاد إليها أبدا و هو حتفه هكذا فى كتبنا. و أمر بالركوب و الخروج إليه و أعطى الجند العطاء الجزيل؛ فلما خرجوا أراد أبو زيد أن يقتل من كان معه من حشد الرعية ليتفرغ لإفشاء كفره، فقال: لأصحابه انكشفوا عنهم فيقتلوا عن آخرهم. و أئخذ أبو زيد بالجراح و قبض عليه حيا فأدخله المهدية فى قفص حديد و صلبه على الباب الذى طعن فيه برمحه، و دانت لأبى القاسم الشيعى بلاد المغرب كلها من إفريقية إلى درعة.

مدينة درعة: و إنما تعرف درعة بواديهما فإنه نهر كبير يجرى من المشرق إلى المغرب و منبعه من جبل درن، و عليه عمارة متصلة نحو ٧ أيام و فيها أسواق حافلة كثيرة. فيها يوم الجمعة أسواق فى مواضع كثيرة متقاربة و ربما كان سوقان فى يوم واحد فى المواضع النائية و كذلك فى سائر البلاد، و عليه الجنات الكبيرة فيها جميع الفواكه من النخل و الزيتون و غيرها. و الحناء بدرعة كثيرة و منها تجلب إلى جميع البلاد لطيبها، و له مزية فى البيع على سواها. و شجر الحناء

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٠٧

بها شجر كبير يحتمل أن يرقى فيها الراقى، و بوادى درعة شجر التاكوت و هو شجر يشبه الطرفاء و به يدبغ الجلد الغدامسى. و توجد بوادى درعة حجارة تسمى تامضغيت تحك باليد فتلين إلى أن تأتى فى قوام الكتان فيصنع منها القيود للدواب و الامره، و تغزل و ينسج منها مناديل لا تؤثر فيها النار مثل الصندل؛ و قد صنع منها لبعض ملوك زناته كساء عنده من أعظم الذخائر.

ذكر البكرى أنه أخبره ثقة إنه رأى تاجرا قد جلب منه منديلا لبعض ملوك الروم، و أخبره أنه منديل كان لبعض الحواريين و جعله فى النار أمام الملك فلم تؤثر فيه شيئا، فوصله ذلك الملك عليه بصله كان فيها غناه إلى آخر الزمان.

و يقال إن ذلك الملك بعثه إلى ملك الروم الأعظم و أخبره بخبره، و وضعوه فى الكنيسة العظمى، و بعث إليه بصله سنیه و أمره أن يتوج بتاج بعثه إليه و رفعه على من سواه .

مدينة أغمات : و أغمات هما مدينتان إحداهما تسمى أغمات وريكه و الأخرى أغمات هيلانه، و بينهما نحو ٨ أميال. و بأغمات و ريكه يسكن الأعيان و بها ينزل التجار على القديم لأنها كانت دار التجهز للصحراء؛ و بها نهر جريه من القبله إلى الجوف، يشق المدينة بعضه و عليه أرحاء و حوله بساتين كبيرة.

و هو بلد متسع كثير الرخاء و الخصب إلا أنه و خيم الهواء، ألوان أهله مصفرة و العقارب القتاله به كثيرة، و بينه و بين البحر مسيره ٤ أيام. و أقرب المراسى إليه مرسى جوز هر تنانه من بلد رجراجه، و هو من آخر مراسى سواحل المغرب مما يقرب من البحر المحيط، تنزل به السفن و لا يخرج منه إلا- بريح عاصفه فى زمن الشتاء عند تكدر الهواء و اغبرار الجو؛ فحينئذ تصدق هناك الرياح فإن أصطحبهم الريح سلموا و إلا قذفهم البحر. و بين أغمات و مدينة نفيس مرحلة.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٠٨

مدينة نفيس : مدينة قديمة أزيله غزاها عقبه بن نافع رحمه الله، و حاصرها و فيها الروم و النصرى البربر فافتتحها و أصاب المسلمون فيها أموالا كثيرة و مغنم واسعة؛ و بنى فيها عقبه مسجدا و هو معروف بها اليوم. و كان دخول عقبه مدينة نفيس سنه ٦٢ [٦٨٢] من الهجرة، و يعرف بالبلد النفيس و ليس فى جميع البلاد أطيب هواء منها و لا أجمل منظرا و لا أكثر أنهارا و أشجارا و ثمارا. و يشق بلد نفيس نهر منبعه من جبل درن حيث الروضة المقدسة المكرمه المعظمة؛ جدت الإمام المهدي و صاحبه و حواريه الخليفة الإمام أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على رضهما؛ و هو فى مدينة البيضاء المعروفة بتتمل كرمها الله. و كانت على القديم معمورة فمدنها الإمام رضه، و بنى فيها الخليفة جامع الإمام رضهما، و عليها سور حصين و هى أمتع حصن أو قلعه فى بلاد المغرب لو عورة الطريق من هذه البلاد لأن زيارة الأئمة الأطهرين لها على طرق مرصوفة من الخشب متى احتيج إلى إزالتها أزيلت فتعلقت السبل و حار الدليل، فتعابن مهوى بعيدا لا يدرك له قعر. و هى فى وسط القبائل المعروفين بالشهامة و النجدة. و بين أغمات و نفيس الحضرة العلية مراكش - صانها الله تعالى دار إسلام.

مدينة مراكش - كلاًها الله

هى اليوم حاضرة بلاد المغرب و دار مملكتها، و هى مدينة عظيمة فى بسيت من الأرض، أسسها يوسف بن تاشفين سنه ٤٥٩ [١٠٦٧]؛ و أول ما بنى فيها

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٠٩

دار الأمة و هى الآن معلومة بها، ثم اختط سورها ولده على سنه ٥١٤ [- ١١٢٠]؛ و فتحها الخليفة أمير المؤمنين رضه يوم السبت بعد صلاة الظهر ١٨ من شوال سنه ٥٤١ [- ٢٤ مارس ١١٤٧]. و على ٣ أميال منها وادى تنسيفت، منبعه من بلد دمنات، يصب فيه وادى وريكه و وادى نفيس و أودية كثيرة، و مصبه فى ساحل رباط جوز و يدخله الشابل الكثير الطيب.

و هى مدينة طيبة التربة كأنها غطاء من حجر على حجر، عذب ماؤها قريب من قامه أو قامتين؛ و بساتينها تسقى من آبار منتفد بعضها ببعض حتى تخرج على وجه الأرض. و بينها و بين درن نحو ال ٢٠ ميلا، و هى كثيرة الزرع و الضرع تحرثها دكالة و جنتها نفيس، و حولها من البساتين و الجنات التى يسمونها البحائر لعظمتها ما لا يحصى كثرة؛ و إنما بناها واضعها ليملك منها جبل درن لكثرة من يعمره، و كان خروج هذه الشردمة الصحراوية لقتال براغواطه الكفار المرتدين عن ديانة الإسلام.

و كان إسلام قبائل الصحراء سنه ٤٣٥ [- ١٠٤٣] و خروجهم سنه ٤٥٠ - ١٠٥٨] أو نحوها فقتل زعيمهم الذى أخرجهم ببلد براغواطه بموضع يسمى تيلمت، و بنى على قبره مسجد و ولى بعده أبو بكر بن عمر اللمتونى المحمدى و بقى إلى سنه ٤٥٧ [- ١٠٦٥] قبل أن

ينخلع و يولى يوسف بن تاشفين، و يطلق زوجته زينب بنت ابراهيم النفاوى . و لم يكن فى زمانها أجمل منها و لا أعقل و لا أظرف، فتزوجها بعده يوسف و بنى لها مراكش، و سار أبو بكر بن عمر إلى الصحراء فقاتل السودان فرسقه سهم فمات. و مدينة مراكش اليوم من أعظم مدن الدنيا بهجة و جمالا بما زاد فيها الخليفة الإمام و خليفته أمير المؤمنين أبو يعقوب و خليفتهما أبو يوسف رضهم، فإن الخليفة الإمام بنى فيها جامعا عظيما ثم زاد فيه مثله أو أكثر فى قبلته؛ كان قصرا، و رفع بينهما المنار العظيم الذى لم يشيد فى الإسلام مثله، و أكمله ابنه و خليفته أبو يعقوب رضه. و جلب الخليفة الإمام المياه من أودية درن و غرس بحيرة عظيمة بغربى المدينة قبل نفيس دورها ٦ أميال، و بنى فيها الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢١٠

و خارجها صهريج عظيم كفا فى تلك المدة نعوم فيهما فلا يكاد القوى منا يقطع الصهريج إلا عن مشقة، و كنا نتفاخر بذلك. و أحدث الخليفة بعده ابنه أبو يعقوب رضه بحائر مثلها فى الغرس بل أجمل، و جلب لها المياه و أخذها فى صهاريج أعظم من المتقدمة، و زاد فى قبله المدينة حصنا أنفذه الآن ابنه الإمام الخليفة أبو يوسف رضه، و زاد عليه مدينة أخرى تقارب الأولى فى دورها؛ و كانت بحائر عظيمة فبناها قصورا و جامعا و أسواقا و فنادق، و جلب التجار إلى قيسارية عظيمة لم يبق فى مدن الأرض أعظم منها، و أمر بعمارته أول سنة ٥٨٥ [١١٨٩]. و مدينة مراكش أكثر بلاد المغرب جنات و بساتين و أعناب و فواكه و جميع الثمرات، و كانت قبل ذلك يطير الطائر حولها فيسقط من العطش و الرمضاء، و أكثر شجرها الزيتون ففى مراكش اليوم من الزيتون و الزيت ما تستغنى به عن غيرها من البلاد و تمير بلادا كثيرة، و كان زيتها قبل اليوم دهن الهرجان لأنه بتلك البلاد كثير جدا. و زيتون مراكش أكثر من زيتون مكناسة و زيتها أرخص و ربما أطيّب.

و مما شرف به سيدنا و مولانا أمير المؤمنين أبو يوسف حضرته المكرمة رضه أن أرسل فى وسط المدينة ساقية ظاهرة ماؤها ماء قصره المكرم، تشق المدينة من القبلة إلى الجوف، و عليها السقايات لسقى الخيل و الدواب و استقاء الناس، فهى اليوم أشرف مدن الدنيا و أعدلها هواء. و من بركاته وضع دار الفرج فى شرقى الجامع المكرم، و هو مارستان المرضى، يدخله العليل فيعائنه ما أعد فيه من المنازه و المياه و الرياحين و الأطعمه الشهية و الأشربة المفوهة، و يستطعمها و يسيغها فتنعشه من حينه بقدره الله تعالى. و كان فى سنة ٥٨٥ [١١٨٩] قد استدعى العلماء و رواة الحديث و أمر بتدريس حديث النبى صلعم.

مدينة فروجة: يسمونها أفروجى، بينها و بين مراكش مرحلة، و هى فى بطحاء كثيرة المياه و الفواكه و الخيرات. و بالقرب منها مدينة الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢١١

تامروت بينهما نحو مرحلتين. و هى مدينة لطيفة طيبة الهواء و الماء، و منها يرقى إلى جبل درن، و يقال إنه أكبر جبال الدنيا و إنه يتصل بجبل المقطم الذى ببلاد مصر، و فيه قبائل كثيرة من المصامدة، و يقال إنهم من العرب قد دخلوا تلك البلاد و سكنوا تلك الشعاب فى الفتنة الواقعة عند هزيمة ميسرة التى تسمى غزوة الأشراف، فكان البربر يطلبون العرب فتوغلوا فى تلك الجبال و تناسلوا فهم أهلها على الحقيقة لأنهم أحيوها. قال رسول الله صلعم: «من أحيأ أرضا ميتة فهى له و لعقبه». و جبل درن أخصب البلاد و أكثرها أنهارا و أشجارا و أعنابا؛ و فيه أمم لا تحصى من المصامدة و أكثر عيشهم إنما هو من العنب و الزبيب و الرّب، و هم لا يستغنون عن شربه لشدة برد الجبل و ثلجه؛ و خلفه بلاد السوس.

ذكر بلاد السوس الأقصى

وهى مدن كثيرة و بلاد واسعة يسقيها نهر عظيم يصب فى البحر المحيط يسمى وادى ماسة و جريه من القبلة إلى البحر كجرى نيل مصر، و عليه القرى المتصلة و العمارات الكثيرة و البساتين و الجنات بأنواع الفواكه و الثمار و الأعناب و قصب السكر. و لم يتخذ الساكنون على هذا الوادى قط رحي فإذا سئلوا عن ذلك قالوا: كيف يتخذ هذا الماء المبارك فى إدارة الأرحاء، و هم يتطيرون بها. و على هذا النهر قرية كبيرة جدا تعرف بتارودانت، و هى أكثر

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢١٢

بلاد الله قصب سكر وفيها معاصر السكر كثيرة. وهذا البلد أخصب بلاد المغرب وأكثرها فواكه وخيرات، ومنها يجلب السكر إلى جميع بلاد المغرب والأندلس وإفريقية وهو المشهور بالطبرزد المذكور فى كتب الطب. وعلى مصب هذا الوادى فى البحر رباط مقصود له موسم عظيم ومجتمع جليل وهو مأوى للصالحين. ومن وادى سوس إلى مدينة نول ٣ مراحل فى عمارة متصله يسكنها جزولة ولمطه، وهم أمم كثيرة.

وقاعدة بلاد السوس مدينة أيجلى وهى مدينة عظيمة كبيرة قديمة أزلية فى سهل من الأرض على النهر الكبير المذكور، وهى كثيرة البساتين والتمر وجميع الفواكه، ربما بيع حمل التمر بما دون كراء الداية من الجنان إلى السوق، وقصب السكر بها كثير وله بها معاصر كثيرة، وأكثر شرب أهلها إنما هو ماء قصب السكر؛ ويعمل بها النحاس المسبوك يتجهز به إلى بلاد السودان.

ووصل عقبه بن نافع إلى هذه المدينة عند دخوله إلى بلاد المغرب، وافتتحها فأخرج منها سببا لم ير مثله حسنا؛ كانت تباع الجارية الواحدة منهن بألف دينار وأكثر لحسنها وتام خلقها. ويعمل بهذه المدينة زيت الهرجان وشجره يشبه الكمثرى إلا أنه لا يعلو كعلو شجرة الكمثرى ولا يفوت اليد، وأغصانه نابتة من أصله لا ساق لشجرتة ولها شوكة وثمرته تشبه الأجاس المعروف عندنا بالعقر، فيجمع ويترك حتى يذبل ثم يوضع فى مقلاة فخار على النار فيستخرج دهنه، وطعمه يشبه طعم القمح المقلو، وهو جيد محمود الغذاء يسخن الكلى ويدر البول. وبالسوس عسل يفوق عسل جميع الأمصار، يلقي النيذيون على الكيل منه ١٥ كيلا. من الماء وحينئذ يأتى نييذا، وإن كان الماء أقل من ذلك بقى حلوا ولا ينحل إلا بالماء الشديد الحرارة، ولونه أخضر فى لون الزمرد.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢١٣

وبالقرب من أيجلى على نحو ٦ مراحل مدينة تامدلت، وهى مدينة كبيرة أسسها عبد الله بن إدريس العلوى وتوفى بايجلى وبها قبره. وتامدلت مدينة سهلية كثيرة العمارة حافلة الأسواق، على نهر عنصره من جبل على نحو ١٠ أميال منها، وما بينهما عمائر ولساتين متصله، وهذا النهر هو نهر درعه، وهذه المدينة تامدلت على رأس النهر، وبينها وبين مدينة درعه مسيرة ٦ أيام فى عمارة متصله. ومن بلاد السوس مدينة نول لمطه، وهى مدينة كبيرة فى أول الصحراء على نهر كبير يصب فى البحر المحيط، ومن مدينة نول إلى وادى درعه نحو ٣ مراحل. وإنما سميت نول لمطه لأن قبيلة لمطه يسكنونها وما وراءها وهى آخر بلاد السوس؛ ومن أراد الدخول من وادى درعه إلى بلاد السودان، غانء وغيرها، فليمشى من وادى درعه نحو ٥ مراحل إلى وادى ترجا وهو فى أول الصحراء، ثم يسير فى جبال وعره فى طريق قد فتحت فى حجر صلد بالنار والخل من عمل الأول. ويزعم قوم أن ملوك بنى أمية فتحوها، وهذه الطريق من أحد أعاجيب العالم. ومنها إلى جبل يسمى بالبربرية جبل الحديد، ومن هذا الجبل يدخل إلى بلاد لمتونة وهم من صنهاجة؛ وأكثر لمتونة إنما هم رحالة لا يستقر بهم موضع ولا يعرفون الحرث ولا الزرع ولا الخبز، وإنما لهم الأغنام الكثيرة فيعيشون من لبنها ولحمها، فهم يجففون اللحم ويطحنونه وصبون عليه الشحم المذاب والسمن يأكلونه ويشربون عليه اللبن قد غنوا به عن الماء، فيبقى الرجل منهم الشهر لا يشرب ولا يأكل خبزا ولا يعرفونه وصحتهم من ذلك متمكنة، ربما مرت بهم القوافل فيتحنون ملوكهم

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢١٤

ورؤساءهم بالخبز والدقيق. وبلادهم يكون اللط الذى يعمل من جلوده الدرق، وهذا الحيوان المسمى باللمط دابة دون البقر لها قرون رفاق حادة تكون لذكرانها وإنائها، وكلما كبر هذا الحيوان طال قرنه حتى يكون أزيد من ٤ أشبار؛ وأجود الدرق وأغلاها ثمنا ما عمل من جلود الإناث المسنات التى قد طالت قرونها لكبر سنها حتى منعت الفحل أن يعلوها. وبلادهم أيضا الفنك الكثير، ومن عندهم تحمل جلودها إلى جميع البلاد، وعندهم الكباش الدمانية وهى على خلقته أيضا إلا أنها أعظم وشعرها كشعر المعز لا صوف عليها، وهى أحسن الغنم خلقا وألوانا. والريحان فى بلاد الصحراء وفى بلاد السوس عزيز لأن بلادهم لا تنبته، وهو عندهم

من أطيب الطيب.

و من عجائب هذه الصحراء أن بها معدن الملح تحفر عنه الأرض كما تحفر عن سائر المعادن، و يوجد هذا الملح تحت قامتين أو دونهما من وجه الأرض فيقطع كما تقطع الحجارة و يسمى هذا المعدن تانتال، و عليه حصن مبنى بالحجارة التى تخرج من المعدن، و جميع ما فيه من بيوت و غرف و مساكن إنما هو مبنى بحجارة الملح. و بهذا الملح يتجهز إلى بلاد السودان، غانة و غيرها، و له غلة عظيمة؛ و بإزاء معدن الملح الماء العذب الطيب، أخبرنى بذلك من عاينه.

و معدن الملح أيضا فى بلاد جدالة بموضع يسمى و ليلى على شاطئ البحر المحيط، و من هناك تحمله الرفاق إلى ما جاوز تلك الجهة. و بقرب و ليلى فى البحر جزيرة تسمى أيونا، و هى عند المد لا يوصل إليها إلا بالمراكب
الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢١٥

و عند الجزر يوصل إليها بالقدم، و يوجد فيها العنبر الكثير؛ و أكثر معاش أهلها من لحوم السلاحف فهى أكثر شئ فى ذلك الموضع و هى مفرطة العظم، ربما دخل الرجل فى محار ظهورها يتصيد فى البحر كالقارب. و فى هذه الجزيرة أغنام كثيرة و مواشى، و هى منتهى المراكب و آخر مراسى المغرب. و من مدينة نول إلى هذه الجزيرة على البر، لا-تفارق السواحل، مسيرة شهرين فى أرض محجرة أكثرها صفاء تنبو عنها المعاول، و يكل فيها الحديد، و إنما يشرب من يمر على ذلك الطريق من حفر يحفرونها عند جزر البحر فينبع ماء عذبا و هو من العجائب. و إذا مات للمارين بهذه الطريق ميت لا يمكنهم مواراته بالتراب لصلابة الأرض و امتناعها من الحفر، فيسترونه بالحطام و الحشيش أو يقذفونه فى البحر.
و بين صحراء لمتونة و بلاد السودان، مدينة أودغست .

و هى مدينة عظيمة أهله فيها أمم لا تحصى و لها بساتين كثيرة و نخل كثير، و يزرعون فيها القمح بالحفر بالفؤوس و يسقونه بالدلاء، و كذلك يسقون بساتينهم، و إنما يأكل عندهم القمح الملوك و أهل اليسار منهم، و سائر أهلها يأكلون الذرة. و المقاتى توجد عندهم كثيرا، و البقر و الغنم عندهم أكثر شئ و أرخصه:

تشتري فى أودغست ١٠ أكباش بدينار و أكثر من ذلك، و هم أرباب نعم جزيلة و أموال جليلة و لهم أسواق حافلة عامرة الدهر كله، لا يكاد يسمع الإنسان فيها صوت جليسه لكثرة غوغاء الناس، و تجارتهم إنما هى بالتبر و ليس عندهم فضة. و بمدينة أودغست مبان حسنة و منازل ريفية و أهلها أخلاط من جميع الأمصار، و قد استوطنوها لكثرة خيرها، و نفاق أسواقها و تجارتها. و حريم أودغست لا يوجد مثله فى بلد، يجلب منها جوار حسان بيض الألوان مائسات القدود، لطاف ضخام الأرداف و اسعات الأكتاف ضيقات الفروج، المستمتع باحداهن كأنما يستمتع بيكر أبدا، من غير أن ينكسر لإحداهن ثدى طول عمرها.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢١٦

أخبرنى ثقة من التجار أنه رأى بمدينة أودغست امرأة راقدة على جنبها، و كذلك يفعلن فى أكثر أحوالهن إشفاقا من الجلوس على أردافهن، و رأى ابنا لها طفلا يلعب حواليتها و هو يدخل تحت خصرها و يخرج من الجهة الأخرى من غير أن تتجافى له، و ذلك لعظم ردفها و رقة خصرها. و يجلب منها سودانيات طباخات محسنات، تباع الواحدة منهن ب ١٠٠ دينار كبار و أزيد، يحسن عمل الأطعمة و لا سيما أصناف الحلوات مثل الجوزينقات، و الوزينجات، و القاهريات، و الكنفات و القطائف و المشهوات، و أصناف الحلوات، فلا يوجد أحذق يصنعها منهن. و منها تجلب الدرغ الخصيفة الجياد فإن اللط بأرض أودغست كثير جدا. يجلب أيضا منها العنبر الطيب لقربها من البحر المحيط، و يجلب منها الذهب الإبريز الخالص خيوطا مفتولة. و ذهب أودغست أجود ذهب الأرض و أصحها، و كان صاحب مدينة أودغست فى سنة ٣٥٠-٣٦٠ (٩٦١-٩٧١) رجل من صنهجة، و كانت له جيوش كثيرة فدان له أزيد من ٢٠ ملكا من ملوك السودان كلهم يؤدون له الجزية. و كان عمله مسيرة شهرين فى مثلها فى عمارة متصلة، و كان يعتد فى أزيد من ٠٠٠ ر ١٠٠ نجيب فإن الخيل فى تلك البلاد قليلة، فيقال إنه غزا ملكا من ملوك السودان يقال له أوغام، فدخل بلده و أحرقها و قتل جنده و

الملك فى قصره ينظر إليه؛ فلما رأى ما حل فى بلده هان عليه الموت و خرج ورمى بدرقته إلى الأرض و قاتل حتى قتل. فلما عين نساؤه ذلك ترددين فى الآبار و قتلن أنفسهن بضروب من القتل أسفا على ملكهن و أنفء أن يملكهن البيضان. و بين مدينة أودغست و سجماسة نحو ٥٠ مرحلة، و منها إلى غانة نحو ٢٠. الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢١٧

ذكر بلاد السودان و مدنها المشهورة و عجائبها و نبذ من سير ملوكها

قال المؤلف رحمه الله: أقرب بلاد الإسلام إلى بلاد السودان بلاد جدالة و أقرب مدينة من مدن السودان إليهم مدينة صنغانة و هى مدينة عظيمة على النيل. و بين آخر بلاد جدالة و بين مدينة صنغانة مسيرة ٦ أيام، و هما مدينتان على ضفة نيل مصر و لهاتين المدينتين نظر واسع و عمارات متصلة يقال إنه تتصل عمارتهما و قراهما بالبحر المحيط. و تلى مدينة صنغانة على النيل مدينة تكرور و كانوا على ما كان عليه سائر السودان فى المجوسية و عبادة الدكاكير، و هى بلغتهم الأصنام، حتى وليهم و زجاي بن ياسين فجبرهم على الإسلام بالسيف و حارب السودان حتى أسلموا و ذلك سنة ٤٣٥ [- ١٠٤٣ - ١٠٤٤]. مدينة سلى: هى مدينتان على ضفة النيل و أهلها مسلمون أسلموا على يد و زجاي، رحمه الله، و ملكها واسع المملكة كثير العدد يقاوم صاحب غانة.

و بينها و بين غانة مسيرة ٢٠ يوما فى عمارة متصلة للسودان القبيلة بعد القبيلة؛ و صاحب سلى يحارب من جاوره من كبار السودان، و تابع أهل سلى إنما هو بالذرة و الملح و حلق النحاس و أزر لطاف من قطن يسمونها الشكيات و هى أنفق ما عندهم، و ليس عندهم غنم و لا معز و أكثر نبات أرضهم الأبنوس و منه يحتطبون. و بقرب مدينة سلى مدينة قلوبا و هى مدينة كبيرة الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢١٨

على ضفة النيل، فإن النيل يشق جميع تلك البلاد، و يسقى أكثرها. و من عجائب تلك البلاد أن فيها حيوان يشبه الفيل فى عظيم خلقته و خرطومته و أنيابه، يسمونه جفو و يرعى فى البر و يأوى إلى النيل، و يصطادونه فىأكلون لحمه و يصنعون من جلده الأسواط التى تسمى بالسرياقات، و يقال لها بالأندلس ذنب الفأر.

و من هناك تحتمل الأسواط إلى جميع الآفاق، و لهم فى صيده حيلة فإنهم يميزون فى النيل المواضع التى يأوى إليها هذا الحيوان [حيث] يتحرك الماء على ظهره لقله استقراره، و عندهم مزارق حديد قصار فى أسافلها حلق قد شدت فيها حبال مديدة، فيزرقونه بالعدد الكثير منها، فيهرب منهم و يغوص فى أسفل النيل فيرخون له تلك الحبال فيضطرب حتى يموت. فإذا مات طفا على الماء فيجرونه إلى البر، و يأخذونه. و تلى مدينة قلوبا مدينة ترنكة: و هى مدينة كبيرة على نظر واسع و بها تصنع الأزر المسماة بالشكيات التى تنفق فى مدينة قلوبا و غيرها، و هى من القطن و ليس بهذه المدينة قطن كثير و إنما هو مجلوب إليها، و هم يتبركون بشجره فقل ما عندهم منزل و لا دار إلا و فيه شجرة قطن. و حكم أهل هذه البلاد فى السارق أن يخير صاحب السرقة فى بيع السارق أو قتله، و حكمهم فى الزانى أن يسلخ من جلده.

و من مدينة ترنكة تتصل ببلاد السودان إلى بلاد زافون و هم من البرابر لهم مدينة زافون، سميت بهم. و هم يعبدون ثعبانا عظيما له عرف و ذنب و رأسه كراس البختى، و هو فى مغارة فى أصل جبل، و على فم المغارة عريش و حوله مواضع يتعبدون فيها لذلك الثعبان، و يعلقون نفيس الثياب و المتاع على تلك المغارة، و يضعون لذلك الثعبان جفان الطعام و عساس اللبن و الشراب، فهم إذا رأوا خروجه إلى ذلك العريش تكلموا كلاما معلوما عندهم، و صفروا تصفيرا كذلك فيبرز إليهم. فإذا هلك وال من ولاتهم جمعوا أولاده، إن كان له ولد و من يصلح للملك بعده، و قربوه من ذلك الثعبان و تكلموا بكلام يعلمونه، فيدنوا ذلك الثعبان منهم فلا يزال يشمهم رجلا رجلا

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢١٩

حتى ينطح أحدهم بأنفه، ثم يولى ذلك الثعبان راجعا إلى مغارته، فيتبعه ذلك الرجل و الثعبان مسرعا إلى المغارة و الرجل يجهد خلفه بالجرى بأشد ما يقدر عليه، فيجذب من ذنبه أو عرفه شعرات فتعد و يعلمون أنه يملك قومه تلك الشعرات سنين، لا يخطئهم ذلك بزعمهم. و أقول إن هذه الفتنة فيهم إنما هي لأن الثعبان يعمر حتى يزيد على ١٠٠٠ سنة، فنشأ على ذلك آباؤهم فلا يعرفون أوله، و الواضع لهذه الفتنة إنما أراد أن يملكهم بذلك، و عقولهم فى نهاية الركافة، فيصبح له منهم ما أراد- عصمنا الله من الفتن. و تلى هذه البلاد بلاد الفرويين ، و من غرائب بلدهم أن عندهم بركة عظيمة يجتمع فيها الماء، ينبت فيها نبات أصله أبلغ شئ فى تقوية الجماع و المعونة عليه، و ملك ذلك البلد يشح على إخراجه من بلده لئلا يصل منه إلى غيره شئ، و له من النساء عدد كثير، فإذا أراد أن يطوف عليهن أنذرهن من قبل ذلك بيوم، ثم استعمل ذلك الدواء، فلا يكاد ينكسر عن الطواف عليهن كلهن. و قد أهدى له بعض الملوك المجاورين لبلده هذه هدية نفيسة، و استهداه شيئا من ذلك العود، فعاوضه على هديته و كتب إليه أن المسلمين لا يحل لهم من النساء إلا القليل، و قد خفت عليك أن أبعث بهذا الدواء فلا- تقدر على إمساك نفسك فتأتى ما لا يحل لك فى شريعتك، و لكنى بعث لك عودا يأكله العقيم فيولد له. و ببلاد الفرويين يبدل الملح بالذهب لعدمه عندهم، و فى هذه البلاد معادن الذهب، ترابه أحمر يستخرج كما يستخرج الحديد و الرصاص و النحاس و الفضة ببلادنا.

ذكر بلاد غانة و ما جاورها من البلاد

قيل إن غانة سمى لملوكها، و إنما اسم البلد أو كار، و وقع إلى كتاب ملكها إلى يوسف بن تشفين، نصه: إلى أمير أغمات، قال غانة؛

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٢٠

و هذا دليل على ما قيل. و مدينة غانة مدينتان، إحداهما يسكنها الملك و الأخرى يسكنها الرعية و التجار و السوق، بينهما الدور و المساكن نحو ٦ أميال متصلة.

و فى مدينة الرعية جامع كبير و مساجد كثيرة، و فيها الأئمة المؤذنون و الفقهاء و العلماء، و حوالها آبار عذبة منها يشربون، و عليها الخضر و المقاتي. و مدينة الملك تسمى الغابة، و للملك بها قصر عظيم و قباب، قد أحاط بذلك كله حائط مثل السور، و على مقربة مجلس حكم الملك، و حول قصره قباب و غابات و شعراء يسكنها السحرة و أهل ديانتهم، و فيها دكاكيرهم و قبور ملوكهم، و لها حرس فلا يمكن أحد من الغرباء دخولها و لا معرفة ما فيها، و هناك سجون الملك فإذا سجن أحدا انقطع خبره. و فى مدينة الملك مسجد يصلى فيه من يفد عليه من تجار المسلمين. و الملك يجلس للناس للحكم فى قبة عظيمة و أمام القبة عشرة أفراس من عتاق الخيل، و عليها الحلل المذهبة من الحرير و الديداج على عدمها ببلادهم. و الملك يتحلى بحلى النساء فى عنقه و ذراعيه، و يحمل على رأسه طرطورا مذهبا و يعمم عليه عمامة قطنية، و عن يمينه و عن يساره أبناء الملوك و الوزراء و خاصته من أعيان بلده، قد ضفروا رؤوسهم بالذهب و الجواهر و عليهم الثياب الرفيعة. و لا- يلبس ثوبا مخيطا من أهل دينه إلا هو و ولى عهده، و من سواهما يلبسون ملا-حف الحرير و الديداج، و سائر أهل بلده يلبسون ملا-حف القطن. و الملك و سائر أهل بلده الذين على ديانتهم يحلقون لحاهم و نساؤهم يحلقن رؤوسهن. و لا يولى الملك عهده إلا لابن أخته و هو يشك فى ابنه و لا يقطع بصحة اتصاله به، و إذا جلس الملك فى قبه لمظالم الناس يندرون لجلوسه بطبل عظيم يسمونه دبا، و هو خشبة طويلة منقورة قد جلدوها لها صوت هائل يجتمع الناس إليه، فإذا دنا منه أهل دينه جثوا على ركبهم و حثوا التراب على رؤوسهم. و أما المسلمون فتحيتهم عليه تصفيق باليدين، و جلوس الوزراء أمامه إنما هو على الأرض تواضعا للملك. و إذا مات الملك عملوا له قبة و وضعوا له الأطعمة و الأشربة و كل من كان يخدم طعامه و شرابه، و أغلقوا عليهم باب القبة و جعلوا فوقها الحصى و الأمتعة، و اجتمع الناس فردموا فوق القبة بالتراب حتى يأتى الموضع مثل الجبل الضخم، ثم يحتفرون حوله حفيرا

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٢١

عظيما و عرا حتى لا يتوصل إلى ذلك الكوم و لا إلى شىء منه إلا من موضع واحد. و لملك غانة مملكة واسعة نحو الشهرين فى مثلها؛ و فى بلده يوجد الذهب الكثير، و هو يعم جميع بلاد الدنيا و أفضل الذهب بمملكته ما كان ببلد غياروا. مدينة غياروا: بينها و بين غانة نحو ٢٠ يوما متصله بقبائل من السودان لا يحصى لهم عدد، و إذا وجد فى جميع معادن بلاد هذا الملك الندرة من الذهب اصصفاها الملك لنفسه و لم يتركها تخرج من بلده لغيره. و الندرة تكون من أوقية إلى رطل و إنما يتركون أن يخرج من بلادهم من الذهب ما كان رقيقا، و لو تركوا كل ما يوجد فى المعادن يخرج من بلادهم لكثير الذهب بأيدي الناس و لهان. و يذكر أن عند ملك غانة ندره ذهب كالحجر الضخم؛ و قد ذكر أن عند بعض ملوك السودان من هذه الندرات حجر عظيم يجعل أمامه، فإذا ورد عليه رسل من غيره من الملوك أمر بفرسه فربطه إليه ليهاى بذلك. و بين مدينة غياروا و النيل ١٢ ميلا و فيها كثير من المسلمين؛ و فى القرب منها على النيل مدينة يرسنى: و هى مدينة كثيرة الخيرات و لها معدن للذهب عظيم معروف فى بلاد السودان. و من أعجب شىء فى هذه المدينة أن فيها معزا قصارى و عندهم شجر معلوم فتحتك هذه المعز إلى تلك الأشجار فتلقح من غير ذكر، و يذبون ذكران المعز و يستحيون الإناث لاستغنائهم عن الفحل، و هذا معلوم عندهم غير منظور؛ حدث بذلك من دخل بلادهم من التجار و الثقات، و هذا مثل جزيرة النساء التى ذكر المسعودى. و من أعمال مدينة غانة و نظرها مدينة سامه، و يعرف أهلها بالكم، بينها و بين غانة مدة أربعة أيام. و هم يمشون عراه إلا أن المرأة تستر فرجها بسيور مضفورة، و نساؤهم يوفرن شعر العانة و يحلقن شعر الرأس. حدث رجل ثقة ممن دخل

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٢٢

تلك المدينة إنه رأى منهن امرأة وقفت على رجل من العرب له لحيه عظيمه طويله، فتكلمت كلاما لم يفهمه العربى، فسأل الترجمان عن مقالتها فأخبره إنها تمت أن يكون شعر لحيته فى عانتها، فغضب الأعرابى و أوسعها سبا. و يورث الرجل أكبر بنيه ماله كله و يحرم الغير و لو كان أحب إليه. و لهم حذق بالرمايه و يرمون بالسهام المسمومه. و بغربى غانة مدينة أنبارة: و هى مدينة كبيرة و لأهلها بأس شديد فى الحروب، و هم معاندون لملك غانة و إليها تسعة أيام.

مدينة كوغه: و أهلها مسلمون و حوالها المشركون، و أكثر ما يتجهز إليها بالملح و الودع و النحاس المسبوك و التاكوت و هو أنفق شىء عندهم للدبغ به. و حوالها معادن التبر، و هى أكثر بلاد السودان ذهبا. و بالقرب منها مدينة الوكن: و هى مدينة عظيمه يقال إن ملكها المعاصر لنا مسلم يخفى إسلامه. و ببلاد غانة قوم يسمون بالهنهين، من ذرية الجيش الذى كان بنوا أميه أنفذوه إلى غانة فى صدر الإسلام إلى بلاد السودان، و هم بيض الألوان حسان الوجوه لا يتناكحون فى السودان كثيرا. و إذا ست من غانة إلى جهه الشرق فإنك تسير فى بلاد السودان كثيرا و فى قبائل من البربر رحاله و هم مسلمون. و تسير مراحل كثيرة على النيل إلى مدينة تيرقى:

و هى مدينة عظيمه لها أسواق حافلة يجتمع فيها أمم كثيرة من بلاد متفرقة من بلاد غانة و تادمكة و غيرها. و تعظم السلاحف بأرض تيرقى حتى تخرج عن القياس، و هى تحفر فى الأرض أسرابا يمشى فيها إنسان، و هم يأكلونها فلا يستطيعون إخراج واحد منها من تلك الأسراب إلا بعد شد الحبال فيها و اجتماع

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٢٣

العدد الكثير. حدث رجل ثقة من المسافرين فى ذلك الطريق أن قوما انزلقوا فى بعض طريق تيرقى فغرسوا متاعهم، و بذلك الطريق الأرضه كثيرة و هى تفسد ما وجدت من متاع أو غيره، و لها بذلك الطريق أبحار و تخرج من التراب أكواما فوق أبحارها، و من العجب أن ذلك التراب يرى ندى و الماء هناك غير موجود على أبعده حفرة، فلا يضع التجار أمتعتهم إلا على الحجارة المجموعه أو الخشب. فلما نزل أولئك التجار بذلك الموضوع ارتاد كل واحد منهم لمتاعه حزنا من الأرض أو حجرا، فبدر أحدهم بالليل إلى صخرة كبيرة فيما ظن فأنزل عليها متاعه و كان وقر بعيرين، ثم نام بقرب رحله فلما انتبه من نومه سحرا لم يجد الصخرة و لا ما كان

عليها، فارتاع فنادى بالويل والحرب فاجتمع إليه أهل القافلة يسألونه عن خطبه، فأخبرهم. فقالوا لو طرقتك لص لذهب بالمتاع و بقيت الصخرة، فنظروا أثر سلحفاه ذاهبة بالموضع فاقتفوا أثرها ومشوا أميالا حتى أدركوا السلحفاه وحمل المتاع على ظهرها وهى تنهض به فى غير تكلف. فاعجب من عظم هذه السلحفاه التى تحمل وقر جملين.

ومدينة تيرقى على النيل ومن هناك يرجع نحو الجنوب. و يلى مدينة تيرقى إلى ناحية المغرب مدينة تادمكة: وهى مدينة كبيرة بين جبال وشعاب وهى أشبه البلاد بمكة كرمها الله؛ ومعنى تاد عندهم هيئة: على هيئة مكة.

وأهلها بربر مسلمون وهم يتنقبون كما يتنقب بربر الصحراء، وعيشهم من اللبن واللحم وليس عندهم قمح ولا شعير، وعندهم حب تنبتة الأرض من غير حرث يشبه الذرة. ولباسهم الثياب القطن المصبغة، وملكهم يلبس الثياب الملونة فتكون عمامته حمراء و قميصه أصفر وسراويله زرق وما أشبه ذلك. ودنانيرهم تسمى الصلح لأنها من ذهب محض غير مختومة؛ ونساؤهم فائقات الجمال لا يعدل بهن نساء بلد حسنا. والزنا عندهم مباح وهن يتلقين التجار إذا أقبلوا إلى بلدهم ويتقارعن على الرجل الجميل منهم أيهن تحمله إلى منزلها. وبين مدينة تادمكة وغانه نحو ال ٥٠ مرحلة، وبينهما مدن وعمائر للسودان والبربر.

فإذا سرت من غانه تريدها فأول ما تلقى مدينة سجنجوا: وهى على

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٢٤

٣ مراحل من غانه، وهى على النيل وهى آخر عمل غانه إلى الجنوب. ثم يصب النيل فى مدينة بوغرات: يسكنها قبيلة من صنهاجة يعرفون بمراصة.

أخبر الفقيه عبد الملك أنه رأى فى بوغرات طائرا يشبه الخطاف يفهم من صوته قتل الحسين، يكون ذلك مرارا ويقول بكر بلاء مرة واحدة؛ قال الفقيه سمعته وأنا ومن حضر من المسلمين معى. ثم من بوغرات إلى تيرقى المتقدم الذكر ثم إلى تادمكة. وإن أردت الطريق من تادمكة إلى القيروان فإنك تتوجه إلى ناحية الشمال، وتسير فى صحراء نحو ٥٠ يوما إلى بلد وارجلان فى طرف الصحراء مما يلى إفريقية: وهى بلد خصيب كثير النخل والبساتين، وفيه سبع مدن مسورة حصينة تقرب بعضها من بعض، أكبرها تسمى أغرم إن يكامن معناه بلاد الشهود، وفيه حصن اليهود. وهى بلاد كثيرة الزرع والضرع والبساتين، كثيرة المياه، ولها أعجوبة ليست فى موضع من الأرض: يحفر الرجل بئرا يقوم حفره ب ١٠٠ دينار و أزيد فإن أرضهم صلبة، والماء بعيد يدرك على أزيد من ٦٠ قامه، فيجد على الماء طبقا من حجر صلد، فيستبشر عند وجوده، ويطعم أوليائه فرحا. ويدخل إليه من يعرف كيف ينقره مربوطا فى جبال وثيقة وينقره فيفور الماء فإن أبطأ الرجال فى رفعه حتى لا يدركه الماء هلك لحينه، ويبقى الماء يفور على مر الدهور، وهكذا هى جميع آبارهم؛ وهم يسقون جناتهم وزرعهم ونخلهم. وتضرب ببلد وارجلان دنانير على نوع المرابطية، لكنها نازلة فيها تحمیل كثير، والدنانير الورجلانية مشهورة. ومن ورجلان إلى بلد الجريد نحو ١٤ يوما، ومن بلاد الجريد إلى القيروان ٧ أيام؛ وأهل القيروان بربر، وفيهم جمال كثير، ولا سيما نساؤهم، موصوفات بالحسن. ومن بلاد وارجلان إلى غدامس نحو ٢٠ يوما فى صحراء قليلة الماء؛ وفى هذه الصحراء معدن حجارة تشبه العقيق، وربما كان فى الحجر الواحد منها ألوانا من الحمره والصفرة والبياض، وهذا

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٢٥

الحجر أنفس شئ ببلاد السودان، غانه وغيرها، وهى عندهم مثل الياقوت وأجمل. وربما وجد من هذا الحجر فى النادر حجر كبير، وإذا وصل به إلى أهل غانه تغالوا فى ثمنه، وبذلوا فيه الرغائب؛ وهذا الحجر مثل الياقوت لا يعمل فيه الحديد شيئا، وإنما يصنع و يثقب بحجر آخر يسمى تتواس كما يصنع بالياقوت، و يثقب بحجر السنبادج. ومعدن هذا الحجر لا يظهر حتى يذبح الإبل وينضح الموضع بدمها، فحينئذ تظهر هذه الحجارة وتلقط. وفى هذه الصحراء أيضا معدن الشب الأبيض الطيب الذى لا يوجد مثله ببلد، ومن هناك يحمل إلى جميع البلاد. ومن تادمكة ٩ أيام إلى مدينة كوكوا: وهى مدينة عظيمة فيها خلق كثير من السودان لا يحصى لهم

عدد، و هى على النيل، و يقال إنما سموها كوكوا، لأن الذى يفهم من نعمة طبولهم كوكوا؛ و كذلك يذكر عن بلد زويلة إن الذى يفهم من نعمة طبولهم زويلة. و من سار من مدينة كوكوا على شاطئ البحر غربا انتهى إلى مملكة يقال لها الدمدم، يأكلون من وقع إليهم من البيضان، و لهم مملكة كبيرة و بلاد واسعة. و فى بلادهم قلعة عظيمة عليها صنم فى صورة امرأة و هم يعبدونه و يحجبونه. و من غرائب بلاد السودان، أنه ينبت عندهم فى الرمال شجرة طويلة الساق دقيقة، يسمونها توريرى، لها ثمر كبير منتفخ، داخله صوف أبيض يغزل، و يصنع منه الثياب و الأكسية فلا- تؤثر النار فيها. أخبر بذلك من أخبره الفقيه عبد الملك، أن أهل اللامس من بلاد السودان ليس لهم لباس غير هذه الثياب، و أخبر أنه لو وقدت النار على هذه الثياب الدهر كله لم تؤثر فيها شيئا، غير أن النار تغسل من أوساخها؛ و من هذا النوع الحجارة بوادى درعة، و قد تقدم ذكرها.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٢٦

قال الناظر: هنا انتهى ما وجدته من هذا الموضوع، و لقد أحسن واضعه، و رتب ما حقق، و هذا لعمري أقرب و أخصر من غيره، ففيه ما فى غيره، و ليس فى غيره ما فيه. و حققت و طرزت كتاب الواضع بما قيدت فى هذه المواضع، و أنا مؤمل أن أتفرغ لوضع كتاب كامل يحتوى على ذكر بلاد المغرب و ممالكها إلى هذه الأيام السعيدة الإمامية، و أضيف إليها ما رفعتة للحضرة العلية من مفاخر هذا الأمر العالى - أيد الله دوامه سنة ٨٠ [٥] - [١١٨٤] و هو ما يزيد عندي من فتوحاته المستأصلة لشأفة الأعداء، إلى حيث يبلغ بى الزمان. فهو عملى و سعيى، و نصيبي من الجهاد و رأبى، إذ هو من أعمال القلوب، الماحية لما خط من الذنوب، و الله تعالى يجعله عملا مقبولا لديه، فالاعتماد، و التكلان عليه، لا رب سواه.

صلى الله على نبيه محمد، و على آله الطيبين الطاهرين، و سلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين، و الحمد لله رب العالمين.

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٢٧

فهرس محتويات الكتاب

الصفحة

مقدمة أ

خطبة الكتاب ١

ذكر حدود حرم مكة ٤

وصف مكة و أرباضها و أسماء الجبال

المحيطة بها ٥

عدد أرباض مكة ٩

ذرع الكعبة ١٠

صفة البيت من داخله و فضله و فضل

الصلاة فيه ١٣

صفة سقف البيت و عمدته ١٥

صفة باب الكعبة و ذرعه و عتبه ١٦

صفة الحجر الأسود و ارتفاعه فى

الركن و فضله ١٧

صفة الحجر و ذرعه ١٨

- صفحة المقام ١٩
- صفحة زمزم و ذرعها و ذرع قبتها و ما
فيها من الماء ٢١
- صفحة قبة الشراب ٢٣
- صفحة بيت اليهودية ٢٣
- صفحة المسجد الحرام و ذرعه ٢٣
- عدد أبواب المسجد الحرام ٢٤
- عدد سواري المسجد الحرام و ذكر
معجزة النبي فى ابتياعه السارية
الحمراء ٢٧
- عدد قناديل المسجد الحرام ٢٨
- صفحة الصفا و المروة ٢٩
- ذرع المسعى ٢٩
- صفحة منى و الجمره و رميها ٣٠
- صفحة مسجد الخيف ٣٣
- الصفحة
- صفحة مسجد المزدلفة ٣٣
- صفحة المشعر الحرام ٣٤
- صفحة عرفه و جبل الرحمة ٣٥
- صفحة شريعة ابراهيم ٣٥
- صفحة بطن محسر ٣٦
- صفحة المأزمين ٣٦
- صفحة مسجد النبي ٣٧
- صفحة الروضة التى بين القبر و المنبر ٣٨
- صفحة الروضة التى فيها قبر النبي ٣٨
- صفحة المنبر ٣٩
- صفحة المحراب ٤٠
- عدد أبواب مسجد النبي ٤٠
- عدد ما فى المسجد من العمد ٤١
- عدد ما فيه من القناديل ٤١
- صفحة بقيع المدينة ٤٢
- صفحة مسجد قبا ٤٢
- صفحة قبور الشهداء ٤٣

ذكر بلاد مصر و ما فيها من

العجائب ٤٥

نبذ من أخبار ملوك مصر من لدن

عمارتها ٥٠

بناء الأهرام ٥٣

حديث الثلثة (التي فى الهرم) ٥٦

[بعض أخبار عن الأهرام (مغامرات)] ٥٧

ذكر الملك شوندين ٦٤

ذكر أول من نزل مصر بعد الطوفان ٦٥

ذكر ما نقله القبط من خبر يوسف ٧٤

ذكر فتح مصر ٧٨

ذكر المشهور من مدن أرض مصر. ٨٢

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٢٨

الصفحة

مصر الفسطاط ٨٢

القاهرة ٨٣

منف ٨٣

دلاص ٨٤

إخميم ٨٤

عين الشمس ٨٤

أنصنا ٨٥

قوص ٨٥

قفط ٨٧

أسوان ٨٧

تنيس و دمياط ٨٧

الفرما ٨٩

رشيد ٨٩

الفيوم ٩٠

الإسكندرية ٩٢

صفه المنارة ٩٦

انتصار صلاح الدين على الصليبيين ١٠٤

ذكر المشهور من المدن

و العمائر من بلاد مصر إلى آخر بلاد

- المغرب ۱۰۹
 سرت ۱۰۹
 أطرابلس ۱۱۰
 قابس ۱۱۲
 القيروان ۱۱۳
 صبرة ۱۱۵
 رقادة ۱۱۶
 سفاقس ۱۱۶
 المهدية ۱۱۷
 تماجر ۱۱۸
 جلولاء ۱۱۹
 سوسة ۱۱۹
 تونس ۱۲۰
 قرطاجنة ۱۲۱
 الصفحة
 بنزرت ۱۲۵
 طبرقة ۱۲۶
 بوننة- القل ۱۲۷
 جيجل- بجاية ۱۲۸
 مرسى الدجاج ۱۳۱
 جزائر بنى مزغناى ۱۳۲
 لغانية شرشال ۱۳۲
 تنس- قصر الفلوس- وهران ۱۳۳
 أرشجول- أسلى ۱۳۴
 فكان- حصن زيان- ندرومة-
 ترنانا ۱۳۵
 عجرود- نكر ۱۳۶
 تيطوان- سبتة ۱۳۷
 طنجة ۱۳۸
 أصيلا ۱۳۹
 تشمس تشومس- سلا ۱۴۰
 ذكر البلاد الصحراوية
 و التي تقرب من الصحراء بمرحلة

أو أكثر من الاسكندرية إلى آخر بلاد

المغرب ١٤٢

المنى ١٤٢

برقة ١٤٣

أجدابية- شروس ١٤٤

غدامس ١٤٥

زويلة ١٤٦

بلاد الواحات ١٤٧

ذكر بلاد الجريد من إفريقية ١٥٠

حامة مطماطة ١٥٠

قفصة ١٥٠

ذكر كورة قسطلية من بلاد الجريد

توزر ١٥٥

نقطة- تقيوس ١٥٦

الحامة- نفاوة- طرة- بشرى ١٥٧

أيتلمين ١٥٨

درجين ١٥٩

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٢٩

الصفحة

باجة ١٦٠

سبيبة- مجانة ١٦١

مرماجنة- تبسا ١٦٢

باغاية ١٦٣

جيل أو راس- طنفة- الموس-

شقبنارية ١٦٤

قسطنية ١٦٥

ميلة ١٦٦

الغدير- قلعة أبى طويل ١٦٧

أشير ١٧٠ الإستبصار فى عجائب الأمصار؛ النص؛ ص ٢٢٩

يانة- الخضراء- بلاد الزاب-

المسيلة ١٧١

نقاوس- طبة ١٧٢

بسكرة ١٧٣

- تهودة ١٧٤
 بادس ١٧٥
 ذكر المغرب الأوسط - تلمسان ١٧٦
 وجدة - أجر سيف ١٧٧
 تاهرت - قلعة هواره ١٧٨
 ذكر بلاد المغرب ١٧٩
 فاس ١٨٠
 رباط تازا ١٨٦
 مكناسة الزيتون ١٨٧
 جنياره ١٨٨
 كرت - صنهاجة ١٨٩
 قلعة ابن جندوب - غماره ١٩٠
 صفروى - تاسغمرت ١٩٣
 الصفحة
 دخول العلويين بلاد المغرب ١٩٤
 ذكر ارتداد برغواطه
 و من دخل معهم من قبائل
 البربر عن الاسلام ١٩٧
 تادلا - ثلث - سجلماسة ٢٠٠
 ذكر السبب فى ثورة الداعى
 و دخوله سجلماسة ٢٠٢
 درعه ٢٠٦
 أغمات ٢٠٧
 مدينة نفيس - مراكش ٢٠٨
 فوجه ٢١٠
 ذكر بلاد السوس الأقصى ٢١١
 ذكر بلاد السودان و مدنها
 المشهورة و عجائبها و نبذ من سير
 ملوكها ٢١٧
 ترنكة - زافون ٢١٨
 ذكر بلاد غانه ٢١٩
 غياروا - يرسنى - سامه ٢٢١
 أنبارة - كوغة - الوكن ٢٢٢

تيرقى - تادمكة - سجنجوا ٢٢٣

كو كوا ٣٢٥

خاتمة الكتاب ٢٢٦

فهرس الأشخاص و الأماكن و غيرها ٢٣٠

المراجع المذكورة فى الهوامش ٢٤٧

تصويبات ١٥٣

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٣٠

فهرس أسماء الاشخاص و الأماكن و غيرها

(١)

الإباضية ١٤٤

أبراحش ٧٢-٧١

ابراهيم الخليل ١٢-٣١-٧٠-٧١

أبريت ٧١-٨٨

الأبطح ١٠-٦

ابن الأندلسى (أنظر على بن حمدون).

ابن الجزائر ١١٦

ابن الحجاب (أنظر عبيد الله)

ابن الرقيق ١١٤

ابن عباس ٢١-٦٥-١٩٨

ابن عبد الحكم (أنظر عبد الرحمن بن عبد الله).

ابن عفر ٩١

ابن الغمر ٦٢

ابن طولون ١٠٢-٢٠٤

ابن المدبر ٦٠-٨٩

ابن مدرار ١١٧

ابن منقذ (أنظر عبد الرحمن بن محمد) ١٠٧

ابن وصيف - شاه (انظر الوصيفى)

ابن ياسين (أنظر عبد الله)

أبو الحسن على بن محمد بن سليمان

النوفلى ١٩٦-١٩٧

أبو بكر ٨-١٠-٣٨

أبو بكر البكى ١٨٢-١٨٣

- أبو بكر بن عمر اللمتونى ٢٠٩
أبو بكر محمد بن الطيب ٢٠٥
أبو تميم الجهانى ٨١
أبو جعفر أحمد بن ابراهيم المتطب. ١٢٤
أبو جعفر حفص (البرغواطى) ١٩٨
أبو جعفر المنصور (العباسى) ٨٢
أبو الحسن بن حرزهم ١٨٢
أبو خالد يزيد بن الياس ١٩٦
أبو زبا الفارسى ١١١
أبو العباس (أخ الداعى) ٢٠٤-٢٠٥
أبو عبد الله الداعى ١١٧-١٢٨-٢٠٢
٢٠٣-٢٠٤-٢٠٥
أبو عبيد [عبد الله] البكرى. ٨٩-١٢٣
١٣٤-١٩٨-٢٠٧
أبو عبيد الله الملسونى ١٧٣
أبو عفير معاد بن يونس ١٩٨
أبو عمران بن يحيى بن وقتين ٢
أبو القاسم (الشيعى). ٢٠٤-٢٠٥-٢٠٦
أبو قبيس ٥-٢٤-٢٥-٢٩
أبو كسيه ١٩٢
أبو المهاجر ١٧٤-١٧٥
أبو المنصور بن القاسم بن مدرار ٢٠١
أبو يخلف ١٩١
أبو يزيد الخارجى ١٧٢-٢٠٦
أبو يعقوب (انظر يوسف)
أبو يوسف (أنظر يعقوب)
الأتراك ١٠٤
أجدابيه ١٤٤
أجر سيف ١٧٧
الجلندا ١٢٠
أجيات الكبير ٨-٢٤
أحد ٣-٤٣-٤٤-١٧٤
أحمد بن الأغلب ١١٥-١١٦

- الأختين (قلعة) ١٢٢
الأخشبان ٥
إخميم ٥٧-٦٠-٦١-٦٢-٨٤
الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٣١
إدريس الأول (العلوى) ١٩٤-١٩٥-١٩٦
إدريس بن إدريس ١٨٠-١٨١-١٩٦
إدريس بن على بن حمود ١٩٧
آدم ٥٠
الأرض الكبيرة ١١٧
أرسوف ١٠٦
أرشجول (أرشقول) ١٣٤-١٧٧
إرم ذات العماد ٩٢-١٠١
أريس الواح ١٤٨
الأزقاق (مرسى) ١٢٧
أزواوا ١٧٨
اسحاق المتطبب ١١٦
اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي ١٩٤
أسر (نهر) ١٧٧
الإسكندر ٩٢-٩٣-٩٤-٩٥-٩٨
الإسكندرية ٣-٤٥-٦٣-٧٢-٧٩
٨١-٩١-٩٢-٩٧-٩٩-١٠٠-١٠١
١٠٢-١٠٤-١٠٦-١٠٩-١٣٠-١٤٢
١٤٣
اسكندرية (الشام) ١٠٦
أسلى ١٣٤
اسماعيل (الشيعة) ١١٥-١٧٢
اسماعيل بن ابراهيم الخليل ٣١
أسوان ٤٥-٤٧-٨٥-٨٧
أشبرتيال ١٤١
أشيلية ١٩٧
أشتوم دمياط ٦٣
الأشمون ٨٥
أشير ١٧٠

إصطخر ٧٧

أصيلا ١٣٩

أطرابلس ١١٠-١٤٧-١٥٠-١٧٥

أغرم إن يكا من ٢٢٤

أغمات ٢٠٧-٢٠٨-٢١٩

الافرنج ٦٩-٨٦-١٥٥

إفروجى (أنظر فروجة)

إفريقية ٣-٦٩-٩٢-١١٠-١١١-١١٢

١١٣-١١٤-١١٧-١٢١-١٢٢-١٢٤-١٢٨-١٣٣-١٣٩-١٤٣

١٤٨-١٤٩-١٥٠-١٥٣-١٥٤

١٥٥-١٥٦-١٦٠-١٦١-١٦٢

١٦٣-١٦٥-١٦٦-١٦٨-١٧٢

١٧٥-١٧٩-١٩٤-٢٠٦-٢١٢

٢٢٤

أقريطش ٩٢

أقطى ١٣٦

أقناش (بحر) ١٤٢

أكلف ٢٠١

اللامس ٢٢٦

الاقنت ١٣٢

آل عمر ٤٠

الياس بن صالح بن طريف ١٩٨

أم أيمن ٤٣

أمرجوا (حصن) ١٩٠

أمسنا ١٤٠

أنبارة ٢٢٢

أنبيل ١٢١

الأندلس ٦٩-٧٧-٨٦-١٠٣-١٢٤

١٢٦-١٣٣-١٣٧-١٣٨-١٤٠

١٤١-١٥٤-١٧٢-١٧٧-١٧٩

١٨٠-١٨١-١٩٣-١٩٦-١٩٨

٢٠١-٢١٢-٢١٨

أنصنا ٨٥

انكبودة ١١٧

أنوش ٨٥

الأهرام ٣-٥٢-٥٥-٥٦-٥٧-٦٣

٩٤-١٠٣

أودغست ٢١٥-٢١٦

أوربة ١٩٤

أوغام ٢١٦

أوكار ٢١٩

أولاد برنوس ١٨٨

أولاد عطوش ١٨٨

أويات ١٣٧

أياس ١١٠

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٣٢

أيام التشريق ٧-٣١

ايتملين ١٥٨

أيجلى ٢١٢-٢١٣

إيطالية ١١٧

أغريطوق ١٦٣

ايموش ٧٣

أيونا ٢١٤

(ب)

باب ابراهيم ٢٤-٢٥-٢٩

باب أشتوم ٩٧

باب البقالين ٢٥

باب بنى شيبه ٢٦-٢٩

باب بنى طلحة ٢٥

باب بنى مخزوم ٢٥

باب تونس ١١٥

باب جبريل ٣٨-٣٠

باب جعفر ٢٥-٢٧

باب جمع ٢٤-٢٩

باب الخياطين ٢٥

باب دار الندوة ٢٣-٢٤-٢٦

- باب الرحمة ٣٧- ٤٠
 باب السدة ٢٤- ٢٧
 باب السهميين ٢٣- ٢٤
 باب السوارى ٢٦- ٢٩
 باب الصفا ٢٥- ٢٩
 باب الطبرى ٢٧
 باب على بن أبى طالب ٢٥
 باب العمرة ٢٤
 باب عين الشمس (بباجة) ١٦٠
 باب الغرب (جبل) ١٣٢
 باب الغزالين ٢٥
 باب القصر ١٧٦
 باب الكعبة ١٦
 باب مضرب السيل ٣٢
 باب منى ٦- ١٠
 باب الميم (مرسى) ١٣٨
 باب النبى ٢٥
 باب النجارين ١٨١
 باب الوادى ٢٩
 باب اليمانيين ١٠- ٢٤- ٢٥
 باجة ١٢٦- ١٦٠
 باجة الأندلس ١٦٠
 بادس ١٧٥
 باديس ١٣٦
 باديس بن حبوس بن بلجين ١٦٨
 باغاية ١٦٣- ١٦٤- ١٦٩
 بانكسيت ١٦٣
 البجاة ٨٥
 بجاية ١٢٨- ١٢٩- ١٣٠- ١٣١- ١٦٨
 ١٧٢- ٢٠٣
 بجرده (أو مجردة) ١٢١
 بدر ١٧٤
 بدرسانة ٦٣

البدنة (نوع من الثياب) ٨٨

البرانس ٢٠٠

برباط ١٩٧-١٩٨

البربر ٦٩-١٠٩-١١٤-١٣٣-١٣٤

١٣٥-١٣٦-١٣٩-١٤٢-١٤٤

١٤٥-١٤٧-١٥٥-١٥٦-١٦٠

١٦٦-١٦٩-١٧١-١٧٢-١٧٤

١٧٥-١٧٦-١٧٨-١٨٤-١٨٦

١٨٧-١٨٨-١٩٤-١٩٦-١٩٧

١٩٨-٢١١-٢٢٢-٢٢٣

بربى ٣-٥١-٥٣-٥٤-٥٥-٥٧-٥٨

٦٠-٦١-٦٢-٦٣-٨٤

برج بن زواج (بقفصة) ١٥١

بردة ٩١

برغواطة ١٩٣-١٩٧-١٩٨-٢٠٠-٢٠٩

برسان ٥٠-٥٢

برقة ١٤٣-١٤٦

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٣٣

برقال ١٣٨

بسكرة ١٧٣-١٧٤

بسول (بحر) ١٣٧

بشرى ١٥٧

البصرة (بمراكش) ١٨٩

بطن عرنه ٣٥

بطن محسر ٣-٣٤-٣٦

بقيع المدينة ٣-٤٢

بقيع مكة ٧

بطن المسيل ٢٦

بلجين بن زيرى بن مناد ١٦٧

البلهري ٨٦

بليونش ١٢٦-١٣٧

بنزرت ١٢٥

بنطابلس ١٤٣

- بنو أبى قاض ٢٠٠
 بنو إدريس ١٣٦-١٧٧-١٩٣-١٩٦
 ١٩٧
 بنو إسرائيل ٧٧
 بنو أمية ٢١٣-٢٢٢
 بنو يرزال ١٧٢
 بنو بسيل ١٨٨
 بنو بهلول ١٥٧
 بنو تاسليت ٢٠٠
 بنو تانيت ٢٠٠
 بنو تليت ٢٠٠
 بنو حماد ١٦٦-١٦٧-١٦٨
 بنو دمر ٢٠٠
 بنوزغبة ١٧٩
 بنو زلدوى ١٢٨
 بنو زياد ١٨٨
 بنو زيرى بن مناد ١٦٧-١٦٨
 بنو شيبه ١٧
 بنو ضبه ٣٥
 بنو عبيد (و العبيديون الشبعة) ٧٥
 ٩٧-١٦٧
 بنو مذجح ٢
 بنو مرة ١٤٨-٥
 بنو مروان ٨
 بنو مسكين ١٣٣-٣٤
 بنو موسى ٨٨
 بنو الناصر ١٠٢
 بنو هلال ١٧٩
 بنو وارتين ٨٤
 بنو واعم ٢٠٠
 بنو واكست ٢٠٠
 بنو وانسيت ٢٠٠
 بنو ورزيغه ١٨٨

- بنو يوزغ ٢٠٠
 بوريط ١٧٦
 بوصير ٦٣
 بوغرات ٢٢٤
 بونة ١٢٧
 بياتة ١٨٩
 البيت الحرام ١٢-١٣-١٩
 بيت المقدس ٤٣-١٠٤-١٠٦
 بيروت ١٠٦
 بئر ابراهيم ٢٥
 بئر أبى الكنود ١١٠
 بئر غدورة ٢٥
 (ت)
 تانتال ٢١٤
 تادلا ٢٠٠
 تاد مكة ١٤٦-٢٢٢-٢٢٤
 تارودانت ٢١١
 تازا ١٧٦-١٧٩-١٨٦
 تاسغمرت ١٩٣
 الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٣٤
 تاغيت ١٨٥
 تافنى (نهر) ١٣٤
 تاقارات ١٨٧
 التاكوت (نوع من الخشب) ٢٠٧
 تاليت ١٩١
 تامجريت ١٣٥
 تامدلت ٢١٣
 تامروت ١٦٦
 تامسنا ١٩٧
 تامضغيت ٢٠٧
 تامن (نهر) ١٣٣
 تانس (نهر) ١٧٨
 تاهرت ١٧٨

- تاودا ١٩٠
 تاورا ١٨٨
 تاورغى ١٥٨
 تبسا ١٦٢
 تبين ١٠٦
 التركان ١٠٤
 ترشيش ١٢١
 ترنانا ١٣٥
 ترنكة ٢١٨
 تشمس (تشمس) ١٨٩-١٤٠
 تقى الدين (الأيوبى) ١٠٥-١٠٤
 تقيوس ١٥٦
 تكرر ٢١٧
 تلمسان ١٨٦-١٧٧-١٧٦-١٣٤
 التمساح ٨٥-٥٠-٤٦
 تماجر ١١٨
 التنعيم ٢٤-٩
 تنس ١٣٣
 تنيس ١٠٢-٨٧
 تنيس ألواح ١٤٨
 تنزل ١٧٦
 تنمل (تنملل) ٢٠٨
 تهودا ١٧٥-١٧٤-١٤٧-١١٤
 توزر ١٥٨-١٥٦-١٥٥-١٣١
 ١٦٠-١٥٩
 تونس ١٢٥-١٢٣-١٢١-١٢٠-١١٥
 تيطوان ١٩١-١٣٧
 تيرقى ٢٢٤-٢٢٣-٢٢٢
 تيلمت ٢٠٩
 تيسرة ١٩٤
 (ث)
 ثافى ١٧٧
 ثليث ٢٠٠

(ج)

الجايية ٧٨

جبل ابن عمران ٩

الجبل الأبيض ٦

جبل أجياد ٨-٩

الجبل الأحمر ٦

الجبل الأشهب ١٨٨

جبل أوراس ١٦٣-١٦٤-١٧٣-١٧٤

جبل باب الغرب ١٣٢

جبل البغل ١٧٦

جبل البكا ٩

جبل بنى زلدوى ١٦٦-٢٠٣

جبل بنى قرح ٣٤

جبل تاجرا ١٣٥

جبل تاورناية ١٧٦

جبل جزولة ١٦٣

جبل حاميم ١٩١

جبل الحديد ٢١٣

جبل حلق و اجر ١٣٢

جبل الخندمة ٦

جبل درن ١٦٣-٢٠٦-٢٠٨-٢٠٩-٢١١

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٣٥

جبل الرحمة ٣-٣٥

جبل زالغ ١٢٧

جبل زرهون ١٩٤

جبل زغوغ ١٢٧

جبل الشمس ١٦٠

جبل الطور ١٠٦

جبل العنصل ١٦٦

جبل غماره ١٩٠

جبل فازار (أنظر فازار) ١٨٥-١٨٧

جبل قرقل ١٧٨

جبل قعيقعان ٨

- جبل قلقل ١٧٩
 جبل القمر ٧٣-٤٥
 جبل كتامه ١٢٨
 جبل الكتف ١٦٣
 جبل كوين ١٣٦
 جبل مجكسه ١٩٢
 جبل مسيون ١٣٠
 جبل المصامدة ١٦٣
 جبل المقطم ٢١١
 جبل ملان ١٦٣
 جبل المينا ١٣٧
 جبل نفوسه ١١٠-١٤٤-١٤٥-١٤٦-١٦٣
 جبلة ١٠٦
 جدالة ٢١٤-٢١٧
 جدة ٨٧-٤
 جراوة ٢٠٠
 الجريد (بلاد) ١١٢-١٣١-١٤٩-١٥٠
 ١٥٥-١٥٦-١٥٧-١٦٠
 ١٧١-١٧٥-٢٠٢-٢٢٤
 جزائر بنى مزغناى (الجزائر) ١٣٢
 جزائر قرطناقش ١٣٩
 جزولة ٢١٢
 الجزيرة (موضع دار الصناعة بمصر) ٧٩
 جعفر بن على بن حمدون ١٧٢
 جعفر بن محمد الصادق ٢٠٣-٢٠٥
 جفن ٨٥
 جفو ٢١٨
 الجلندا (الملك) ١٢٠
 جلولا ١١٩
 الجمرة ٣٠-٣١
 جنياره ١٨٨
 الجورى (عطر) ١٥٤
 جوز هرتنانه (مرسى) ٢٠٧

الجوزى ١٨٣

جيجل ١٢٨

جيرون ٧١-٧٢-٩٤

(ح)

الحاكم (من بنى عبيد) ٨٣

الحامة ١٥٧-١٥٨

حامة بنى بهلول ١٥٧

حامة مطماطة ١٥٥-١٥٩

حاميم بن من الله ١٩١-١٩٢

حباسة ٦٣

الحبشة ٨٥-١٠٣

حبوس بن بلجين بن زيرى ١٦٧

الحجاج بن يوسف ١١

الحجاز ٨٧

الحجون ٧

الحجر ١٢-١٨

الحجر الأسود ١٧-١٩

الحرم ٤-٨-٣٥

حسان بن النعمان ١١٤

الحسن (بن على) ٤٠

الحسن (الزيرى صاحب المهديّة) ١١٨

الحسين (بن على) ٤٠-٢٢٤

الحسنون (بنو ادريس) ١٣٦

حصن العهود ٢٢٤

حصن الفروس ١٣٥

حصن و هنين ١٣٥

الحطيم ٢٨

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٣٦

حلق رشيد ٤٧

حماد بن حبوس ١٦٧-١٦٨-١٦٩-١٧٠

الحمراء (أنظر البصرة) ٠٠٠

حمزة بن عبد المطلب ٤٤

حمزة بن محمد المصرى ٩٩-١٠٠

حمير ٩٢

الحنية ١٥٢

حورية ٧١-٧٢-٧٣

حيفا ١٠٦

(خ)

الخرز (مرسى) ١٢٦

الخرية ٨٦

الخضراء ١٧١

خط الاستواء ٤٥-٧٣

الخلقطين ٥٠

خميس العدس ٩٨

الخدمه (أنظر جبل الخدمه)

الخواص (طير) ١٢٧

الخيف (مسجد) ٧

(د)

دار ابراهيم ٢٤-٢٥

دار أبى جهل ٢٥

دار الأمة (بمراكش) ٢٠٩

دار البحر (قصر) ١٦٨

دار جعفر ٢٧-٣٠

دار الحصى ٨٢

دار الحنطة ٢٥-٢٧

دار السيدة ٣٧

دار الصناعة (بتونس) ١٢٠

دار الصناعة (بمصر) ٧٩

دار العجلة ٢٦-٢٧

دار الفرج (بمراكش) ٢١٠

دار الندوة ٨-٢٣-٢٤-٢٦-٢٧

دارم ٧٦

داوود ٧٧-١٥٥

الداروم ١٠٦

دائه ١٦١

دانية ١٣٢

دبو ١٩١

درجين ١٥٩

درعة ٢٠٦-٢٠٧-٢١٣

درن (أنظر جبل درن)

درنة (بافريقية) ١٦١

دريموس بن الريان ٧٦

دكالة ٢٠٩

دلاص ٨٤ الإستبصار فى عجائب الأمصار؛ النص؛ ص ٢٣٦

وكة ٩٤

دليفة ٧٣

الدمدم ٢٢٥

دمنات ٢٠٩

دمياط ٨٧-٨٨-١٠٢

(ذ)

ذو مشيل بن عدبيل ٦٥

ذو طوى ٤-٩

ذو القرنين ١٧٥

ذو النون الإخميمى ٥٨

(ر)

رادس ١٢٠

رأس العين ١٥٢

راشد (مولى ادريس) ١٩٤-١٩٥-١٩٦

ربض أجياد الكبير ٩

ربض قعقعان ٩

ربيعة (قبيلة) ٨٥

ربيعة بن حبيب ٩١

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٣٧

الرباط (رباط تازا) ١٨٦

رباط جوز ٢٠٩

رجراجه ٢٠٧

ردات (نهر) ١٨٨

رشيد ٤٧-٨٩

الرعاد (سمك) ٤٦

رفح ٧٨

رقادة ١١٥-٢٠٤

الرقادة (مرضى النوم) ١٩٢
(أركان الكعبة):

ركن أبى قبيس ٢٤

ركن أجياد ٢٤

الركن الأسود ٥-١٠-١١-١٢-١٧-٢٢

ركن بنى جمح ٢٣-٢٤

ركن بنى شيبه ٢٣-٢٤

ركن دار جعفر ٢٥-٣٠

الركن الشامى ١٠-١١-١٦-١٧-١٨-١٩

الركن العباسى ٣٠

الركن الغربى ١٠-١١-١٨-٢٣-٢٨

ركن القبة ٢٢

ركن الكعبة ٢٢

ركن المنار ٢٤-٢٩

ركن منى ٢٤

الركن اليمانى ٩-١٠-١١-١٢-١٤

١٦-١٨-٢٣

الرملة ١٠٥-١٠٦

رندة ١٦٥

الروضة (قبر النبى) ٣٨

روضة العباس بن عبد المطلب ٤٢

روضة ابراهيم (ولد النبى) ٤٢

روضة عثمان ٣-٤٢

الروم ٧٩-٨٠-٨١-٩٢-١٠١-١٠٤

١٠٥-١٠٦-١١٨-١٢٦-١٢٧

١٣٠-١٤٢-١٥٥-١٥٦-١٧١

١٧٥-٢٠٧-٢٠٨

رومة ٩٢-٩٤-١٢١-١٢٢

الريان بن الوليد ٧٣-٧٤-٧٦-٧٧

الريحانة (طرف) ١٤٢

(ز)

الزاب ١١١-١٤٧-١٤٧

١٧١-١٧٢-١٧٥

زافون ٢١٨

زالغ (أنظر جبل زالغ)

زبيدة (زوجة الرشيد) ٢٢

الزبير بن العوام ٧٩-٨٢

زحل ٥١-٦٩

زغوغ (جبل) ١٢٧

زغاوة (قبيلة) ٢٠٠

الزقاق (بحر) ١٣٧-١٣٨

زلى (واحد) ١٤٧

زليخة بنت صاحب عين الشمس

٧٤-٧٥-٨٤

الزمرد ٨٦

زمزم ٢٠-٢١-٢٢-٢٣-٢٨

زناتة ١٧٦-١٧٩-١٩٧

١٩٨-٢٠٠-٢٠٧

الزنج ٤٦

زواغة ٢٠٠

زويلة ١١٧-١٤٦-١٤٧-٢٢٥

زيان (حصن) ١٣٥

زيدور (فحص) ١٣٤

زيرى بن مناد الصنهاجى ١٧٠-١٧١

زينب بنت ابراهيم النفزاوى ٢٠٩

(س)

ساوس ٦٨

سامة ٢٢١

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٣٨

سبتة ١٢٦-١٣٧-١٧٩-١٩٧

سيبنة ١٢٩-١٦١-١٦٨

التسيخ سبخ ١٥٨

سبو (نهر) ١٨٤-٩٠

سجلماسة ١١٧-١٣٥-١٧٢-١٧٦

١٧٩-١٩٣-٢٠٠-٢٠١

٢٠٢-٢٠٤-٢١٦

سجنجوا ٢٣

سرت ١٠٩

السرطان ١٥٣

سطفسييف ١٧٦

سطيح الكاهن ١٩٨

سطيف ١٦٦

سعد بن أبى وقاص ٤٣

سعد بن حيشمة الأنصارى ١٤٣

سعيد بن ادريس بن صالح ١٣٦

سفاقس ١١٦

سقاية عباس ١٣٦

سقف الكعبة ١٥

سكوما ١٩٤

سليمان (النبي) ٧٧-٩٥-٩٩

سلا ١٤٠-١٥١

سليم (قبيلة) ١٥٠

سليمان بن جرير الجزيرى ١٩٥-٢٩٦

سلى ١٧

سماطة ١٧٥

سمرقند ١٢٤

سمنود ٥٨-٦١-٦٣

السميدع بن جرهم ٨

السند ٨٦

سهر (نهر) ١٦٧-١٧١

سهل بن قيس بن سعد ٤٤

السودان ٤٦-١١٢-١٤٦-١٤٩

١٧٥-١٨١-٢٠٩-٢١٢

٢١٣-٢١٥-٢١٦-٢١٧

٢١٨-٢٢١-٢٢٢-٢٢٣

٢٢٥ سورت ٥٢

السوس ١٤٧-١٩٣-٢١١-٢١٢

٢١٣-٢١٤

سوسة ١١١-١١٩-١٢٠

السوق القديم (مدينة) ١٨٨

سيرات (فحص) ١٧٨

سيف الدين (الأيوبي) ١٠٥

(ش)

الشام ٧٧-٩٥-١٠٤-١٣٠-١٥٣-١٥٥

شبيون ١٢٢

شداد بن عاد ٩٢-٩٥

شرشال ١٣٢

الشروب (ثياب) ٨

شروس ١٤٤

شريعة ابراهيم (مصلى) ٣٥

شعب أبى بكر ١٠

شعب أجياد ٥

شعب عثمان ١٠

شعب على ١٠-٥

شعب عمر ٥

شقبنارية ١٦٥

شلب (وادي) ١٤١

شلف ١٧١

شمعون ١٩٧

شنة ٩١

شهر بن حوشب ٠٠٠

الشويك ١٠٥

شيبان غلام النمرود ١٥٠

شيخ المؤمنين (أبو يزيد الخارجي). ٢٠٦

(ص)

صالح (النبي) ١٢٥

صالح بن طريف البرباطى ١٩٣-١٩٧-١٩٨

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٣٩

صبرة ١١٥

الصعيد ٨١-١٠٢

الصفحة ٣-٥-٢٥-٢٦-٢٩-٣٠

صفروى ١٩٣

صفورية ١٠٦

صقلية ٩٢-١٠٤-١١٧-١١٨-١١٩

١٣٠-١٥٦

صلاح الدين أنظر يوسف بن أيوب

صنغانة ٢١٧

صنهاجة ١٢٩-١٣٠-١٣١-١٣٦-١٧٩

٢١٣-٢٢٤

صنهاجة (مدينة) ١٨٩

صور ١٠٦

صيداء ١٠٦

الصين ٨٦-١٢٦-١٣٠

(ض)

الضبي ١١١

(ط)

الطائف ٤

طبرقة ١٢٦

طبرية ١٠٥-١٠٦

طبنة ١٧٢-١٧٥

طرابلس (أنظر أطرابلس)

طرف أوثان ١١٠-١٦٣

طرف أيغير ١٤٢

طرف الريحانة ١٤٢

الطرميد ١٥٢

طرة ١٥٧

طريفة ١٣٨

الطلق (حجر) ١٥

طنجة ١٠٣-١١١-١٣٨-١٣٩-١٤١

١٧٩-١٨٨-١٩٠-١٩٢

الطواف ٢٠

طواف الإفاضة ٣٢

الطور ٨١

الطوفان ٥٣-٦٥

(ع)

عاد (و العاديون) ٩٢-٦٦-١٢٤

عاشوراء ١٥٤

عبادة بن الصامت ٨٠

عبد الله بن الزبير ١٣-١٥

عبد الله بن عمرو بن العاص ٩٤-٩٥-١٧٤

عبد الله الكفيف الطنجي ١٩١

عبد الله بن ياسين ١٩٨-٢١٧

عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ٧٨

عبد الرحمن بن محمد بن منقذ الأزدي ١٠٧

عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ١٢٤

عبد الملك بن حبيب ٩١

عبد الملك بن مروان ٨٢

عبد المؤمن بن علي ٢٠٨

عبيد الله الشيعي ١١٥-١١٧-٢٠٢-٢٠٣

٢٠٤-٢٠٥

عبيد الله بن الحبحاب ١٢٠

العبيديون الشيعة (أنظر بنى عبيد)

عجروود ١٣٦

عجيسة (فحص) ١٦٧-١٧٢

عدن ٨٦

عدوة الأندلس (فاس) ١٨٠-١٨١

عدوة القرويين (فاس) ١٨٠-١٨١-١٨٥

عديم ٦٧

العراق ٤-١٩٥

عرفة ٣-٣٥

عرفات ٣٠-٣٥

عروبة (بن يوسف) ٢٠٥

العريش ٧٨-١٠٢

العزير (صاحب يوسف) ٧٣-٧٤-٧٥-٨٤

عسقلان ١٠٦

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٤٠

العشريون ١٤٠

عطار ٤٥

عقبه الأفارق ١٩٠

عقبه بن نافع ١١٣-١١٤-١٤٦-١٤٧

١٧٤-١٧٥-١٨٦-٢٠٨

٢١٢

عكة ١٠٦

عكرمة مولى بن عباس ٢٠١

على (بن يوسف بن تاسفين) ٢٠٩

على بن أبى طالب ٨٣-٢٠٥

على بن اسحاق بن غانية (شقى

ميورقة) ١١٢-١٣١-١٥٥

على بن حمدون بن سماك المعروف

بابن الأندلسى ١٧٢

على بن حمود (الإدريسى) ١٩٦

على بن الرند ١٥١

على بن يوسف بن أيوب ١٠٥

عمار الأعمى ٢٠٥

عمر بن الخطاب ٣-٣٨-٧٨-٧٩

٨١-١٤٤

عمر بن عبد العزيز ١٠١

عمرو بن العاص ٤٩-٧٨-٧٩-٨١-٩١

١٠٠-١٤٤-١٤٦-١٧٤

عنده ١٦١

عوف بن مالك ١٠١

عيزاب ٨٧

عيسى (النبي) ٧٧-١٦٠-١٩٨

عيصوم ٧٦

عين أبى السباع ١٦٦

عين أوبان ١٧٣

عين جفان ١٢٣

عين الشمس ٧٤-٨٤

عين الشمس (عين ماء) ١٦٠

عين المنستير ١٤٢-١٥٣

(غ)

غار المرسلات ٣٣

غانة ١١١-٢٠٠-٢١٣-٢١٤-٢١٦

٢١٧-٢١٩-٢٢٠-٢٢١-٢٢٢

٢٢٣-٢٢٥

غدامس ١٤٥-١٤٦-١٤٧-١٥٨-٢٢٤

الغدير ١٦٧-١٧٢

غزة ١٠٦

غزوة الأشراف ٢١١

الغطاس (ليلة) ٤٩

غياتة ١٨٦

غياروا ٢٢١

غيلان القدرى ١٩٧

(ف)

فازار (جبل) ١٨٧

فاس ١٠٧-١٨٠-١٨١-١٨٦-١٨٧

١٨٨-١٩٠-١٩٣-١٩٤-١٩٦

١٩٧-٢٠٢

فاطمة الزهراء ٤١

الفاروس ٩٧

فج الحمار ١٥٤

فحص زيدور ١٣٤

فحص قل ١٦٠

الفخرى ١٢٧

الفرس ٧٧

فرعان ٦٥

الفراعنة ٦٤-٧١

فرعون ٧٧-٨٣-٨٤-٨٥

الفرما ٨٨-٨٩-١٠١

فروجة (أفروجى) ٢١٠

الفرويون (بلاد) ٢١٩

فزار ٨٥

الفسطاط ٧٨-٧٩-٨١-٨٢-٨٣-٨٥

الفقيه عبد الملك ٢٢٤-٢٢٥

فكان ١٣٥

فلسطين ١٠٦-١٥٥

الفتاس ١١٩

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٤١

الفنك ١١٢-١٥٩-٢١٤

الفولة ١٠٦

الفيوم ٥٧-٧٤-٧٥-٩٠-٩١-١٠٢

(ق)

قابس ١١٢-١١٣-١٥٠-١٥٢-١٥٩

١٥٩-١٩٣

القاسم بن حمود ١٩٧

القاهرة ٨٣

قبرص ١٠٢

قبر حمزة بن عبد المطلب ٤٤

قبر سهل بن قيس بن سعد ٤٤

قبر مالك ٥٢

قبر مادغوس ١٦٤

قبر النبي ٣٧-٣٨

القط ٦٥-٦٩-٧٠-٧١-٧٣-٧٤

٧٧-٧٩

قبة زمزم ٢٢

قبور الشهداء ٣-٤٣

قراقوش ١١٠-١١١

قرطاجنة ٣-١٢٠-١٢١-١٢٢-١٢٣

١٢٤-١٣٨-١٦٢-١٦٥

قرطبة ١٩٢-١٩٦-١٩٧-٢٠١

قرطناقش (جزائر) ١٣٩

قرقل (جبل) ١٧٨

القرمطى (القرامطة) ٦-١٧-٢٠٥

قرمونة ٧٧

قريش ٢٦-١٤٢

- القسطنطينية ١١٣-١٣١
 قسطنطينية ١٤٧-١٥٥-١٥٦-١٥٧
 ١٥٨-١٥٩-٢٠٢
 قسطنطينية ١٢٧-١٦٥-١٦٦
 قصر البجر ١١٥
 قصر زيان ١٣٥
 قصر عبد الكريم ١٨٩
 قصر الفلوس ١٣٣
 قصر الكاهنة ١١٨
 قصر كتامة ١٩٠
 قصر لخم ١١٨
 قصر مصمودة ١٣٨
 قصور أبى معد ١٤٢
 قصور قفصة ١٥٤
 قصور واجان ١٤٦-١٤٧
 قطفير ٧٤
 قطين ٦٦-٦٩
 قعيقان ٨-٩
 قفصة ١٤٧-١٥٠-١٥١-١٥٢-١٥٣
 ١٥٤-١٥٩
 قفط ٥٨-٦٧-٨٧
 القل (و أنظر فحص قل) ١١٧-١٦٦
 قلب الأسد ٥٣-٥٥
 القلزم (بحر) ٨٥-٨٧
 قلعة أبى طويل ١٢٨-١٦١-١٦٧-١٦٨
 قلعة بن جندوب ١٩٠
 قلعة حماد ١٢٨-١٢٩-١٦١-١٦٦-١٦٧
 ١٦٨-١٧٠-١٧١-١٧٢
 قلعة زيد ١٨٦
 قلعة مهدى ١٨٥
 قلقل (أنظر جبل) ١٧٩
 قلنبوا ٢١٧-٢١٨
 قلورية ١١٧

- قمنوش ٦٤
قوص ٨٥
قومس ١٢٣
القيروان ١١٣-١١٤-١١٥-١١٦-١١٧
١٢٩-١٣٩-١٤١-١٤٤-١٤٧
١٥٢-١٥٤-١٦١-١٦٨-١٦٩
١٧٢-١٧٣-١٧٥-٢٠٤-٢٢٤
قيس بن الحارث ٩١
القيسيون (القيس) ٩١
قيصارية ١٠٦
القيطاني ١٢٧
قيطون بياضه ١٧٥
الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٤٢
(ك)
كارم ٩٢
كانم ١٤٦
الكاهنة ١١٨-١٤٥
كتامة ١١٧-١٦٦-١٨٩
٢٠٣-٢٠٤-٢٠٥
الكتف (أنظر جبل) ١٦٣
كربلاء ٢٢٤
كرت ١٨٩
الكرك ١٠٥
الكركهن ٩٨
كرنايه ١٣٦
كسر الخليج ٤٩
الكسوة (كسوة الكعبة) ١١-١٢
كسيلة (ابن أقدم) ١٧٥
الكعبة ٨-٩-١٠-١١-١٣-٢٠-٢٢
كلكن ٧٠-٧١
كنزة أم إدريس ١٩٦
الكنعانيون ٧١
كوغة ٢٢٢

كوکوا ١١١-٢٢٥

کوين (أنظر جبل) ١٣٦

الکيکل (انظر الخواص) ١٢٧

(ل)

اللاهون ٩٠

لخم (و انظر قصر لخم) ٧٧

لغانية ١٣٢

لکس (نهر) ١٨٩

لمتونة ٢١-١٥

لمطة ٢١٢-٢١٣

اللمط ٢١٤-٢١٦

لواتة ١٤٤-١٤٨-١٦٣

لواتة مدين ١٩٣

اللؤلؤة ١٣٠

الليث بن سعد ٨٩

(م)

ماء الفرس ١٤٦

مارية القبطية ٧٩-٨٥

المأزمان ٣٦

ماقة ٦٥

مالک (بن انس) انظر قبر ٠٠

ماليا ٧١

ماليق ٦٩

المأمون بن هارون الرشيد ٥٦-٥٧

المأمون (القاسم بن حمود) ١٩٧

مالقة ١٩٧

المتکا ٩

المتوکل ٥٩

متيجه ٣٢

مجانة ١٦١

مجکسة (جبال) ١٩٢

المجوس ١٣٩

المحجة ٣٢

- محراب سليمان ١٣٢ - ١٧٠
المحصب ٧ - ٣٢
محمد ١٩١ - ١٩٨
محمد بن أبى عامر ١٣٧
محمد بن إدريس (بن إدريس) ١٩٦
محمد بن اسماعيل بن الحسن بن على
بن جعفر (والد عبيد الله المهدي) ٢٠٣
محمد بن عباد ١٩٧
محمد بن هانئ الأندلسى ١٧٢
محمد بن يوسف (ابن الوراق) ١٧٣
مدرار بن عبد الله ٢٠١
المدينة (مدينة الرسول) ٨٣
المدينة (من أرض نفاوة) ١٥٨
الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٤٣
مراسة ٢٢٤
مراكش ١١١ - ١٤١ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠
مرسى الأزقاق ١٢٧
مرسى أزقور ١٧٩
مرسى باب الميم ١٣٨
مرسى باديس ١٣٦
مرسى جوز هرتنائة ٢٠٧
مرسى الخرز ١٢٦
مرسى الدجاج ١٣١
مرقة ٥٤
المروة ٣ - ٩ - ٢٦ - ٢٩ - ٣٠
مرماجنة ١٦٢
مريم (عم) ١٤٢
مريوط ١٠١
مزاته ١٤٧
المزدلفة ٣ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٦
مسجد أم سلمة ٣٥
مسجد بيعة الأنصار ٣٢
المسجد الحرام ٣ - ٥ - ٦ - ٨ - ٢٣ - ٢٤

- ٢٧-٢٨-٢٩-٣٣
 مسجد الحواريين ١٥٢
 مسجد الخيف ٧-٣٣
 مسجد سليمان ٩٦
 مسجد قبا ٣-٤٢-٤٣
 مسجد المزدلفة ٣٣
 مسجد النبي (مسجد الرسول) ٣-٣٦-٣٧
 ٨٣-٤٠
 المسعودى ١٩٨-٢٢١
 المسعى ٢٦-٢٩
 السفلة ١٠
 المسند (القلم) ٩٢
 مسوفة ١٤٥-١٧٩-٢٠١
 المسيح ٨٠
 المسيلة ١٦٧-١٧١-١٧٢-٢٠٦
 مسيون (أنظر جبل) ١٣٠
 مشانس ١١٧ المشعر الحرام ٣١-٣٤
 مصر ٣-٤٥-٤٦-٤٧-٤٨-٤٩-٥٠
 ٥١-٥٣-٥٦-٥٧-٥٨-٥٩-٦٥
 ٦٦-٦٨-٦٩-٧١-٧٢-٧٣-٧٤
 ٧٥-٧٦-٧٧-٧٨-٧٩-٨١-٨٢
 ٨٣-٨٤-٨٥-٨٧-٨٩-٩٠-٩١
 ٩٧-٩٩-١٠٠-١٠٢-١٠٤
 ١٠٦-١٠٩-١٢٧-١٣٠-١٤١
 ١٤٧-١٥٣-١٥٤-١٥٥-١٥٨
 ١٦٧-١٧٤-١٨٠-١٨٥-٢٠٣
 ٢٠٤-٢١١
 مصر بن بنصر ٦٥-٦٦-٦٧-٦٩-٧٧
 مصرام ٥٠-٥١-٥٢
 مصمودة (و المصامدة) ١٣٨-٢١١
 مضاض بن جرهم ٨
 مضرب السيل ٣٢
 مضرب المعتز ٣٢

- مطرفة ١٣٥-١٧٩-٢٠٠
 مطماطة (قبيلة) ٢٠٠
 مطماطة أمكسور ١٩٣
 المطيع لله (أمير المؤمنين) ١٤
 المظفر بن أبى عامر ١٩٠
 معاوية بن أبى سفيان ١١٣-١٧٤
 معاذ بن عمرو ٤٤
 معاذ بن عمرو بن الجموح ٤٤
 المعتضد (الخليفة العباسى) ٢٠٤
 المعتمد بن عباد ١٨٧
 معد بن اسماعيل بن عبيد الله الشيعى ١١٤
 معدن عرام ١٨٥
 المعز بن باديس ١٦٧-١٦٨
 المعصومة (قصة) ١٧٨
 المعلقة ١٢٢
 المعلى ٦
 المغرب ٣-٥٧-٨٦-١٠٣-١٠٩
 ١٣٣-١٣٦-١٤٢-١٤٤-١٤٧
 ١٥٣-١٥٥-١٥٩-١٦٣-١٧٢
 ١٧٤-١٧٥-١٧٦-١٧٩-١٨٠ الإستبصار فى عجائب الأمصار ؛ النص ؛ ص ٢٤٤
 الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٤٤
 ١٨١-١٨٣-١٨٤-١٨٥-١٨٦
 ١٨٧-١٨٨-١٨٩-١٩٠-١٩٣
 ١٩٤-١٩٦-١٩٧-٢٠٠-٢٠٢
 ٢٠٣-٢٠٦-٢٠٧-٢٠٨-٢١٠
 ٢١٢-٢١٥-٢٢٦
 المغرب الأوسط ١٧٦-١٧٧-١٧٨
 ١٧٩-١٨٦
 المغنطيس ٤٧
 المغيرية ١٦٠
 مغيلة ١٨٨
 مغيلة ألقاط ١٩٣
 المقام ١٩-٢٠

المقتدر بالله (أمير المؤمنين) ١٤-٩٧

مقرب بن ماض ١٤٨-١٤٩

المقطم ٦٦-٢١١

المقوقس ٧٨-٧٩-٨٠-٨١-٨٥

مكة ٣-٤-٥-٦-٧-٩-١٠-٢١

٢٢-٢٥-٢٦-٣١-٣٢-٣٦

٢٠٣-٢٢٣

مكناسة (قبيلة) ١٨٦

مكناسة تازا (أنظر رباط تازا) ١٨٦

مكناسة الزيتون ١٨٧-٢١٠

ملان (وادي و جبل) ١٦٣

الملترم ٢٢

الملثمون ١٧٧-١٨٢-١٩٠

ملسون ١٧٣

ملقطه ١١٨

ملوية ١٧٧-١٧٩-١٩٣

مليانه ١٧١-١٧٦

مليله ١٣٥-١٧٦

منار الاسكندرية ٧٢-٩٤-٩٥-٩٦

٩٧-٩٨

منبت الأراك ٣٥

المنستير ١٢٠

المنستير (عين) ١٥٢

المنصور العباسي (أنظر أبو جعفر)

المنصور بن أبي عامر ١٣٥

المنصور بن حماد ١٢٨-١٢٩-١٦٨

المنصورة (صبرة) ١١٥

المنصورية (بجادية) ١٢٨-١٢٩

منف ٦٥-٧٠-٧٢-٧٧-٨٣

منية (نهر) ١٧٨

المنى ١٤٢

منى ٣-٧-١٠-٣٠-٣١-٣٢-٣٣-٣٤

المهدى (ابن تومرت) ١-٢٠٨

- المهدى (العباسى) ٢٥-٢٠٥
المهدى الأكبر ١٩٨-٢٠٣-٢٠٤
المهدى بن توالى الجيفشى ١٨٧
المهدية ١١٧-١١٨-١٦٨-٢٠٤
٢٠٥-٢٠٦
المهماز ١٧٧
الموحدون ١٣١-١٥١-١٥٩-١٨٢
المواربة ١٩٢
الموس (مدينة) ١٤٦
الموس (الكاهن) ٥٢
موسى (النبي) ٧٧-١٩١-١٩٨
الموقف (مكة) ٣٥
الموقف (مصر) ٧٤
المؤلف ٣٦-٤٤-٥٢-١٦٠-١٨٤
١٨٨-١٩٠-١٩٣-٢١٧
المومياء ٨٥
الميزاب ١١-١٩-٢١-٢٣
ميسرة ٢١١
ميلة ١٦٦
ميورقة (و الميورقى) ١١١-١٢١-١٣١
١٥١-١٥٩
(ن)
نابلس ١٠٦
الناصر (المروانى) ١٣٦-١٣٨-١٩٢
ناصره ١٠٦
الناظر ١٠٤-١٣١-١٥٠-١٥٩
١٨١-١٨٤-١٨٥-١٩٧
٢٠٢-٢٢٦
الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٤٥
النبي ٢٧-٤٣
نجطة (قبيلة) ٢٠٠
ندرومة ١٣٥
نفزاوة ١٥٧-١٥٨

نقطه ١٥٦ - ١٥٨

النفر ٣١

نفوسه (انظر جبل)

نفيش ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩

نقاوس ١٧٢

نقراوش ٥٠ - ٥٢ - ٧٣

نقيطة ٩١

نكار (جبل) ١٧١

نكر (نكور) ١٣٦

نمرود ابراهيم الخليل ٧٠ - ٧٥

النوبة ٥٠ - ٨٧ - ١٤٨

نوح ٦٤

نول ١٤٢ - ٢١٢ - ٢١٥

نول لمطة ٢١٣

النيل (و نيل مصر) ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩

٥٠ - ٥٢ - ٥٤ - ٥٧ - ٧٣

٧٤ - ٧٥ - ٧٦ - ٧٨ - ٨٠

٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٩

٩٠ - ١٠٢ (نيل المشرق)

١٨٥ - ٢١١ (٢١٧)

٢١٨ - ٢٢١ - ٢٢٢

٢٢٤ فى السودان).

(ه)

هارون الرشيد ٤٨ - ١٩٥

هبل ٢٦

هجر ٤

الهرجان ٢١٠ - ٢١٢

الهرولة ٢٤

هشام بن عبد الحكم ١٩٥

هشام بن عروه بن الزبير ٨٢

هشام بن عبد الملك بن مروان ١١٥

الهند ٨٦ - ٨٧ - ٩٨ - ١٢٦ - ١٣٠

الهنهين ٢٢٢

هورشيش ٤٨

(و)

واجان (قصور) ١٤٦

الواحاح ١٤٧-١٤٨-١٤٩

الواح الخارج ١٤٨-١٤٩

الواح زلى ١٤٧

الواح صبروا ١٤٨

وارجلان ٢٢٤

وادي بايش ١٥٣

وادي ترجا ٢١٣

وادي تنسيفت ٢٠٩

وادي درعه ٢٠٦-٢٠٧-٢١٣-٢٢٥

وادي سبو ١٨٤-١٨٥-١٩٠-١٩٣

وادي شلب ١٤١

وادي فاس ١٨٠

وادي فرغانه ١٠١

الوادي الكبير (عين) ١٥٢

وادي ماسه ٢١١

وادي مجمع ١٧٦

وادي ملان ١٦٢-١٦٣

وادي نفيس ٢٠٩

وادي وانسيفن ١٨٥

وادي وريكه ٢٠٩

الواضع ٢٠٥-٢٢٦

الوردانية ١٣٥

ورغه (نهر) ١٣٦-١٩٠

الورل ٤٦

وزجاي بن ياسين ٢١٧

الوصيفي (ابن وصيف شاه) ٦٠-٦٢-١٠٣

وقعه الريض ٢٠١

وقعه فخر ١٩٤

الإستبصار فى عجائب الأمصار، النص، ص: ٢٤٦

الوكن ٢٢٢

- الوليد بن دوع ٧٣
الوليد بن عبد الملك ١٣-٩٥-١٣٦-١٩٤
الوليد بن مصعب ٧٧
و ليلي ١٩٤-١٩٦-٢١٤
و هران ١٣٣-١٣٤-١٧٩
و هنين (حصن) ٣٥
(ي)
يافا ١٠٦
بيننا ١٠٦
يحيى بن اسحاق (بن غانية) ١١٢
يحيى بن خالد (البرمكي) ١٩٥
يحيى بن علي بن حمود ١٩٧
يرسني ٢٢١
يزيد بن معاوية ١٧٤
اليسع بن مدرار ٢٠٤
يعقوب (النبي) ٧٥-٧٦
يعقوب (أبو يوسف المنصور الموحدى) ١
١٥٠-١٣١-١١١-١٠٧-١٠٤
٢١٠-٢٠٩-١٥٩-١٥١
اليمن ١٣٠-٨٧-٤
يوسف (النبي) ٧٣-٧٤-٧٥-٧٦-٩٠
يوسف بن أيوب (صلاح الدين) ١٠٤
١٠٥-١٠٦
يوسف بن تاشفين ٢٠٨-٢٠٩-٢١٩
يوسف بن عبد المؤمن (أبو يعقوب) ١٤٠
٢١٠-٢٠٩-١٥٩
يوم عاشوراء ١٥٤
يونس بن الياس ١٩٨

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).
قال الإمام عليُّ بنُ موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ
كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - فِي تَلْخِيصِ بَحَارِ الْأَنْوَارِ، لِلْعَلَّامَةِ فِيضِ الْإِسْلَامِ، ص ١٥٩؛ عِيُونَ أَخْبَارِ الرُّضَا(ع)، الشَّيْخ

الصّدوق، الباب ٢٨، ج ١ / ص ٣٠٧).

مؤسس مُجتمَع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - "رحمه الله" - كان أحدًا من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتَهَرَ بشَعْفِهِ بأهل بيت النبي (صلواتُ الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجلَ اللهُ تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقه لم ينطفي مصباحها، بل تُتبع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: دينيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافه الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرر الأذق للمسايل الدينيه، تخليف المطالب النافعه - مكان البلايتي المتبدله أو الرديئه - في المحاميل (=الهواتف المنقوله) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعة جامع ثقافيه على أساس معارف القرآن و أهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءه و إغناء أوقات فراغه هواه برامج العلوم الإسلاميه، إناله المنابع اللازمه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في جامعه، و...

- منها العداة الاجتماعيه: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافه الاسلاميه و الايرانيه - في أنحاء العالم - من جهه أخرى.
- من الأنشطة الواسعه للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءه

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركه و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدّه مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديّه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيره SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسه" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين في الجلسه

(ي) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه

المكتب الرئيسى: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "بنج رمضان" و "مفترق وفانى" / بنايه "القائمية"

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنيّه: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الإلكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتي: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية والمبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكوميته، و غير ربحيته، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم المتزايد والمتسع للامور الدينيه والعلميه الحاليه و مشاريع التوسعه الثقافيه؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيه الله الاعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حد التمكن لكل احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولي التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
أصبحان
الغائمة

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الأخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للإيحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

